حقوق الطبع محفوظة
2011

طرابلس – لبنان
جامعة الجنان
ص. ب.: 818
هاتف: 909 447 - 6 - 961+
فاكس: 900 447 - 6 - 961+
e-mail:aljinan.mag@jinan.edu.lb
jinan@jinan.edu.lb
website:www.jinan.edu.lb

صَدَر في لبنان عن
دار المنى للطباعة والنشر
70/711442

تصميم وطباعة: وليد محمود شكشك
03/217643

الجنان

مجلة علمية محكّمة– فصلية

تصدر عن مركز البحث العلمي في الجامعة

العدد الثاني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الجنان

مجلة علمية محكّمة– فصلية

تصدر عن مركز البحث العلمي في الجامعة

المشرف العام : أ. د. منى حداد يكن / رئيسة الجامعة

نائب المشرف العام : أ. د. علي لاغا / نائب الرئيس لشؤون البحث العلمي

المدير : د. هدى حداد

هيئة التحرير

أستاذ مساعد د. رياض عثمان رئيساً

د. كلوديا شحادة اللغة الفرنسية

أ. لينا الجراح مساعداً للغة الفرنسية والإنكليزية

أ. مالك خليل مساعداً للغة العربية

أمين سر التحرير : أ. عايدة كبارة

المستشارون:

أ.د. عاطف عطية: علم الإجتماع

أ.د. عبد الغني عماد: علم إجتماع تربوي

أ.د. مهى خير بك: لغة عربية

أ. د. محمود عبود: فقه وأصوله

أ. د. سعدي ضناوي: لغة عربية

أ.د. انطوان ديري: هندسة

أ. د. جوزيف فاضل : علوم سياسية

أ.د. عمر عبد السلام تدمري: تاريخ

أ.د. أحمد سفر: إقتصاد إسلامي

أ.د. منذر حمزة: مايكروبولوجي

أ.د. خالد حسين: فيزياء وإعجاز علمي في القرآن الكريم

أ.د. بشار الحسن: هندسة

أ.د. أسامة كبارة: صحافة و إعلام

أ.م.د. حسن الرفاعي: إقتصاد إسلامي

أ.م.د. ماجد الدرويش: علوم الحديث

د. فواز حلاب: طبيب نسائي

أ.م.د. محمد خالد: صحة عامة

د. عمار يكن: هندسة وإدارة أعمال

د. ثائر علوان: صيدلة

د. حسام سباط: أصول الفقه وحضارة

د. ربى شعراني: تربية

د. غادة صبيح: لغة فرنسية

د. ريما بركة: لغة فرنسية

قواعد النشر

«الجنان» مجلة علمية محكّمة ، تصدر عن مركز البحث العلمي – جامعة الجنان، وغايتها نشر الأبحاث الجدية والمحكمة في مختلف العلوم، وتنشر باللغات العربية والإنكليزية والفرنسية تُفضل الأبحاث التي تعالج مشاكل تحتاج إلى حل أو نظريات إفتراضية.

هدف المجلة

إن هدف المجلة في الأساس هو المساهمة في إضافة جديدة على العلوم الإنسانية أو العلمية، فالماضي هو هذا الحاضر، وبما أن العلم تراكمي فإن علينا واجب القيام بهذا الدور، لذلك فإن سياسة المجلة هي على الوجه التالي :

١. تخصيص محور واحد لكل عدد من أعدادها إذا أمكن وإلا ستنوّع أبحاث العدد

٢. يُطرح الموضوع العام والمحاور التي يمكن للباحثين الكتابة فيها، مع حرية التنويع ، فالعناوين المطروحة لإستدرار الأفكار وإثارة الحشرية العلمية .

٣. لا تُنشر الأبحاث إلا بعد خضوعها للتحكيم ، وإدارة المركز غير ملزمة بإعادة الأبحاث التي لم تقبل دونتعليل السبب بعدم نجاحها.

شروط أساسية :

١. الجدة في البحث، والتوثيق في الهامش وفق قاعد البحث العلمي (يرفق دليل الباحث)

٢. لا تزيد عدد صفحات البحث على ٣٠ صفحة

٣. التعهد بأن البحث لم ينشر من قبل ولن ينشر إلا بناء على رد من هيئة المجلة

٤. إرسال البحث على عنوان المجلة الإلكتروني وإذا لم يستلم إشعار بالإستلام فلا بد من إرساله مرّة أخرى

٥. تزويد إدارة المجلة بالسيرة الذاتية مع صورة للكاتب

٦. مقدمة تبين :

الحقل الذي يعالجه البحث مع تحديد للمشكلة والأهداف المفترضة.

٧. المنهجية المتّبعة في البحث مع ذكر لكل الوسائل المستعملة والمراحل المتبعة، وقائمة المراجع في آخر البحث.

٨. على الباحث مراعاة سلامة اللغة والتدقيق قبل الإرسال

خطوات التحكيم:

يحـول البحث المقبـول شكلاً إلى أستاذيـن متخصصين في المادة التـي حوتها الدراسـة، وتؤخذ النتيجة من حاصل مجموع العلامتين مقسومة على إثنين .

ملاحظات شكلية :

١. يتم التوثيق في الهامش

٢. يذكر إسم المؤلف أولاً ، الكتاب، الناشر، مكانه، الطبعة، السنة، الصفحة (عند ذكر المرجع للمرة الأولى

٣. وعند تكرار إستعمال المرجع يكتب : إسم المؤلف ، الكتاب ، م.س.ص

وفي النهاية :

إن مجلة الجنان جاءت حتى تحاول الإسهام بجديد وتشق الطريق أمام الباحثين الجادين على أمل التوصل إلى بحـث علمي يستخـدم الطاقات المحلية ويكون تبعاً للثروة الوطنية ويتم النـأي به عن أن يكون في خدمة أبحاث أمم أخرى .. ليس ذلك من موقع الأنانية ، بل من منطلق المنافسة وتقديم الأفضل إن شاء الله تعالى .

الافتتاحية

بين يدي هذا العدد من مجلة جامعة الجنان العلمية المحكمة، فإن هناك جملة من الأفكار أردناها أن تكـون عامل لقاء، ولتعبـر بالتالي عن آفاق جامعة، وإن تعددت السبل إلا أن نقطة الالتقاء تبقى واحدة.

فـي الواقـع إن موضوع التخطيط عموما وما يختص منه بالتعليـم العالي خصوصاً، يجب أن يكون محل بحث وعناية واهتمام لعظيم أثره وكبير خطره، وكي لا نبقى أمة تستهلك النظريات، آملة أن تجد فيها عوامل البقاء والاستمرار، إن لم نقل رقيها وازدهارها.

إن التخطيـط فـي التعليم العالي هدف رئيـس، وغاية سامية، وقد اختـارت جامعتنا ضمن رؤيتها ورسالتهـا الاستثمـار في المـوارد البشرية، ليـس بالمعنى المـادي التجاري، وإنما بـكل ما تعنيه التنميـة المجتمعية والاستفادة من المـوارد الطبيعية والتقدم الحضاري، مع التركيز على الجانب الاساسـي النوعي، لانه العمود الفقري والشريـان الأساس والترجمة العملية للأهداف التي تصب في صلب التنمية المستدامة البناءة والفاعلة.

إن العالـم يسيـر بسرعة كبيرة، ويشهد متغيرات، وأنواعاً كثيـرة من هذه المتغيرات لا عهد له بها من قبل، من هنا كان لابد لنجاح هذه السلة من التفاصيل المتداخلة والمميزة في آن معاً، أن تحدد الأهـداف وترسـم المسارات وتجهز الخطـط والمراحل، من أجل الوصـول للغاية الأسمى، حيث الارتقاء بالعمل الى مستوى العنوان الكبير الجامع الذي يخدمه مجموعة من الكفاءات العلمية. ولا يهـم حينها المكان أو الزمان، بل الإنتاج والكفايات والفعالية، ومن ثم التغيير نحوالأفضل. فالذي يخطـط جيـداً لمنطلقاته وأهدافه، هو من ينـوع خياراته وسياساته الشاملـة للنجاح، ومع إيجاده معايير ثابتة ومدخلات لقياس الأداء في النظم التعليمية بعامة وفي التعليم العالي بخاصة.

لقـد أظهرت النماذج والنظريات والأنماط المتعاقبة في الإدارة، والإدارة التعليمية خصوصاً، أن لـكل أسلوبـه وأهدافه وحاجاته وعناصـره، لكن يبقى هدف واحد جامع ومحـدد، ألا وهو الوصول للغايـة الأسمى للرقي وجـودة العمل. وعندها يتحد المكان والزمـان والانطلاق الصحيح بالإنتاج والكفايات والفعالية والتغيير نحو الأفضل.

وللأسـف، فإن خطـط التنمية الموضوعة من قبـل المؤسسات الرسميـة أو الخاصة، على امتداد عالمنـا العربـي والاسلامي - ولبنـان واحد من مكوناته - تضخ خططـاً لا عد لها ولا حصر، دون الالتفـات الـى تنفيذها، فتبقى مجـرد عصارة للأدمغة، وحبـراً على ورق يطويهـا الزمن ويأكلها النسيان، مغفلة تماما أن مؤسسات التعليم المختلفة هي من أهم روافد التنمية والاستقرار والنمو الاقتصـادي فـي المجتمع، والمساهم الأساسـ في الحراك الفكري الإنسانـي ليؤتي ثمرته تقدماً وحضارة.

من هنا تظهر أهمية التخطيط البعيد المدى بالنسبة للتعليم الجامعي، بخاصة في الدول النامية، وذلـك لمواكبـة التطـورات الحديثـة وتقليل الفجوة بيـن الدول المنتجـة للعلوم والتقنيـة والدول المستهلكة، كما يجب أن يلاحظ في التخطيط تأهيل المؤسسات وتضافر جهودها وتبادل خبراتها فيمـا بينها مع تنوع مجالاتها، وذلك للحاق بمصاف الـدول التي تنتج المعرفة وتسخرها لرفاهية مجتمعاتها؛ بغض النظر عن الأخلاقيات التي تتحكم بمساراتها وتطبيقاتها. كما لا نغفل كم يتطلب هـذا النـوع من الاستثمار في الموارد البشرية، الذي أشرنا إليه آنفا، من تأمين الحاجة إلى كوادر مؤهلة وقادرة على الإبداع والابتكار، من أجل التعامل مع المشاكل والعوائق لتطوير الحلول العلمية المناسبـة لها، مع كل العناصـر المكونة الممهدة للتخطيط الناجح، كتحديد المجال والتخصص والبعد الزمني والنطاق الجغرافي ...

مـن هـذه المنهجية وبهـذه الروحيـة العلميـة، شكلت جامعـة الجنان صـورة واضحـة لأهدافها وتطلعاتهـا، مستعينة بالمحاضرات والندوات وأبحاث الكفاءات الـواردة اليها من مناخات علمية مختلفة، يحدوها إلى ذلك تثمير البحث العلمي وفق المعايير البحثية الدقيقة.

وهنـا بدأت جامعة الجنان في صياغة خططها انطلاقا من الرؤية الواضحة، فبنت عليها أهدافها وصاغتهـا بشكل يتماهى مع الثوابت والقيم في أهداف عامـة وأهداف تفصيلية. وبحثت في سبل وآليـات التنفيـذ مع ما يواكـب ذلك من أنشطة وبرامج تعـزز هذه المنطلقات، لتطـال أفقياً أكبر شريحة مجتمعية دون أن ينتقص ذلك من عاملي: العالمية والجودة.

لقـد كان لزاماً علينا، أن ننحو بالتعليم العالـي ومخرجاته المعرفية والبحث العلمي - وهذا العدد الـذي بين أيديكم علامـة ذلك - منحىً إنسانياً راقيـاً، يكون سبيل خير ونمـاء، ويؤسس لميراث إنسانـي جديـد بقيادة شبابية، تغيـر من صورة ما نحن عليـه اليوم من تفـاوت وطبقية، فالحياة الكريمة حق للجميع.

أ.د. منى حداد

رئيسة جامعة الجنان

مقدمة

إن كل عمل يتعثر في بداياته ، وبعد طول ممارسة يتحسن باتجاه متصاعد ، طالما أن هناك تعزيزاً ودعماً متواصلين، وفي إطلالة العدد الثاني من مجلة الجنان ، نأمل أن نكون قد كوّنا عند القارئ الكريم صورة إيجابية ، لما يقوم به مركز البحث العلمي في الجامعة.

إنه بفضل ما يقدمه كتّاب وباحثون جادون، يمكن تقديم أبحاث تعالج الواقع المعيش في مختلف جوانب الحياة الإنسانية، وكما في العدد الأول، فإن العدد الثاني حوى باقة موفقة من الموضوعات:

ففي الأحكام الشرعية والدراسات الإسلامية، ضمّ العدد ثلاثة أبحاث: في الفرقة بالخلع، وتوصيف الطبيب وأثره في الحكم الشرعي، لما لهذين الموضوعين من أهمية في معالجة مشاكل تحتاج إلى حل مرتبط بالواقع المعيش. وأما البحث الثالث فقد تناول عملية تقويم لكتب التربية الإسلامية المطورة في المملكة الأردنية الهاشمية حرسها الله تعالى، وهذا أمر يحتاج إلى جهد كبير كي يُصار إلى تشكيل عقل يجسد ما بين النقل والعقل من جهة، وينشئ جيلاً متفاعلاً مع مستجدات الحياة وحداثتها.

وفي الحقل الإداري فقد اشتمل العدد على توظيف تكنولوجيا المعلومات في إدارة المخاطر البيئية، دراسة تطبيقية على الشركة العامة لصناعة الزيوت النباتية (مصنع الرشيد) في الجمهورية العراقية، ونظرية الاتفاقيات والمحاسبة – قراءة في حالة الجزائر – حرسها الله تعالى.

وفي محاولة جديدة جاء بحثٌ في استثمار أوقاف الجمعيات الخيرية الإسلامية.

وكانت حصة اللغة العربية مهمة لجهة ما جاء في: لسانيات الخطاب، والإنسجام الصوتي، ودراسة ترشيدية لإنجاز المعجم التاريخي للغة العربية.

وختامه مسك، كانت حصة التربية ببحث عن دور الجامعات في التعامل مع ذوي الإحتياجات الخاصة.

هذا جهد المُقل، وإلى مشاركة جديدة على طريق إزالة المعوقات عن طريق البحث والإبداع، علَّنا نصل إلى الهدف الأسمى الذي نبتغيه: البحث العلمي الجاد.

أ.د. علي لاغا

نائب رئيس جامعة الجنان لشؤون البحث العلمي

د. فوزية احمد الحسن طه
أستاذ التفسير وعلوم القران المشارك
كلية اصول الدين جامعة ام درمان الاسلامية

طول الأمل والغفلة عن الآخرة في ضوء القرآن الكريم

مستخلص البحث :
اثبت البحث أن طول الأمل يورث حب الدنيا والركون إليها ، وقصر النظر يقود المؤمن لإدراك حقارة الدنيا ويحمله للعمل الصالح لأجل اللآخرة.

كما بين البحث انشغال الناس بالدنيا، حتى أصبح طول الأمل ظاهرة تحكم أمورهم وتصرفاتهم، وذكّر بضرورة ذكر الله، وذكر الموت لأنه يعين المؤمن على العمل للآخرة، وألا تكون الدنيا أكبر همه، ولا مبلغ علمه.

ومن أهم النتائج : امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه توجب مرضاة الله، والفوز بالجنه.

وطول الامل يورث الغفلة التي تورد صاحبها المهالك.

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن موضوع الأمل والغفلة عن الآخرة أصبح من السمات المميزة لتعامل البشر مع قضايا الحياة الدنيا، علماً بأن القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة قد اشتملتا على كثير من الأوامر والنواهي، التي تدعو للإقبال على الآخرة، وعدم التمسك بالفانية، وكثيراً ما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر بالموت وأهوال القيامة، حتى ينتبه الغافلون، عن أبي بن كعب قال: «كان

رسـول الله صلـى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثـا الليل قام فقال: يا أيها النـاس اذكروا الله جاءت الراجفـة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بمـا فيه»[1]. وفي تنبيه الغافلين للخوف مـن الله سبحانـه وتعالى، والعمـل لأجل الآخرة، وقد مـدح الخائفون بقولـه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾[2]. أي : هـم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله، خائفون منه وجلون من مكره بهم . قال تعالى: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾[3]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾[4]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[5]. ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ﴾[6].

لـكل مـا تقدم من هذه الآيات الدالة على حب الدنيا، والغفلـة عن الآخرة جاء سبب اختياري لهذا الموضوع :

(١) لبيان طول الأمل ، وارتباطه بالعمل للدنيا لا الآخرة.

(٢) توضيح أهمية العمل للآخرة والزهادة في الدنيا.

(٣) بيان الداء في طول الأمل وحب الدنيا، والدواء في ذكر الله والعمل للآخرة.

(٤) للـرد على المتمسكين بالدنيا العاملين لها، ولأن هذا قد أصبح ظاهرة استلزمت بيان حقارة الدنيا، ووجوب قصر النظر الذي يوجب رضاء الله سبحانه وتعالى.

منهجي في البحث:

المنهـج الذي اتبعته هـو استقرائي، استنباطـي، تحليلي، وذلك بعرض نصوصـ الكتاب والسنة، واستعراضـ أقوال المفسرين المتعلقة بها، وبيان ما ذهب إليه بعض العلماء في النهي من الركون إلى الدنيا، والعمل لها لا للآخرة .

خطة البحث : قسمت البحث إلى مقدمة ومبحثين :

المقدمـة : تتضمـن تعريفاً موجزاً لكل من طول الأمل والغفلة عـن الآخرة، وبيان أسباب اختيار الموضوع، والمنهج المتبع في البحث ، والخاتمة وقائمة أهم المصادر والمراجع.

١- رواه الترمذي في صفة القيامة باب (٢٣) ، (٦٣٦/٤) وقال حديث حسن صحيح ، ضمن حديث طويل.

٢- المؤمنون: ٥٧

٣- المؤمنون: ٦٣

٤- المؤمنون: ٦٤

٥- المؤمنون: ٧٧

٦- المؤمنون: ٩٩

المبحث الأول: طول الأمل وحب الدنيا والتفكر في حقارة الدنيا ، وفيه مطلبان:

المطلب الاول: طول الأمل وحب الدنيا

المطلب الثاني: قصر النظر والتفكر في حقارة الدنيا.

المبحث الثاني: الغفلة عن الآخرة.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات ثم ذيلته بقائمة أهم المصادر والمراجع.

المبحث الأول

طول الأمل وحب الدنيا والتفكر في حقارة الدنيا

المطلب الأول: طول الأمل وحب الدنيا

كثير من الناس يحرص على الحياة الدنيا، ويعيش لدنياه فحسب ؛ وهذا ما يعرف بطول الأمل وهو المذموم في القرآن الكريم لأنه يرتبط بالغفلة عن الآخرة.

جاء في كتاب رحلة إلى الدار الآخرة: جميل أن نحمل في قلوبنا أملاً، لكي نعمّر الكون بكل أنواع الخير ، فالإنسان مفطور على حب الحياة ، لكن لا بدّ أن نحذر من أن يحول طول الأمل بيننا و بين طاعة الله عزّ وجل .

فإن صاحب الأمل الطويل في الدنيا يركن غالباً إلى الشهوات و الملذّات، ولذلك نجد قلبه لا يتحرك لآيات الله، وكلام رسول الله صلى الله عليه و سلم، ومن أجل ذلك حذر النبيّ صلى الله عليه وسلم من طول الأمل[1] و لهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان : الحرص والأمل»[2] وقال بلفظ آخر: «يهرم ابن آدم و تشب منه اثنتان: الحرص على المال، و الحرص على العمر»[3]

يقول الله تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[4]

قال الطبري: «وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ» عن الأخذ بحظهم من طاعة الله فيها وتزودهم لمعادهم منها بما يقربهم من ربهم (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) غداً إذا وردوا عليه وقد هلكوا على كفرهم بالله و شركهم حين يعاينون عذاب الله أنهم كانوا من تمتعهم بما كانوا يتمتعون فيها من اللذات والشهوات كانوا في خسار وتباب[5].

١- رحلةٌ إلى الدار الآخرة . جمع وترتيب محمود المصري أبو عمار، مكتبة الصفا ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م - ص٥

٢- أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب : كراهة الحرص على الدنيا ، بمعناه ، ٤١٠/١.

٣- أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب : كراهة الحرص على الدنيا، حديث رقم (١٠٤٧) ، ٤٦٠/١

٤- الحجر: ٣

٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ وتحقيق أحمد عبد الرازق البكري وآخرون - بإشراف أ.د/عبد الحميد عبد المنعم مدكور ، دار السلام للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٤٢٥-٢٠٠٥م - ٤٨٦٥/٦

و يقـول ابـن كثيـر : «ذَرْهُمْ يَأْكُلُـوا وَيَتَمَتَّعُـوا» تهديد شديد لهم ووعيـد أكيد ولهذا قـال « وَيُلْهِهِمُ الْأَمَـلُ» أي عن التوبة والإنابة «فَسَـوْفَ يَعْلَمُونَ» أي عاقبة أمرهم. كقوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾[1] [2]

وفي هذا دليل على أنّ طول الأمل الذي يجعل المرء يركن إلى الدنيا منهيّ عنه بنصوص الكتاب و الحديث النبوي الشريف وهذا ما أكّده حديث المفسرين اللذين تقدم ذكر قولهما، كما أيّد صاحب فتـح القدير ما ذهب إليه ابن كثير بقوله: «ذَرْهُمْ يَأْكُلُـوا وَيَتَمَتَّعُوا» تهديد لهم : أي دعهم عما أنت بصدده من الأمر لهم و النهي، فهم لا يرعوون أبداً و لا يخرجون من باطل ولا يدخلون في حق، بل ذرهـم بما هـم عليه من الاشتغال بالأكل ونحوه من متاع الدنيا و مـن إلهاء الأمل لهم عن إتباعك فسوف يعلمون عاقبة أمرهم و سوء صنيعهم .

و فـي هـذا من التهديد و الزجر ما لا يقدر قـدره ، يقال : ألهاه كذا أي شغله الأمل عن إتباع الحق، و مـا زالـوا في الآمال الفارغة ، والتمنيات الباطلة حتى أسفـر الصبح لذي عينين و انكشف الأمر ورأوا العذاب يوم القيامة، فعند ذلك يذوقون وبال ما صنعوا[3]

جـاء عن بعض الحكماء قولهم: «عجبـت ممن يحزن على نقصان ماله ولا يحزن على فناء عمره ، وعجبت من الدنيا مولية عنه، والآخرة مقبلة عليه يشتغل بالمدبرة ويعرض عن المقبلة»[4].

وعلـى هـذا يجب أن لا يركن المرء إلى الدنيا، وينشغل بها وينسى الآخرة، وقد أشار الرسول صلى الله عليـه وسلـم إلى هذا المعنى في قوله: «مالي و للدنيا و مـا للدنيا و مالي و الذي نفسي بيده ما مثلـي و مثـل الدنيا إلاّ كراكب سار فـي يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعـة من النهار ثمّ راح وتركهـا»[5]. ولذلـك علينـا ألا نجعل الدنيا غايتنا بـل، نجعلها مطية الآخرة ، فقـد جاء في مسند البزار عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أربعة من الشقاء جمود العين و قساوة القلب وطول الأمل والحرص على الدنيا»[6]

و قال القرطبي: «طول الأمل داء عضال و مرض مزمن، ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه و اشتد علاجه، ولم يفارقه داء ولا نجع فيه دواء، بل أعيا الأطباء ويئس من برئه الحكماء و العلماء».

١- إبراهيم: ٣٠

٢- تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - صحح بإشراف الشيخ خليل

٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني توفي بصنعاء ١٢٥٠هـ ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م ، ١٢١/٣.

٤- أنظر : رحلة إلى الدار الآخرة ، ص ١٦

٥- أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٩٦) و صححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٦٩) .

٦- رواه البزار و فيه هانئ بن المتوكل و هو ضعيف كما في المجمع ٢٢٦/١٠.

و حقيقــة الأمل : الحرص على الدنيا و الانكبــاب عليها ، والحب لها والإعراض عن الآخرة ، وروي عــن رســول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نجا أول هذه الأمة باليقين و الزهد ، و يهلك آخرها بالبخل و الأمل»[١] [٢].

و مــا كتبــه القرطبي يعتبر من أروع ما كتب في كتب التفاسير عن طول الأمل، وأضاف ؛ ويروى عن أبي الدرداء أنه قام على درج مسجد دمشق فقال: «يا أهل دمشق ألا تسمعون من أخ لكم ناصح، إن مــن كان قبلكم كانوا يجمعون كثيراً و يبنون مشيــداً و يأملون بعيداً، فأصبح جمعهم بوراً وبنيانهم قبوراً وأملهم غروراً. هذه عادة قد ملأت البلاد أهلاً و مالاً و خيلاً و رجالاً، فمن يشتري منّي اليوم تركتهم بدرهمين...» وقال الحسن: «ما أطال عبدٌ الأمل إلاّ أساء العمل».

و صــدق رضــي الله عنــه! فالأمل يكسل عــن العمل، و يورث التراخــي و التواني، ويعقــب التشاغل والتقاعس، و يخلد إلى الأرض و يميل إلى الهوى. و هذا أمر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج إلى بيان ولا يطلب صاحبه ببرهان، كما أنّ قصر الأمل يبعث على العمل، و يحيل على المبادرة، ويحث على المسابقة[٣].

لذا ينبغي على الإنسان أن يغتنم شبابه و فراغه وصحته و عافيته في التقرب إلى الله والعمل لأجل الآخــرة، و قد قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من النّاس الصحّة والفراغ» [٤]

وقــد قــال صاحــب الكشاف: «ذَرْهُــمْ» يعني أقطــع طمعك مــن ارعوائهم و دعهم عــن النهى عما هــم عليه والصد عنــه بالتذكرة والنصيحة و خلهــم «يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا» بدنياهــم و تنفيذ شهواتهم و يشغلهــم أملهــم و توقعهم لطــول الأعمار و استقامة الأحــوال ، وأن لا يلقوا فــي العاقبة إلاّ خيراً (فَسَــوْفَ يَعْلَمُــونَ) سوء صنيعهم، والغرض الإيذان بأنّهم من أهل الخذلان وأنهم لا يجئ منهم إلاّ مــا هــم فيه ، وأنّه لا زاجر لهم ولا واعــظ إلاّ معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل إلى اتعاظهم قبل ذلك ، فأمر رسوله أن يخليهم وشأنهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته ، وأن يبالغ في تخليهــم حتّــى يأمرهم بما لا يزيدهم إلاّ ندماً في العاقبة ، وفيه إلزام للحجة و مبالغة في الإنذار، و إعذار فيه، وفيه تنبيه على أنّ إيثار التلذذ و النعم وما يؤدي إلى طول الأمل . وهذه هجيري أكثر

١- أخرجه أحمد في الزهد.

٢- الجامع لأحكام القرآن الكريم عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - تحقيق د/عبد الحميد هنداوي- المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت- الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م ، ٢٥٥/٥

٣- المرجع السابق نفسه ٥ / ٢٥٥

٤- أخرجه البخاري -كتاب الرقاق- باب الصحّة و الفراغ ولاعيش إلاعيش الاخرة ، ٧ / ١٦٩ .

الناس ليس من أخلاق المسلمين. وعن بعضهم : التمرغ في الدنيا من أخلاق الهالكين[١].

وقد اتفق القرطبي[٢] والشوكاني[٣] على أن قوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ أي آية سورة الحجر هذه منسوخة بآية السيف[٤]. ومع أنّ هذه الآية نزلت في الكفّار والمشركين حين يعاينون العذاب يوم القيامة؛ أي يتمنّى الكفار في وقت ما أن لو كانوا مسلمين[٥] وهذا الوقت هو يوم القيامة عند معاينة العذاب، إلاّ أنّها تشمل عصاة المسلمين اليوم الذين ركنوا إلى الدنيا و باتت أكبر همهم. وطول الأمل في اعتقادي أبلغ ما يكون في قصر النظر، وربط الفكر الديني بالمصالح المادية، التي تطمح إليها نفوسهم. و يجب أن لا ينسينا طول الأمل ذكر الله، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله»[٦].

و كما جاء في سبل السلام ؛ الحديث من أدلّة فضل الذكر وأنّه من أعظم أسباب النجاة من مخاوف عذاب الآخرة وهو أيضاً من المنجيات من عذاب الدنيا و مخاوفها و لذا قرن الله الأمر بالثبات لقتال أعدائه و جهادهم بالأمر بذكره[٧] و حب الدنيا و طول الأمل يتمثل في الانسياق وراء الأولاد و الأموال، والانشغال بذلك عن ذكر الله، و ذكر الآخرة يقول تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾[٨]

إلاّ أن النفس البشرية إذا تركت على هواها، و حجب عنها نور الإيمان ، ونظرت إلى ما بين يديها من الأسباب المادية، أخذها الغرور و البطر، وظنت أنّها لم تؤت هذا المال وهذه المكانة والوجاهة إلاّ لمزايا ذاتية فيها، وهذا الصنف من البشر يتكرر في كل زمان و مكان وفي كل حال لم تهذّب نفسه بإشراقه الإيمان، ولقد ظنّ هذا الظن قارون عندما قال : ﴿...إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ... ﴾[٩] فالغرور والبطر عند التكبّر على عباد الله وكسر قلوب الفقراء، دائماً مبعثه

١- الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جاد الله محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي ٤٦٧-٥٣٨هـ ، دار المعرفة بيروت-لبنان ،(د.ط)، (د.ت) ٣١٠/٢.

٢- الجامع لأحكام القرآن ٢٥٤/٥.

٣- فتح القدير ١٢١/٣

٤- وهي قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ الحج اية (٣٩).

٥- المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، إعداد: جماعة من العلماء بإشراف الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، دار السلام للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م ، ص٥٦٣.

٦- أخرجه ابن أبي شيبة و الطبراني بإسناد جيّد.

٧- سبل السلام وبلوغ المرام لمحمد بن إسماعيل الأمير اليمني الفسعاني - تحقيق إبراهيم عصر-دار الحديث (د.ط)، (د.ت)، ١٦١٩/٤.

٨- الحديد: ٢٠

٩- القصص: ٧٨

طول الأمل وحب الدنيا[1]. فليعلم طويل الأمل إنّه لم يخلق عبثاً؛ لقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾[2] و عليه فالإنسان لا يترك هملاً ؛ يعني لا يؤمر ولا ينهى ولا يبعث و الظاهر أنّ الآية تعم أي ليس يترك مهملاً، لا يؤمر ولا ينهى ولا يترك في قبره سدًى لا يبعث، بل هو مأمور منهي في الدنيا محشور إلى الله في الدار الآخرة و المقصود هنا إثبات المعاد و الرد على ما أنكره من أهل الزيغ و الجهل والعناد ولهذا قال تعالى مستدلاً على الإعادة بالبداءة فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ﴾ أي أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين . يمنى : يراق من الأصلاب في الأرحام[3].

ولو تأمل الإنسان هذا الأمر لما طال أمله في الدنيا بعيداً عن طاعة الله ، ولأدرك الضعف الذي يعتريه ولأكثر من الرجوع لله عزّ وجل. وقال صلى الله عليه وسلم: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»[4] ولا يكون العتق إلاّ باعتزال الفساد، و الفرار إلى الله تعالى، يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[5]. وقد تمثل قصة قارون – في القرآن الكريم – جانب الطغيان بالمال و الغرور بالعلم ، و كيف أنّ مآلهما إلى الفناء، إذا تسلطت الأهواء، و سيطرت الأطماع، و تحوّل الإنسان من مجرد مخلوق من مخلوقات الله إلى متجبر متكبر، يعلو بنفسه فوق الناس ، ويزهو و يتعالى عليهم، وينظر إليهم بمنظار الاستعلاء و الاستكبار و ليعلم طويل الأمل من الناس ؛ أن كل شيء مآله إلى زوال، و أن الباقي هو وجه الله ذو الجلال والإكرام[6]. و عليه يجب على المرء الحرص على طاعة الله و طاعة رسوله كما يجب الاستعداد ليوم الرحيل، أي لا يكون المرء همّه الدنيا فحسب، بل يجعل من الدنيا مطية الآخرة.

لأنّ الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم: «سجن المؤمن و جنّة الكافر»[7] وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار حين سمعوا بقدوم أبي عبيدة بن الجرّاح من البحرين – وكان قد بعثه الرسول صلى الله عليه و سلم ليأتي بجزيتها «أظنكم سمعتم أنّ أبا عبيدة قدم بشيء من

١- انظر: مباحث في التفسير الموضوعي للدكتور مصطفى مسلم، دار القلم الطبعة السابعة ١٤٣٠/٢٠٠٩م، ص ٢٢٩-٢٣٠ دمشق.

٢- القيامة: ٣٦-٤٠

٣- تهذيب تفسير ابن كثير ص١١٥٩

٤- أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم (٥٥٦) ٢٠٣/١

٥- الذاريات: ٥٠

٦- دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني – للدكتور أحمد جمال العمري مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ص٢٩٢

٧- أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزهد و الرقائق حديث رقم (٢٩٥٦) ، ٦٩٤/٢

البحريـن ؟ فقالـوا: أجل يا رسول الله ! قال: «فابشروا و أملّوا مـا يسركم فوالله ! ما الفقر أخشى عليكم. و لكنّي أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها و تهلككم كما أهلكتهم»[1]

و فـي روايـة أخرى «فتلهيكم كما أهلهتهم»[2] و في هذا دليل علـى النهي عن طول الأمل والترغيب في قصر الأمل لأنّ طول الأمل يؤدي إلى الهلاك كما جاء في الحديث. فالذي يتأمّل أحوال الناس في هذا الزمان، يعجب لأعمالهم يعيشون في هذه الدنيا، و كأنهم خلقوا لها و لشهواتها، لا يأبهون بقوله تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[3]. ذرهم فيما هـم فيه مـن حياة حيوانية محضة للأكل و المتاع . لا تأمل فيـه و لا تدبر و لا استطلاع. ذرهم في تلك الدوامة : الأمل يلهي و المطامع تغر، و العمر يمضي و الفرصة تضيع، ذرهم فلا تشغل نفسك بهـؤلاء الهالكين، الذين ضلوا في متاهة الأمل و الغرور، يلوح لهم و يشغلهم بالأطماع ، و يملي لهم فيحسبون أن أجلهم ممدود، و أنهم محصلون ما يطمعون لا يردهم عنه راد، ولا يمنعهم منه مانع.

و صـورة الأمل الملهي صـورة إنسانية حية. فالأمل البراق ما زال يخايل لهذا الإنسان، و هو يجري وراءه، و ينشغل به، و يتغرّق فيه، حتى يجاوز المنطقة المأمونة ؛ و حتى يغفل عن الله و عن القدر، و عـن الأجـل؛ و حتى ينسـى أن هنالك واجبا، وأن هنالك محظوراً ؛ بل نسـي أنّ هنالك إلها، و أنّ هنالك موتا، وأنّ هنالك نشوراً[4]. و لعل هذا هو الأمل القاتل الذي يؤمر الرسول صلى الله عليه و سلم أن يدعهم له (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) حيث لا ينفع العلم بعد فوات الأوان، و هو أمر فيه تهديد لهم، و فيه كذلك لمسة عنيفة لعلهم يصحون من الأمل الخادع الذي يلهيهم عن المصير المحتوم[5].

المطلب الثاني

قصر الأمل و التفكر في حقارة الدنيا

يقـول الله تعالـى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[6]

١- أخرجه مسلم في كتاب الزهد حديث رقم (٢٩٦١) ، ٢/ ٦٩٥

٢- أخرجه مسلم في كتاب الزهد حديث رقم (٢٩٦٢) ، ٢/ ٦٩٥

٣- الحجر: ٣

٤- سيد قطب ، في ظلال القرآن

٥- في ظلال القران ٤ / ٢١٢٦

٦- الحديد: ٢٠

يقول تعالى موهنا أمر الحياة الدنيا و محقرا لها: ﴿... أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ...﴾ أي : إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا، كما قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾[1] ثم ضرب الله مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية و نعمة زائلة فقال : (كَمَثَلِ غَيْثٍ) وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس ... إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ أي هي متاع فان غار لمن ركن إليه ، فإنه يغتر بها و تعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها و لا معاد وراءها، و هي حقيرة قليلة بالنسبة إلى دار الآخرة[2]. دعا الرسول صلى الله عليه و سلم لقصر الأمل بقوله لابن عمر: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، و عد نفسك في أهل القبور»

و قال ابن عمر : «إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء و إذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، و خذ من صحتك قبل سقمك ، و من حياتك قبل موتك فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غدا»[3].

و هذا دليل على حقارة الدنيا ، و نهيل عن التمسك بها. كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قلب الشيخ شاب على حب اثنتين طول الحياة و كثرة المال»[4] يترتب على هذه الأقوال الزهد في الدنيا ، و التقلل منها ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[5] ضرب تبارك و تعالى مثلا لزهرة الحياة الدنيا و زينتها و سرعة انقضائها و زوالها، بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض، بما أنزل من السماء، مما يأكل الناس من زروع و ثمار على اختلاف أنواعها و أصنافها، حتى إذا أخذت الأرض زينتها الفانية ، بما خرج من رباها من زهور نضرة مختلفة الأشكال و الألوان، وظن الذين زرعوها و غرسوها أنهم قادرون على حصادها، جاءتهم صاعقة أو ريح شديدة، فأيبست أوراقها و أتلف ثمارها[6].

١- آل عمران: ١٤

٢- المصباح المنير في تهذيب ابن كثير ، ص١٠٨٢-١٠٨٣

٣- أخرجه الترمذي في كتاب الزهد - باب ما جاء في قصر الأمل ٢٩٧/٤.

٤- أخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب ما جاء في قلب الشيخ شاب في اثنين ، ٢٩٩/٤.

٥- يونس: ٢٤

٦- انظر : المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ، ص٤٨٥

يبين الله عز و جل الحجج و الأدلة (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فيعتبرون بهذا المثل في زول الدنيا من أهلها سريعا مع اغترارهم بها، و تمكنهم وثقتهم بمواعيدها ، و تفلتها عنهم، فإنّ من طبعها الهرب ممن طلبها، والطلب لمن هرب منها، وقد ضرب الله تعالى مثل الدنيا بنبات الأرض في غير ما آية من كتاب العزيز[١]. فقال في سورة الكهف: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾[٢] و كذا في سورة الزمر[٣]؛ والحديد[٤]. والآيات التي يضرب الله بها مثل الحياة الدنيا كثيرة . يقول الرسول صلى الله عليه و سلم: «إنّ الدنيا حلوة خضرة و إنّ الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا و اتقوا النساء»[٥] وقال عليه أفضل الصلاة والتسليم : «والله ما الدنيا في الآخرة إلاّ مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع؟»[٦] ففي هذا دليل على حقارة الدنيا و إنّها لا تسوي شيئا. لذلك يجب أن لا تركن إلى الدنيا، ولا تتخذها وطناً، ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها، ولا بالاعتناء بها، ولا تتعلق منها إلاّ بما يتعلق به الغريب في غير وطنه، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله[٧]

يقول صلى الله عليه وسلم: «إزهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»[٨]

لذا يجب أن يحمل المرء نفسه على الزهد في الدنيا ، لقوله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت، وأفضل العبادة التفكر ، فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة»[٩].

قال صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد يموت إلاّ ندم»، قالوا : وما ندامته يا رسول الله؟! قال: «إن كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد، و إن كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع»[١٠]

فحتى لا يحصل الندم المشار إليه في الحديث علينا الزهد في الدنيا، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كفى بالموت مزهداً في الدنيا، ومرغبا في الآخرة»[١١]

١- المصباح المنير ص ٤٨٥.

٢- الكهف: ٤٥

٣- سورة الزمر الآية (٢٩)

٤- سورة الحديد الآية (٢٠)

٥- أخرجه مسلم ٢١٩٣/٤

٦- أخرجه مسلم و أحمد مسنده ، ٢٢٨/٤.

٧- رياض الصالحين ص ٢٢٦.

٨- حديث حسن أخرجه بن ماجة وغيره بأسانيد حسنة رياض الصالحين ٤٧٢ ، ص ٢٢٦

٩- أخرجه الديلمي في الفردوسي : ١١٨/٢.

١٠- أخرجه الترمذي في كتاب : الزهد، باب : ما جاء في ذهاب البصر، حديث رقم (٢٣٢٧).

١١- أخرجه أحمد في ١٣٥/١

هـذا وقـد كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض أهل بيتـه : أما بعد ، فإنّك إن استشعرت ذكر الموت في ليلك و نهارك، بغّض إليك كل فان ، وحبب إليك كل باق[١].

بنـاء علـى ما تقـدم يتبين لنـا ؛ أن القرآن مملـوء بالتزهيد في الدنيـا و الإخبـار بخستها وقلتها وانقطاعهـا، وسرعـة فنائها. والترغيب في الآخرة و الإخبار بشرفهـا ودوامها فإذا أراد الله بعبد خيراً أقام في قلبه شاهداً يعاين به حقيقة الدنيا و الآخرة ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيثار[٢]. كما قال تعالـى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[٣] فالزاهد لا يفرح من الدنيا بموجود ولا يأسف منها على مفقود.

والزهـد فـي الدنيا قصر الأمل[٤] وهذا هو المرجو من الفرد المسلم الذي يجب أن لا يشغله طول الأمل عن ذكر الله وذكر الموت.

ومـن أحسـن ما قيل في الزهد: ليـس الزهد في الدنيا بتحريم الحـلال ولا إضاعة المال ولكن أن تكـون بمـا في يد الله أوثق منك بما في يدك وأن تكون في ثواب المصيبة - إذا أصبت بها - أرغب منك فيها لو لم تصبك فهذا من أجمع كلام في الزهد و أحسنه[٥]

من كل هذا يتضح أن طول الأمل مذموم ، وعلينا أن نقلع عن ذلك الفعل الذي يبعد عن طاعة الله، ويـورث الغفلـة عن الآخرة . فالثقة بالأمـل توجب الفتور والتواني[٦]. الـذي يلهي صاحبه عن ذكر الله، والعمل للآخرة.

وأخـرج الترمـذي في سننـه: أن رجلاً قال: يا رسول الله و أي الناس خيـر ؟ قال : «من طال عمره وحسـن عمله» قال : فـأي الناس شر ؟ قال : «من طال عمره وساء عمله»[٧] فطول العمر في طاعة الله خيـر مـن طول الأمل في الدنيا و حبها، دون العمل للآخرة. بناء على ذلك يجب على العبد في حـال صحتـه أن يكون خائفا راجياً، ويكون خوفه و رجاؤه سواء، وفي حال المرض يمخّض الرجاء. وقواعـد الشـرع من الكتاب والسنة وغير ذلك متظاهرة علـى ذلك[٨] قول الرسول صلى الله عليه

١- انظر : شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور ، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت- لبنان ، الطبعة الأولى ، (د.ت) ، ص٣٠

٢- انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١) ، مكتبة الإيمان، طبعة ١٤١٩/١٩٩٩م ، ٨/٢

٣- الحديد: ٢٣

٤- مدارج السالكين ٨/٢

٥- المرجع السابق نفسه ١٠/٢

٦- المرجع السابق نفسه ٤/٣

٧- أخرجه الترمذي في كتاب الزهد ، باب ما جاء في طول عمر المؤمن ، حديث رقم (٢٣٢٩)

٨- رياض الصالحين ص٢١٥

وسلم : «إن الدنيا حلوة خضرة[1]. و إن الله مستخلفكم فيها[2]. فينظر كيف تعملون . فاتقوا الدنيا و اتقوا النساء[3]. فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»[4]. تحذير واضح يجب الوقوف عنده، والعمل به، وإلاّ فالهلاك واقعٌ لا محالة .

المبحث الثاني

الغفلة عن الآخرة

أن يجعل المرء الدنيا همه ، ويغفل عن الآخرة ؛ لهو الخسران المبين، وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه مزهداً في الدنيا ومرغباً في الآخرة : «إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل: فأما أتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة، إلا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل»[5]

وهذا قول مهم ليعمل المرء للآخرة . يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[6].

أي : ماحالكم إلاّ حال من رضي بالدنيا، وسعى لها ، ولم يبال بالآخرة ، فكأنّه ما آمن بها، (فما متاع الحياة الدنيا) التي مالت بكم، وقدمتموها على الآخرة (إلاّ قليل) أفليس قد جعل الله لكم عقولاً تزنون بها الأمور ؟ وأيها أحق بالإيثار ؟، أفليست الدنيا من أولها إلى آخرها لا نسبة لها في الآخرة؟. فما مقدار عمر الإنسان القصير جداً في الدنيا فبأي رأي رأيتم إيثارها على الدار الآخرة، الجامعة لكل نعيم ؟[7] لذا ابن كثير يقول : «إن أكثر الناس ليس لهم علم إلاّ بالدنيا وإكسابها وشؤونها وما فيها، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها، وهم غافلون عما ينفعهم

١- يحتمل أن المراد شيئان : أحدهما حسنها للنفوس ونضارتها و لذتها. كالفاكهة الخضراء الحلوة ، فإن النفوس تطلبها طلبا حثيثاً. فكذا الدنيا. والثاني سرعة فنائها كالشيء الأخضر في هذين الوصفين .

٢- أي جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم ، فينظر هل تعملون بطاعته أم بمعصيته و شهواتكم

٣- اجتنبوا الافتتان بها وبالنساء.

٤- أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، حديث رقم (٢٧٤٢)، ٢٠٩٨/٤

٥- صفة الصفوة، للإمام جمال الدين القرشي البكري البغدادي المعروف بابن الجوزي، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية صيدا - بيروت ، طبعة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ١٠٧/١

٦- التوبة: ٣٨

٧- أنظر : تسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة الشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي ، مطبعة المدني ١٤٠٨هـ/١٩٩٨م، ٢٤٦/٢.

فـي الدار الآخـرة كأن أحدهم مغفّل لا ذهن له ولا فكـرة»[1] فيقول الله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[2]، (يعملـون ظاهراً من الحياة الدنيا) فينظرون إلى الأسبـاب ، ويجزمـون بوقوع الأمر، الذي في رأيهم ، انعقدت أسبـاب وجوده، ويتيقنون عدم الأمر الـذي لم يشاهدوا له من الأسباب المقتضية لوجوده، شيئاً فهم واقفون مع الأسباب، غير ناظرين إلـى مسببها المتصرف فيها[3]. وحين يدرك المرء الموت ينتبه من الغفلة ولات ساعة مندم فقد جـاء في المصبـاح المنير : (لما حضرت عبد العزيز بن مروان الوفـاة، قال: ائتوني بكفني الذي أكفـن فيـه أنظر إليه فلما وُضع بين يديه نظر إليـه فقال : «أما لي من كبير ما أخلّف من الدنيا إلاّ هذا ؟ ثم ولى ظهره فبكى وهو يقول: أف لك من دار إن كان كثيرك لقليل ، وإن كان قليلك لقصير، وإن كنـا منـك لفي غرور»[4] وفـي معنى قولـه تعالـى : ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ قد توجهت قلوبهـم، وأهواؤهم وإراداتهم ، إلى الدنيا وشهواتهـا ، وحطامها، فعملت لها ، وسعت وأقبلت بها ، وأدبـرت، وغفلت عن الآخـرة، فلا الجنة تشتاق إليها، ولا النار تخافهـا وتخشاها، ولا المقام بين يدي الله يروعها ويزعجها ، وهذا علاقة الشقاء، وعنوان الغفلة عن الآخرة[5]

وقـد جـاء عـن سيدنا علي بن أبـي طالب رضي الله عنه أنـه قال : منبها عـن الغفلة: «الحمد لله أحمـده وأستعينـه، وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إلـه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليزيح به علتكم ، وليوقظ به غفلتكم ، واعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت ، وموقنون على أعمالكم ، ومجزيون بها ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا فإنها دار بالبـلاء محفوفـة، وبالغناء معروفة، وبالغـدر موصوفة ، وكل ما فيها إلـى زوال، وهي من بين أهلها دول وسجال، ولا تدوم أهوالها، ولن يسلم من شرها نزالها، بينا أهلها منها في رخاء وسرور، إذا هـم منها في بلاء وغـرور...»[6] فهذه موعظة عالم برية، موقن بحسابه وعقابه ، منبه لقلوب غافلة عن الآخرة والعمل لها.

يا عجباً أنس بالدنيا مفارقها، وأمن النار واردها، كيف يغفل من لا يُغفل عنه، كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته وسنته تهدم عمره، كيف يلهو من يقوده عمره إلى أجله ؟[7].

١- المصباح المنير ص٨٣٥.

٢- الروم: ٧

٣- تيسير الكريم الرحمن ٢/٧٦.

٤- المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص٤٥٤.

٥- تيسير الكريم الرحمن ٢/٧٦ - ٧٧

٦- صفة الصفوة ١/١٠٧

٧- الرحلة إلى الدار الآخرة ص٢٦

فمـا مقدار عمـر الإنسان القصير جداً في الدنيا، حتى يجعله الغايـة التي لا غاية وراءها، فيجعل سعيه وكده وهمه، لا يتعدى الحياة الدنيا القصيرة المملوءة بالأكدار المشحونة بالأخطار[١].

مالكـم فعلتم هكذا أرضـىً منكم بالدنيا بدلاً من الآخرة ؟ ثم زهّـد الله تبارك وتعالى في الدنيا، ورغّـب في الآخـرة[٢]، فقـال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٣]

ومن العجب أن كثيراً من الناس انشغل بالدنيا ، وغفل عن الآخرة علماً بأن هذا القسم من الناس، قـد بلغت بكثير منهـم، الفطنة والذكاء، في ظاهر الدنيا إلى أمر يحيـر العقول، ويدهش الألباب، وأظهـروا مـن العجائـب الذرية والكهربائيـة، والمراكـب البرية والبحريـة، والهوائيـة، ما فاقوا بـه وبرزوا، وأعجبـوا بعقولهم، ورأوا غيرهم عاجـزاً عما أقدرهم الله عليه، فنظـروا إليهم بعين الاحتقـار والازدراء، وهـم مع ذلك أبلد الناس في أمر دينهم، وأشدهم غفلة عن آخرتهم ، وأقلهم معرفة بالعواقب[٤].

وكان ينبغـي أن يتفكروا في قدرة الله وعظيم خلقه، حتى تزدهم اكتشافاتهم واختراعاتهم معرفة بالله وإيماناً به.

وقد جاء عن عبدالله بن عباس أنه قال : ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانتفاعـي بكتـاب كتـب به إلى علي بن أبي طالـب رضي الله عنه، فإنه كتب : «أمـا بعد فإن المرء يسـوءه فـوت ما لم يكـن ليدركه، ويسره درك ما لـم يكن ليفوته، فليكن سـرورك بما نلت من أمر آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها ، وما نلت من دنياك فلا تكثرن به فرحاً، وما فاتك منها فلا تأس عليه حزناً، وليكن همك فيما بعد الموت»[٥]

وفي هذا تأكيد على الحرص على العمل لما بعد الموت أي للآخرة.

ومن أمراض الغفلة :

داء العجب[٦] :

حيـن استغـرق القوم مشاهدة النعم وعميـت بصائرهم عن المنعم، وشغلـوا أنفسهم بالخلق عن

١- انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ٢٤٦/٢

٢- المصباح المنير في تهذيب تفسير بن كثير ، ص٤٥٤

٣- التوبة: ٣٨

٤- تفسير تيسير الكريم الرحمن ٧٧/٢

٥- صفة الصفوة ١٠٩/١

٦- د.خالد أحمد أبو شادي، صفقات رابحة كيف تحجز مقعداً في الجنة، دار البشير للثقافة والعلوم ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ، ص ١٨٩

الخالـق ، وغـاب عنهم أنـه ما أنعم عليهم إلاّ ليدلهـم على نفسه ، وما شملهـم بفضله إلاّ ليسلكوا طريق شكره، ظهر فيهم داء العجب

ولذلـك تـزداد الغفلة عـن الآخرة فيمن استشـرى فيهم داء العجـب ، ويجد إبليـس ضالته فيمن أصابهم هذا الداء[١].

وما العجب إلاّ الغرور ، والمغرور إنسان نفخ الشيطان في دماغه ، وطمس من بصره، وأضعف من ذوقه ، فهو مخلوق مشوه[٢].

يقـول الله تعالـى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾[٣] . يقـول صاحب الظـلال: «مطلع قـوي يهز الغافلين هزا . والحسـاب يقترب وهم في غفلـة . والآيات تعرض وهم معرضـون عـن الهدى . والموقـف جد وهم لا يشعـرون بالموقـف وخطورته ... (لاهيـة قلوبهم) والقلوب هي موضع التأمل والتدبر والتفكير .

إنهـا صـورة للنفوس الفارغة التي لا تعرف الجـد ، فتلهو في أخطر المواقـف ، وتهزل في مواطن الجد؛ وتستهتر في مواقف القداسة»[٤].

ويبـدو أن هذه الصورة تجسد الواقع الذي يعيشه الناس اليوم، يواجهون اقتراب الحساب بالغفلة، وهؤلاء موجودون في كل زمان .

جـاء رجـل لعامر بن ربيعة[٥] فأكرم مثواه .. ثم جاءه هذا الرجـل وقد أصاب أرضاً فقال له : إني استقطعـت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وادياً في العرب. وقد أردت أن أقطع لك منه قطعةً تكـون لك ولعقبك من بعدك، فقـال عامر : لا حاجة لي في قطيعتك. نزلت اليوم سورة[٦] أذهلتنا عن الدنيا: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾[٧]

وهذا هو فرق ما بين القلوب الحية المتلقية المتأثرة، والقلوب الميتة المغلقة الخامدة. التي تكفن ميتها باللهو ؛ ولا تتأثر بالذكر لأنها خاوية من مقومات الحياة[٨].

١- انظر: صفقات رابحة ، ص١٨٩

٢- انظر : د. مصطفي السباعي - هكذا علمتني الحياة – دار السلام للطباعة والنشر - السادسة ١٤٣١هـ / ٢٠١٠ م - ص ٢٠.

٣- الأنبياء: ١

٤- سيد قطب . في ظلال القرآن - بيروت - لبنان ، الطبعة السابعة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، ٥١٦/١٣

٥- عامر بن ربيعة بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة ، أحد السابقين الأولين ، هاجر إلى الحبشة ، ثم هاجر إلى المدينة ، شهد بدراً ومن بعدها مات سنة اثنين وثلاثين ، وقيل سبع وثلاثين، كان موته بعد مقتل عثمان رضي الله عنه بأيام . انظر الإصابة في تمييز الصحابة لشهاب الدين أبي الفضل أحمد علي بن محمد علي العسقلاني ، طبعة دار الفكر ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ٢٤٩/٢.

٦- سورة الأنبياء

٧- الأنبياء: ١

٨- في ظلال القرآن ٥١٧/١٣

يقـول القرطبي عن آية سورة الأنبيـاء: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ابتداء وخبر وفيه وجهان: أحدهما : ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ يعني بالدنيا عن الآخرة . والثاني : « عن التأهب للحساب وعمـا جاء بـه محمد صلى الله عليه وسلم[1]. وقال النسفـي : «﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عن حسابهم وعمـا يفعل بهم، ثـم (مُّعْرِضُونَ) عن التأهـب لذلك اليوم ، فالاقتراب عـام ، والغفلة والإعراض يتفاوتـان بتفاوت المكلفين ، فرب غافل عن حسابه لاستغراقه في دنياه وإعراضه عن مولاه ، ورب غافـل عن حسابه لاستهلاكه في مـولاه وإعراضه عن دنياه فهو لا يفيق إلا برؤية المولى، فالواجب عليـك أن تحاسـب نفسك قبل أن تحاسب ، وتتنبـه للعرض قبل أن تنبه ، وتعرضـ عن الغافلين ، وتشتغل بذكر خالق الخلق أجمعين لتفوز بلقاء رب العالمين»[2].

وتنـاول الطبـري الغفلة التي يصاب بها النـاس بقوله: «لايعتبرون ولا يتفكـرون في وعده ووعيده، ولكـن يستمعونـه وهم يلعبـون ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾[3] أي غافلـة»[4] إلا أن صاحـب الأساس في التفسيـر يـرى أنه وبرغم أن الآيات المتقدمة تتحدث عن الكافرين ؛ إلا أن فيها فوائد لخصها في الآتي :-

كثير من أخلاق الكافرين يمكن أن يبتلى بها المؤمنون، ومن ثم فان على المسلم أن يلاحظ نفسه متخلقاً به وهو لا يشعر.

بمناسبـة قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ أي القلب اللاهـي : المشغول بزينة الحياة وزهرتها ، الغافل عن الآخرة وأهوالها[5].

لذلـك فالمؤمن العامل ينبغي له أن يجعل مقصـوده، وغايته التي يعمل لأجلها ، الوصول إلى الله ، والى دار كرامته، فذلك يكون عمله خالصاً نافعاً، وبفواته يكون عمله باطلاً[6].

ومن كل ما تقدم يتبين أن القرآن مملوء من التزهيد في الدنيا والإخبار بخصتها وقلتها وانقطاعها، و سرعة فنائها، والترغيب في الاخرة والاخبار بشرفها ودوامها، فإذا أراد الله بعبد خيراً أقام في قلبه شاهداً يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيثار[7].

١- تفسير القرطبي ١٣١/٦.

٢- تفسير النسفي للإمام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي دار الكتاب العربي بيروت – لبنان ، طبعة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ٧١/٣.

٣- الأنبياء: ٣

٤- تفسير الطبري ٥٦٦٨/٧.

٥- أنظر: الأساس في التفسير ، سعيد حوَّي، دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة السابعة ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩م، ٤/ ٤٨ – ٥٠

٦- أنظر : تفسير الكريم الرحمن ٣٨٦/٤-٣٨٧.

٧- مدارج السالكين ، ٨/٢.

وأبلـغ ما رأيت في تصويـر مشهد سورة الأنبياء، ما ذكره سيد قطب فـي مقدمة تفسيره للسورة : «والسيـاق في سـورة الأنبياء يبدأ بمطلع قوي الضربات، يهز القلوب هـزاً، وهو يلفتها إلى الخطر القريـب المحدق، وهي عنـه غافلة لاهية[١] ومثل هذا التعبير يثير الخـوف في النفوس، ونجد أن صاحـب مـدارج السالكين أثنـى على الخوف في النفوس وبين فوائده بقوله: الخـوف يثمر الورع والاستعانـة وقصر الأمل ، وقـوة الإيمان بلقاء الآخرة تثمر الزهـد[٢]. فالإنسان يصحو كل صباح على آمال عراض ، وينسى أنه مهما سعى لتحصيلها فلن يدرك منها إلا ما كتب له.

وعلينا أن ندرك أن طول الأمل كان سبباً في هلاك كثير من الأمم قال النبي صلى الله عليه وسلم: «صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ، ويهلك آخرها بالبخل والأمل»[٣].

ونخلص إلى أن طول الأمل هو سبب الغفلة عن الآخرة ، حتى أننا نجد بعض المسلمين يطمعون في تحصيل آمال عراض ، دون ربطها . بمشيئة الله ، ودون أدنى تفكير في الموت. وقصر الأمل سببه التفكر في المآل ، وهول السؤال، لذلك نجده يرتبط بالزهد ارتباطاً وثيقاً.

والعلاقة بين الحياتين الدنيا والاخرة علاقة وثيقة، لان المسئولية الاجتماعية في الدنيا هي نتيجة لازمـة لعلاقـة المسئولية في الاخرة، وتتطابق معها ، وهي الحلقة التي تربط بين مواقف الانسان في الدنيا والاخرة وتجعلهما طورين متعاقبين من الابتلاء والجزاء[٤]

لـذا يجـب العمل لكليهمـا ، لتكون الدنيا مطيـة الاخرة ، فاستحبـاب الحياة الدنيـا علي الاخرة، يستصطـدم بتكاليـف الايمان ويتعارض مـع الاستقامة علـي الصراط. وليس الامـر كذلك حين تستحـب الاخـرة، لانه عندئذ تصلح الدنيا ، ويصبح المتاع بهـا معتدلاً، ويراعى فيه وجه، فلا يقع التعارض بين استحباب الاخرة ومتاع الدنيا[٥].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «خط النبي صلي الله عليه وسلم خطوطاً فقال : «هذا الأمل وهذا اجله فبينما هو كذلك اذ جاءه الخط الأقرب»[٦]

والخط الاقرب هو الاجل، لذا لابد من العمل لاجل الآخرة.

١- في ظلال القرآن ، طبعة دار الشروق ، الطبعة الأولى ١٩٧٢، ٢٣٦٦/٤.

٢- مدارج السالكين ، ٢٠/٢.

٣- رواه أحمد في الزهد والطبراني في الأوسط، صحيح الجامع ٣٨٤٥.

٤- موسوعة نضرة النعيم في مكارم اخلاق الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم - اعداد مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن عبد الله بن حميد امام وخطيب الحرم المكي، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملوح، دار الوسيلة للنشر والتوزيع - السعودية الطبعة السابعة ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م ، ٤/١

٥- في ظلال القران ٤ / ٢٠٨٦

٦- أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب في الامل وطوله ، ٧ / ١٧١

الخاتمة

وتشمل على أهم النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج:

تنـاول المبحث الأول: كيف أن كثيراً من الناس يحرصـ على الحياة الدنيا، ويعيش لدنياه فقط، وهذا ما عرف بطول الأمل، وأثبت البحث أنه مذموم لأنه يرتبط بالغفلة عن الآخرة.

- كما بين أن صاحب الأمل الطويل يركن غالباً إلى الشهوات والملذات، ولا يتحرك قلبه لآيات الله، ولا لحديـث رسـول الله صلـى الله عليه وسلـم لهذا جـاء تحذير الرسول صلـى الله عليه وسلم من طول الأمل.
- أوضح البحث أن طول الأمل داء عضال ومرض مزمن كما سماه أحد المفسرين.
- أكـد البحـث أن الأمل يكسل عن العمل، ويورث التراخي والتواني، كما أن قصر الأمل يبعث على العمل، ويحيل على المبادرة، ويحث على المسابقة.
- ركز البحث على أهمية ذكر الله تعالى وبين أنه من أعظم أسباب النجاة من مخاوف عذاب الآخرة، وهو من المنجيات من عذاب الدنيا ومخاوفها.
- أوضح البحث اهتمام السلف الصالح بذكرى الموت، وكيف أنه يزهد في الدنيا، ويرغب في الآخرة.
- وتناول المبحث الثاني: حقارة الدنيا، والزهد فيها. فالزاهد لا يفرح من الدنيا بموجود، ولا يأسف منها على مفقود.
- أوجب البحث على العبد في حال صحته أن يكون خائفاً راجياً.
- حذر البحث من الفتنتين؛ الدنيا والنساء.
- أكد البحث الخسران المبين لمن جعل الدنيا همه، وغفل عن الآخرة.
- أبرز البحث ذم القرآن الكريم لمن هم عن الآخرة هم غافلون.
- كما بين أهم أمراض الغفلة، وهو (داء العُجب).

ثانياً التوصيات:

(١) الاهتمـام برسائل تذكر بحقارة الدنيا والعمل للآخرة كرسائـل (كفى بالموت واعظاً) ونحو ذلك.

(٢) تغذيـة النفـس البشريـة بالقيـم الروحية، الذي يحد مـن انطلاقها وراء الأمـل الذي يؤدي للهلاك في الدنيا والآخرة.

هيفاء الكردي

الفرقة بالخُلع وآثارها الشرعية

مقدمة البحث.

الحمد لله الذي شرح قلوب العارفين بنور هدايته وزينها بالإيمان، أحمده حمد عارف لعظمته مقر بوحدانيته، وأزكى الصلاة وأتم السَّـلام على من خُتمت به الرسالة سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليـه وسلم، المخصوص بإظهار ملته على الملل كلها، ودوام شريعته إلى آخر الدهر ونهايته، وعلى آله الكرام وجميع صحابته وعلى التابعين لهم إلى يوم الدين.

أمـا بعـد فإنني في هذا البحث أحاول قدر المستطاع مناقشة موضـوع الخُـلع، الذي هو أحد طرق إنهـاء العلاقـة الزوجية في الشريعـة الإسلامية، وإنني اخترت الكتابة في هـذا الموضوع لأنه من المواضيـع التـي تبقى متجددة ومتكررة ما دامـت الحياة قائمة ومستمـرة، ويكثر الطرح والجدل حولهـا بين الفينة والأخرى، بالإضافة إلى أن الخلع وأحكامه الشرعية من المواضيع الدقيقة جداً التـي يشتبه بعضهـا ببعض، ويختلف فيها اجتهاد الفقهاء، لذلك فـإن البحث فيه، وبيان تفاصيله من الأهمية بمكان.

وأنـا مـن خلال هذا البحث لا أدعي أنني جئت بشيء جديد مـن حيث المعلومات، فكل ما ذكر في بحثـي موجود في كتب الأئمـة المتقدمين والمتأخرين الذين بحثوا فـي الموضوع، ولكني إن فعلت شيئـاً فـي هذا البحث، فإنما هو في جمع ما ناقشه المتقدمـون والمتأخرون على المذاهب الأربعة المعتمـدة، وصياغة الأفـكار بشكل مترابط، والترجيـح بين الأقوال على ضـوء الأدلة، وعرض ما تناولته عامة القوانين العربية في ذات الموضوع.

وإنني في عملي هذا أسأل الله تعالى الخلاص والتوفيق.

خطة البحث:

المبحث الأول: مفهوم الخُلع.

المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي.

المطلب الثاني: مشروعية الخُلع.

فرع: مشروعية الخلع في الكتاب والسنة والإجماع والمعقول.

فرع: مشروعية أخذ العوض من الزوجة للفرقة بالخلع.

فرع: مشروعية إمساك المرأة ضراراً لتختلع.

المطلب الثالث: الحكمة من تشريع الخُلع.

المبحث الثاني: الطبيعة الفقهية للخلع.

المطلب الأول: التكييف الفقهي للخلع.

المطلب الثاني: الأحكام المبنية على كون الخلع يميناً أو معاوضة.

المطلب الثالث: طبيعة الفرقة الثابتة بالخُلع.

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على الفرقة بالخُلع.

المطلب الأول: المهر.

المطلب الثاني: العدة.

المطلب الثالث: نفقة العدة.

المبحث الرابع: الاتجاه القانوني في الخُلع (المخالعة الرضائية)

المطلب الأول: الخلع في بعض قوانين الأحوال الشخصية العربية.

المطلب الثاني: حكم الخُلع بحاكم وبدون حاكم.

المطلب الثالث: صاحب الحق في الفرقة.

خاتمة.

المبحث الأول: مفهوم الخُلع

المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي

أولاً: في اللغة

الخَلع بالفتح مصدر خَلع يَخلع على وزن مَنع يَمنع، من خلع الرجل ثوبه ونعله وقائده، وخَلَعَ امرأته خُلعاً بالضم، وخُلع الوالي أي عُزل، وخالعت المرأة بعلها: أرادته على طلاقها ببذل منها له، فهي خالع، والاسم الخُلع بالضم، وقد تخالعا واختُلعت فهي مخْتَلَفة.

والخَلع هو استعارة من خلع اللباس، لأن كل واحد منهما -أي الزوجين- لباس للآخر فإذا فعلا ذلك فكأن كلّ واحد منهما نزع لباسه عنه، ففي قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[1] وفي الدعاء «ونخلع ونهجر من يكفرك» أي نبغضه ونتبرأ منه.

ويطلق الخلع في اللغة على عدة أمور، منها: فصل القبيلة رجلاً منها سلوكه حتى لاتتحمل جريرته، فهو خليع ومخلوع، ومنها: التِواء العرقوب[2] وانتقاله من محله، كما يطلق على النزع والإزالة[3].

ثانياً: في الاصطلاح.

أطلق الفقهاء الخُلع بضم الخاء على فصم عروة النكاح المنعقدة بين الزوجين، ومفارقة الرجل زوجته بعوض منها أو من غيرها، وربما أراد به بعضهم الطلاق على مال فانحصرت أقوالهم في معناه على النحو التالي:

- تعريف الحنفية: إزالة ملك النكاح المتوقف على قبولها بلفظ الخُلع أو ما في معناه[4].
- تعريف المالكية: إزالة العصمة بعوض من الزوجة أو غيرها[5].
- تعريف الشافعية: فِرقة بين الزوجين بعوض بلفظ طلاق أو خلع[6].
- تعريف الحنبلية: فِراق الزوج امرأته بعوض يأخذه منها أو من غيرها بألفاظ مخصوصة[7].

ومن خلال هذه التعاريف المتقاربة يمكن اعتبار الخلع:

إزالة ملك النكاح من الزوج بلفظ الخلع أو ما في معناه

مقابل عوض تلتزم به الزوجة أو غيرها للزوج

١- البقرة: من الآية ١٨٧

٢- العرقوب: العصب الغليظ الموتر فوق عقب الانسان الصحاح في اللغة مادة (عرقب)

٣- الصحاح في اللغة، القاموس المحيط، لسان العرب، المصباح المنير، مادة (خلع).

٤- حاشية ابن عابدين (٧٦٦/٢) وما بعدها، فتح القدير (١٩٩/٣)، اللباب (٦٤/٣)،المبسوط (١٧٢/٦).

٥- حاشية العدوي (٢٣٨/٥).

٦- مغني المحتاج (٢٦٢/٣)، المجموع شرح المهذب (٥٣/١٧).

٧- المغني لابن قدامة (٦٧/٧)، شرح منتهى الارادات (١٠٧/٣)، كشاف القناع (٢٣٧/٥).

المطلب الثاني: مشروعية الخُلع.

فرع: مشروعية الخلع بالكتاب والسنة والإجماع

أجـاز فقهـاء المذاهب الأربعة الخُلـع عموماً عند توافـر أسبابه، واستدلوا علـى ذلك من الكتاب والسنة والإجماع[١].

فأمـا الكتاب ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ...﴾[٢]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[٤]

وجلي أن هذه الآيات الكريمة أباحت الفرقة بين الزوجين دفعاً للضرر مع تعويض الزوج عما أنفقه في الزواج[٥]

وأما من السنة النبوية الشريفة فما رواه البخاري والنسائي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «أَنَّ امْرَأَةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ مَا أَعْتِبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلا دِينٍ وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الإِسْلامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْبَلِ الْحَدِيقَةَ وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً»[٦].

وروى أبـو داود والترمذي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهمـا «أَنَّ امْرَأَةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ اخْتَلَعَتْ مِنْهُ فَجَعَلَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- عِدَّتَهَا حَيْضَةً»[٧]

وفـي مرسـل أبي الزبير عند الدارقطني والبيهقي «أَنَّ ثَابِتَ بْنَ قَيْسِ بْـنِ شَمَّاسٍ كَانَتْ عِنْدَهُ زَيْنَبُ بِنْـتُ عَبْدِ اللَّهِ بْـنِ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ، وَكَانَ أَصْدَقَهَا حَدِيقَةً، فَكَرِهَتْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَتَرُدِّيـنَ حَدِيقَتَهُ الَّتِي أَعْطَاكِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ وَزِيَادَةً، فَقَـالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: أَمَّا الزِّيَادَةُ

١- حاشية ابن عابدين (٧٦٧/٢)،المبسوط (١٧١/٦)، بداية المجتهد (٦٦/٢)، المدونة الكبرى (٢٣١/٢)، مغني المحتاج (٢٦٢/٣)، المهذب (٧٥/٢)،المغني (٥١/٧).

٢- البقرة: من الآية٢٢٩

٣- النساء:٤

٤- النساء: من الآية١٢٨

٥- تفسير ابن جرير (١١٠/٨-١٣٢)

٦- صحيح البخاري-باب الخُلع وكيفية الطلاق فيه- رقم الحديث (٤٩٧١)،سنن النسائي - باب الطلاق - رقم الحديث (٣٤٦٣)، وقال: حديث حسن غريب. وقد ذكر ابن حجر أنه في مرسل أبي الزبير عند الدارقطني والبيهقي ما نصه: (أتردين عليه حديقته التي أعطاك قالت نعم وزيادة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: أما الزيادة فلا ولكن حديقته، قالت: نعم فأخذ ماله وخلى سبيلها) انظر فتح الباري ٣٣٢/٩.

٧- سنن أبو داود - رقم الحديث (٢٢٣١) واللفظ له،سنن الترمذي - رقم الحديث (١١٨٥)

فَـلاَ وَلَكِـنْ حَدِيقَتَهُ، قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخَذَهَا لَهُ وَخَلَّى سَبِيلَهَا فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ قَالَ قَدْ قَبِلْتُ قَضَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله تعالى عليه وسلم»[1]

وأمـا الإجماع، فقـد أجمع أهل العلم[2] علـى مشروعية الخُلع، ولم يخالف هـذا الإجماع سوى أبو بكر بن عبد الله المزيني، حيث كان يرى أن الخُلع حرام، فلا يحل للزوج أن يأخذ من زوجته شيئاً مقابل إطلاق سراحها[3].

و روى هـذا الإجماع كثيـرون، فقد ذكر في المغني قوله: «وإنه قول عمر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم لم نعرف لهم في عصرهم مخالفاً، فيكون إجماعاً»[4].

هـذا دليل الإجماع، والإجماع حجـة قاطعة إذا استقل بنفسه، فما بالـك إذا كان مستنداً ومدعماً بالقرآن والسنة المطهرة الصحيحة كما تقدم.

وكذلـك استدلـوا على جوازه بالمعقـول، ذلك أن ملك النكاح حق الزوج، وقـد تم باتفاق الزوجين على مال دفعه للزوجة (مهر)، فينحل باتفاقهما أيضا على عوض ترده إليه، فجاز له أخذ العوض عنه كالقصاص[5].

فرع: مشروعية أخذ العوض من الزوجة في الخلع

عوض الخلع هو: ما يأخذه الزوج من زوجته في مقابل خلعه لها، وقد ذهب المالكية والشافعية إلى جـواز أخذ الزوج عوضاً مـن امرأته في مقابل فراقه لها، سواء كان العوض مساوياً لما أعطاها أو أقـل أو أكثـر منه، ما دام الطرفـان قد تراضيا على ذلك، وسـواء كان العوض منها أو من غيرها، وسواء كان العوض الصداق نفسه أو مالا آخر غيره أكثر أو أقل منه[6]

وذهـب الحنبليـة إلى أن الزوج لا يستحب له أن يأخذ منها أكثر مما أعطاها، بل يحرم عليه الأخذ إن عضلها ليضطرها إلى الفداء[7]

وفصـل الحنفيـة، فقالـوا: إن كان النشوز من جهة الـزوج كره له كراهة تحريـم أخذ شيء منها، لقولـه تعالـى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا

١- سنن الدارقطني- رقم الحديث (٢٢١)، (٣/ ٢٦٤)، وسنن البيهقي- رقم الحديث (١٤٦٢٦) - (٣١٤/٧)

٢- تبيين الحقائق (٢/ ٢٦٧) - بداية المجتهد (٢/ ٥٧) . مغني المحتاج (٣/ ٢٦٢)

٣- الشرح الكبير (٢٤٦/٧)

٤- انظر المغني مع الشرح الكبير (١٧٤/٨).

٥- تبيين الحقائق (٢٦٧/٢)، بداية المجتهد (٥٧/٢)، مغني المحتاج (٢٦٢/٣)، حاشية القليوبي (٣٠٧/٣)، نهاية المحتاج (٣٨٦/٦)، تحفة المحتاج (٤٥٧/٧)، حاشية البجيرمي علي الخطيب (٤١٢.٤١١/٣)، فتح الباري (٣٩٥/٩).

٦- حاشية الدسوقي (٣٥٦/٢)

٧- المغني (٥٢/٧)

﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[1]. ولأنه أوحشها بالفراق فلا يزيد إيحاشها بأخذ المال.

وإن كان النشوز من قبل المرأة لا يكره له الأخذ، وهذا بإطلاقه يتناول القليل والكثير، وإن كان أكثر مما أعطاها، لقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾[2].

وقال القدوري: «إن كان النشوز منها كره له أن يأخذ منها أكثر مما أعطاها، لقوله صلى الله عليه وسلم في امرأة ثابت بن قيس: «أمّا الزّيادة فلا»[3] وقد كان النشوز منها، ولو أخذ الزيادة جاز في القضاء، وكذلك إذا أخذ والنشوز منه، لأن مقتضى ما ذكر يتناول الجواز والإباحة، وقد ترك العمل في حق الإباحة لمعارض، فبقي معمولاً به في الباقي»[4].

وهنا أرى رجحان قول الحنفية، لأنه أكثر تفصيلاً وعدلاً بحق المرأة، فليس من العدل أن يقع على المرأة التي لم تسئ لزوجها عقابان، أحدهما هدم حياتها الزوجية والأسرية، والثاني دفعها للمال، فعلى الأقل لو أن هذا حدث معها وأرغمت على الدفع مع أن النشوز لم يكن منها فإنه مما يهدئ روعها أن تعلم أن في فعل زوجها ارتكاباً لمحرم شرعاً.

وهذا الخلاف يسوقني إلى ذكره الفقهاء في شروط العوض، فقد اتفقوا على أن كل ما جاز أن يكون مهراً جاز أن يكون بدل خلع[5]. وعليه فإنه يجوز في عوض الخلع أن يكون مالاً معيناً أو موصوفاً، ويجوز أن يكون ديناً للمرأة على الزوج تسقطه عنه فتفتدي به نفسها، ويجوز أن يكون منفعة، وذلك كأن يخالعها على إرضاع ولده منها أو من غيرها بدون بدل مدة معلومة معينة، كما ذكر المالكية والشافعية، كما أضاف الحنبلية[6]، بشرط أن يكون ذلك الحق حقاً للزوجة، أما لو كان العوض حقاً من حقوق الله تعالى، فإنه لا يجوز اعتباره عوضاً، لذا لا يجوز اعتبار إخراج المرأة من مسكنها الذي طلقت فيه عوضاً للخلع، لأن سكناها فيه إلى انقضاء العدة حق لله تعالى، لا يجوز لأحد إسقاطه لا بعوض ولا بغيره[7].

١- النساء:٢٠

٢- البقرة: من الآية٢٢٩

٣- سبق تخريجه.

٤- تبيين الحقائق (٢٦٩/٢)،البحر الرائق (٨٣/٤)،فتح القدير (٢٠٣/٣-٢٠٤).

٥- الهداية في شرح الهداية (٢٣/٢)، تبيين الحقائق (٢٦٩/٢)، شرح الخرشي (١٣/٤)، حاشية الدسوقي (٣٤٨/٢)، المهذب (٧٤/٢)، روضة الطالبين (٣٨٩/٧)، مغني المحتاج (٢٦٥/٣)، الكافي (١٥٢/٣)، كشاف القناع (٢١٨/٥.

٦- الشرح الصغير (٢٩٨/٢)، شرح الخرشي (٢٢/٤)، حاشية الدسوقي (٣٥٧/٢)، روضة الطالبين (٣٩٩/٧)، الكافي (١٥٦/٣)، المغني (٦٤/٧- ٦٥)

٧- شرح الخرشي (١٥/٤)، شرح الزرقاني (٦٨/٤)، الدسوقي (٣٥٠/٢)، مغني المحتاج (٢٦٥/٣)

كما اتفق الفقهاء على أن العوض في الخلع إن كان معلوماً ومتمولاً ومقدوراً على تسليمه فإن الخلع يعتبر صحيحاً، أما إذا فسد العوض باختلال شرط من شروطه، كاختلال شرط المعلومية، أو المالية، أو القدرة على التسليم، ففي المسألة تفصيل:

إذا كان الخلع بالمجهول وبالمعدوم وبالغرر أو بما لا يقدر على تسليمه، فجمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والحنبلية على صحته، لأنهم يرون جواز العوض المجهول أو المعدوم أو ما سواه في الخلع، لأن الخلع عندهم إسقاط يجوز تعليقه وخلوه من العوض بالكلية، وهو مما يجري فيه التسامح[1].

وقال الشافعية: لا يجوز الخلع على ما فيه غرر كالمجهول، وهو قول أبي بكر من الحنبلية في الخلع بالمجهول وبالمعدوم الذي ينتظر وجوده، وهو قياس قول أحمد، وجزم به أبو محمد الجوزي، لأنه عقد معاوضة، فلا يجوز على ما ذكر، كالبيع والنكاح، فلو خالع بشيء مما ذكر بانت منه بمهر المثل، لأنه المراد عند فساد العوض[2].

فرع: مشروعية الخُلع بلا عوض

إحتلف كان الفقهاء في حكم الخُلع من غير عوض على أقوال:

ذهب الحنفية إلى أن الزوج إذا خلع زوجته من غير بدل، كأن قال لها خلعتك دون أن يذكر بدلاً ما، أو نصّ على نفي البدل، كان خلعه باطلاً، وليس معنى هذا أن عبارته لغو مطلقاً، بل ينظر، إن كان نوى في خلعه هذا الطلاق، أو دلّت قرائن الحال على ذلك، عدّ ذلك منه طلاقاً بائناً، ولا شيء على الزوجة من العوض، لأن ألفاظ الخُلع كنايات في الطلاق[3]. وكذلك لو رافق لفظ الخُلع العرف كان طلاقاً نافذاً، فإن لم ينو شيئاً، ولم يكن هنالك من القرائن أو العرف ما يدلّ على قصده الطلاق، كان لغواً.

أما المالكية فقد أجازوا الخُلع بعوض وبلا عوض، فقالوا: «بانت مَنْ خالعت زوجها بعوض، بل وبلا عوض»[4].

ولكن إذا كان الخُلع على عوض لزم الزوجة العوض والفُرقة، وإلاّ لزمت الفُرقة ولم يلزم الزوجة شيء من العوض، وذلك لأن المالكية لا يرون البدل في الخُلع ركناً من أركانه.

وأما الشافعية فقد اتفقوا على أن البدل ركن في الخُلع، إلا أنهم لم يشترطوا ذكره، ولكن إذا ذكر

١- فتح القدير (٢٠٧/٣)

٢- المهذب (٧٤/٢)، مغني المحتاج (٢٦٥/٣)، كشاف القناع (٢٢٢/٥)، الكافي (١٥٣/٣)، المبدع (٢٣٣/٧)

٣- حاشية ابن عابدين (٤٨٨/٣)

٤- منح الجليل (١٨٣/٢).

كان للزوج المشروط فقط، وإذا لم يذكر كان له مهر المثل –كما تقدم–، فإذا نفى البدل صراحة بطل الخُلع، وكانت الفرقة طلاقاً رجعياً، إذا نوى الزوج به الطلاق، أو دلت قرائن الحال عليه، لأنه كناية في الطلاق، فيقع الطلاق دون نية، فإذا كان كناية ولم ينو به شيئاً، ونفي البدل، بطل الخُلع، وكان لغواً، ولم يقع به فرقة ما.

وفي قول للشافعية إن لفظ الخُلع صريح في الطلاق نظراً لتعارف الناس عليه، فيقع به الطلاق بلا نية، ولكن الأول أصح[1].

والحنبلية يفرقون بين حالين:

الأولى: أن تطلب الزوجة إلى زوجها خلعها فيخلعها، كأن تقول له: اخلعني فيقول لها: خلعتك، وهنا يصح الخُلع به ويقع موجبه، سواء ذُكِرَ البدل أو لم يذكر، لأن الخُلع ما كان من قبل النساء، فلا يخرجه عن معناه انتفاء البدل ما دام الخُلع من قبلهنّ، لكن إن ذكر بدل لزمها البدل، وإلا فلا شيء عليها.

والثانية: أن يبتدئ الزوج خلع زوجته دون طلب سابق منها، وهنا يشترط ذكر البدل لصحة الخُلع، فإذا ذكر كأن يقول لها: خلعتك على ألف فتقول: قبلت، فقد صحّ الخُلع ولزم موجبه، وإن لم يذكر البدل، كأن يقول لها: خلعتك فقط، لم يصحّ الخُلع، وهنا إذا نوى الزوج به الطلاق، أو قام من القرائن أو العرف ما يرجح نيته ذلك، وقع بقوله ذلك طلقة رجعية، وإلا كان لغواً، لأن لفظ الخُلع وما في معناه كناية في الطلاق، فتقع به طلقة رجعية مع النيّة أو دلالة العرف أو قرائن الحال[2].

فرع: حكم إمساك المرأة ضراراً لتختلع:

اختلف أهل العلم في حكم صحة الخُلع حال عضل الزوج لزوجته حتى تختلع، وفي حكم استرداد العوض من الزوج، وكانوا في ذلك على قولين:

القول الأول: وهو قول مالك، والشافعية والحنبلية، وبه قال بعض الصحابة والتابعين[3] أن الخُلع باطل والعوض مردود، لأنه عوض أكرهت المرأة على بذله بغير حق، فلم يستحق، كالثمن في البيع، والأجرة في الإجارة، والخُلع هنا يبطل ويصبح طلاقاً رجعياً، لأن الرجعة إنما سقطت لأجل ملكية المال، فإذا لم يملك المال كان له الرجعة[4].

١- مغني المحتاج ٢٦٨/٣.

٢- المغني ١٩٤/٨ ـ ١٩٥.

٣- من هؤلاء الصحابة والتابعين عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، والشعبي والنخعي، والقاسم بن محمد وعروة وعمرو بن شعيب والزهري وغيرهم. انظر المجموع شرح المهذب (٦/١٧)، المغني (٥٤/٧-٥٥)

٤- المجموع شرح المهذب (٦/١٧)، المغني (٥٤/٧-٥٥)

واشتـرط مالك لصحـة المخالعة أن يكون الخُلع اختياراً من الزوجة وحباً في فراق الزوج من غير إكراه أو ضرر، فإن سقط أحد هذين الشرطين نفذ الطلاق ولم يلزم البدل[١].

القول الثاني: وهو قول الحنفية: الخُلع صحيح ويلزم العوض، ويعتبر الزوج آثماً عاصياً[٢].

دليل القول الأول:

استـدل أصحاب القول الأول بقوله تعالـى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾[٣]، وكذلـك قولـه تعالـى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾[٤]

وكلا الآيتيـن الكريمتين تدلان على عدم جواز أخـذ العوض إلا بسبب، وهو عدم إقامة حدود الله، وهـو هنـا أخذ الزوج للعوض في مقابـل إكراهها على ذلك، فهو داخل في النهـي الذي بينته الآية الكريمة.

دليل القول الثاني:

استـدل الحنفيـة جرياً علـى قاعدتهم بأن النهي ورد علـى أمر خارج عـن ذات المنهي عنه، ففي الآيـات السابقة الذكر نهى الله تعالى عن العضل والإمساك ضراراً، ولكن الخُلع من حيث هو عقد خـارج عن حقيقـة المنهي عنه قياسـاً على البيع وقت النـداء من يوم الجمعة، فيكـون مكروهاً لا باطلاً.

والسبـب فـي عدم استرداد العوض من الزوح أنه أسقط ملكه عنها بعوض رضيت به، وهو من أهل الإسقاط، أما المرأة فهي من أهل المعاوضة[٥].

والراجـح بحسب مـا أراه والله تعالى أعلم هو مـا ذهب إليه الحنفيـة، إذ إن عناصر وقوع الفرقة بالخلـع متوافـرة، سواء كان بإكراه الزوجـة أو عدمه، ووقوع الخلع إنما هـو مرتبط بتوفر عناصر الخلـع، ألا وهـي صدور ألفاظ مخصوصة من الزوج في مقابـل عوض مالي من الزوجة أو غيرها، أمـا مسألـة أن العوضـ المالي الذي أخذ من الزوجـة بإكراه أو من دون إكـراه فهو أمر خارج عن ذلـك، فيكـون مكروهاً لا باطلاً. تعليق المجلة: هذا إجتهاد في مورد النص ما ذكره الجمهور نص في المسألة أليس هذا معنى قوله تعالى ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ماأتيتموهن.

١- بداية المجتهد (٦٨/٢)

٢- حاشية ابن عابدين ٧٧٢/٢.

٣- البقرة: من الآية٢٢٩

٤- النساء: من الآية١٩

٥- بدائع الصنائع (١٩٠/٤)

المطلب الثالث: الحكمة من تشريع الخُلع:

يعـد الخُلـع رمزاً من رمـوز العدالة في الشريعـة الإسلامية ووسطيتها ودقتها فـي تحقيق التوازن بيـن التشريعات التي تنظم حياة البشر، وتضع الضوابط لتقويمها دون إفراط ولا تفريط، وهو في الوقـت نفسه علاج لحالات قد تحدث فجأة في مسيرة الأسـرة، فقد تكره المرأة خلقاً من الزوج، أو قـد يعرضـ لها ما يجعلها لا تطيق الاستمرار معه في حياتهـا الزوجية، وقد لا يكون لذلك الأمر سبب واضح ومباشر، فعندئذ تخشى المرأة أن لا تستطيع القيام بواجباتها الزوجية، فتزيد الشقة بينهـا وبيـن زوجها، وتتعثر بينهما الحيـاة الزوجية، فحتى لا تعيش المرأة بيـن سندان الإحساس بالذنـب تجاه كونهـا غير قادرة على القيام بحقوق الزوجية، ومطرقة عدم مقدرتها على الحصول علـى الطـلاق الذي هو بيد الـزوج أصلاً، فقد شرع تعالـى الخُلع ليكون وسيلة لوقـف الشقاق بين الزوجيـن، تحصل بـه المرأة على ما طلبت، وذلك في مقابل العوضـ الذي تعطيه للزوج الذي لم تبدر منه إساءة لها، ثم إن الزواج معاوضة كما يذهب إليه عامة الفقهاء، والمعاوضات كلها تجري فيها الإقالة بتراضي الطرفينن، فكذلك الخلع.

وإننـي أرى أن الخُلـع حالة من حالات الفراق الهادئ بين الزوجيـن-أو هذا ما يجب أن يكون عليه الحـال لعـلاج مشكلة أسرية قد لا يكـون لأحد الطرفين فيها يد، فالمـرأة إذا تكشَّف لها عيب في زوجهـا، أو خلـق لم تعد تستطيـع معه الحياة، فإنها تلجـأ إلى هذا الأمر الـذي شرعه الله تعالى، حتـى لا تضطر للدخول في دوامة المشاكل الزوجية، وعدم القيام بحقوق الله تعالى وحقوق الزوج والأسـرة، ولـو أننا تأملنا قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ ...﴾[1] لوجدنا أن في عدم إقامة حدود الله تعالـى إثمـاً عظيماً يجب تجنبه، ويكون بذلك من الأفضل أن يحـل التفريق بينهما على الرغم من كونـه مكروهاً أو خـلاف الأولى عملاً بأصل الطلاق، لقوله عليه الصلاة والسلام: «أَبْغَضُ الْحَلالِ إِلَـى اللَّهِ الطَّـلاقُ»[2]، ولكن مـع ذلك فهو أقل بغضاً من عدم إقامة حـدود الله، وذلك بدلالة الآية الكريمة، وقد فصل هذا الموضوع بوضوح من حادثة ثابت بن قيس السابقة.

المبحث الثاني: الطبيعة الفقهية للخلع

المطلب الأول: التكييف الفقهي للخلع

اختلـف الفقهاء في التكييـف الفقهي لطبيعة الخُلع، أهو يمين أم معاوضة، واختلفوا تبعاً لذلك في كثيـر مـن الأحكام المتعلقة بالخُلع، لأن لكلٍّ من اليميـن والمعاوضة أحكاماً خاصة به في انعقاده، وآثاره تختلف عن الآخر، وفيما يلي تفصيل هذا الاختلاف.

١- البقرة: من الآية٢٢٩

٢- سنن أبو داود – باب كراهية الطلاق – رقم الحديث (٢١٨٠)

أولاً: الحنفية:

انقسم الحنفية فيما بينهم إلى قولين:

الأول: قـول الإمـام أبـي حنيفة - وهو المرجح فـي المذهب - حيث ذهب إلـى أن الخُلع ذو طبيعة مزدوجة، فهو يمين من جهة الزوج، و معاوضة من جهة الزوجة.

الثاني: قول الصاحبي أبي حنيفة أبي يوسف القاضمي ومحمد بن الحسن الشيباني الفقيه ، حيث ذهبا إلى أنه يمين من كلا الجانبين.

أمـا دليـل الإمام أبي حنيفة في اعتباره الخلع مشتركا بين اليميـن والمعاوضة أن الحاصل حقيقةً من الزوج إنما هو يمين بالطلاق معلق في المعنى، فإن قوله: «خالعتك على ألف» يساوي قوله لها: «إن أعطيتني ألفاً فأنت طالق»، وهذا يمين بالإجماع، فيكون ذلك مثله، وأما الحاصل من الزوجة، فإنمـا هـو معاوضة، ذلـك أن الطلاق ليس إليها، فلا يكـون قولها يميناً، ثم هـي تدفع بدلاً مقابل فكاك نفسها من الزوجية، وهو معنى المعاوضة، فيكون كذلك في حقها.

وأمـا دليـل الصاحبيـن لاعتبار الخُلع يمينـاً مطلقاً، فهـو أن الحاصل من الزوج يميـن لما تقدم، والحاصـل من المرأة إنما هو تتمة اليمين، إذ لا فائدة من تعليق الزوج إذا لم توافق الزوجة عليه، فالمعنى أن الزوج يقول لزوجته: «أنت طالق إن شئت» فتقول: «شئت»، فيكون جوابها متمِّماً لليمين، وموقعـاً لـه، لا معاوضـة مستقلة، والبدل هنا إنمـا هو تبرع منها دون مقابل، ذلـك أن البضع غير متقوم في حق خروجه من ذمة الزوج، بخلاف دخوله في ذمّته، فهو متقوّم عليه، بدليل أنه لو عقد عليها دون مسمى ثبت لها مهر المثل بالاتفاق، ولكن إذا ماتت قبل الدخول أو بعده لم يسترد الزوج شيئاً مما أعطاها بالاتفاق، رغم خروج البضع عن ملكه بسبب ليس من قبله[1].

ثانياً: المالكية

يـرى المالكيـة الخُلع معاوضة من الجانبيـن مطلقاً، لأنه تسليم للبضع مقابل بـدل، فالزوج يسلّم البضع والزوجة تسلّم البدل، وهو آية المعاوضة[2].

ثالثاً: الشافعية

تعـددت أقوال الشافعيـة في تكييفهم الشرعي للخلع، أهو معاوضة أم يمين، وذلك تبعاً لاختلافهم في طبيعته أهو فسخ أو طلاق.

فعلى القول بأنه طلاق - وهو الراجح والأشهر في المذهب - إذا كان الإيجاب من جهة الزوج وكان

١- تحفة الفقهاء (٢/٣٠٠-٣٠١)

٢- الشرح الصغير بحاشية الصاوي (٢/٥١٨) - ط المعارف.

منجزاً عد معاوضة فيها شيء من التعليق، أما أنه معاوضة فلأخذ الزوج مقابل ما يخرج عن ملكه من البضع، وأما أن فيه شيئا من التعليق فلتوقف وقوع الفرقة به على قبول المال.

وإن كان الإيجاب من جهة الزوجة فهو معاوضة فيها شوب جُعالة، لأنها تبذل مالها في مقابل غرض معين هو الطلاق الذي يملكه الزوج وحده.

وإن كان الإيجاب من جهة الزوج وكان بصيغة التعليق فهو تعليق محض من جانبه ليس فيه شوب معاوضة، كأن يقول لها إن أعطيتني ألفاً فأنت طالق فهو تعليق، لأن هذه الصيغة من صيغ التعليق، فلا يلتفت إلى ما فيها من شَوْب المعاوضة[1].

وعلى القول بأنه فسخ -وهو مرجوح في المذهب- فهو معاوضة محضة من الجانبين، إذ لا دخل للتعليق في الفسخ.

رابعاً: الحنبلية

ذهب الحنبلية إلى أن الخُلع إن كان صادراً من الزوج بصيغة التعليق كان تعليقاً، وإن كان صادراً منه بصيغة التنجيز، أو كان صادراً من الزوجة، كان معاوضة في حقهما معاً[2].

المطلب الثاني: الأحكام المبنية على التفرقة بين كون الخُلع يميناً أو معاوضة

أولاً: على اعتبار أن الخُلع يمين من جانب الزوج تترتب الأحكام التالية:

١- إذا ابتدأ الزوج الخُلع فأوجبه لم يكن له الرجوع عنه قبل قبول الزوجة، لأنه تعليق منه للطلاق على رضاها، فلم يكن له الرجوع عنه، بخلاف ما لو كان معاوضة، فإن الموجب فيها مخيّر في الرجوع وعدمه قبل قبول الثاني.

٢- لا يصحّ اشتراط خيار الشرط من قبل الزوج، فإن اشترط لنفسه ذلك كان لغواً، لأن الأيمان لا تحتمل ذلك، بخلاف المعاوضات، فإنها تقبل خيار الشرط استحساناً على خلاف القياس.

٣- لا يبطل إيجاب الزوج الخُلع بتغيّر مجلسه قبل قبول الزوجة، لأن الأيمان لا تحتاج إلى وحدة المجلس، بخلاف المعاوضات، فإن من شرط انعقادها اتحاد مجلس الإيجاب والقبول.

٤- للزوج أن يضيف إيجابه إلى زمن أو يعلقه على شرط، لأنه يمين، واليمين تقبل ذلك، بخلاف ما لو كان معاوضة، فإن من شرطها التنجيز.

ثانياً: على اعتبار أن الخُلع معاوضة من جانب الزوجة تترتب الأحكام التالية:

١- أن تكون الزوجة سامعة إيجاب الزوج عالمة بمعناه، فلو خاطبها بلغة لا تفهمها، أو بصوت

١- مغني المحتاج (٢٦٩/٣).

٢- المغني (٢٠٠/٨).

لاتسمعـه، فقبلت دون أن تفهم المراد، لم يصحّ قبولها، لأن فَهْم الإيجاب من القابل شرط في المعاوضات.

٢- لا يصـحّ قبولها بعد إيجاب الـزوج إلا في مجلسها، فإذا أوجب الـزوج فقامت من مجلسها ثم قبلـت لم يصحّ قبولها، لأنـه معاوضة في حقها، ومن شرط المعاوضـة اتحاد مجلس الإيجاب والقبول، والعبرة هنا بمجلسها هي لا بمجلس الزوج.

٣- إذا كانت الزوجة هي المبتدئة بالإيجاب وقد قامت من مجلسها بعد إيجابها، فإنه يلغو الإيجاب بذلك، لأنه معاوضة في حقها، بخلاف ما لو كان يميناً.

٤- يجـوز للزوجة أن تشترط خيار الشرط في إيجابها، بـأن تقول: خالِعْني على أني بالخيار ثلاثة أيام، لأن المعاوضة تحتمل خيار الشرط كما تقدم.

٥- ليس للزوجة أن تضيف إيجابها أو قبولها إلى زمن، أو تعلقه على شرط، كأن تقول: خالعني إذا جاء الغد، لأن المعاوضة لا تقبل الإضافة ولا التعليق.

٦- أن يكـون قبـول المـرأة موافقاً لإيجـاب الزوج، فإذا قال لهـا: خالعتك على ألـف فقالت قبِلتُ المخالعة على مئة لم يصح الخلع، لأن توافق الإيجاب والقبول شرط في المعاوضات[١].

المطلب الثالث: طبيعة الفرقة الثابتة بالخُلع.

اختلـف الفقهاء في طبيعة الفرقة الثابتة بالخُلع، أهي طلاق أو فسخ، وإذا كانت طلاقاً أهي طلاق بائـن أو طلاق رجعي، وسبب الاختلاف في كـون الخُلع طلاقا أو فسخاً، أن اقتران العوض فيه هل يخرجه من نوع فرقة الطلاق إلى نوع فرقة الفسخ، أو لا يخرجه[٢].

وهنا وقبل أن أدخل في عرض هذه الأقوال أجد أنه من الضروري بيان الفرق بين الطلاق والفسخ للأهمية، ولكن بشيء من الإجمال دون إخلال أو تفصيل للجزئيات.

أولاً: الفرق بين الطلاق والفسخ من حيث التعريف الشرعي.

يُعرف الطلاق بأنه: إنهاء للرابطة العقدية وإيقاف لامتداد آثار العقد. أما الفسخ فهو: حَلٌّ ونقض للرابطـة العقدية، وفرق كبير بين الإنهاء والحَل، فالإنهاء إيقـاف لمفعول العقد مع الإقرار ضمناً بوجوده وبقائه، أما الحل فهو إعدام للعقد من أصله، واعتباره كأن لم يكن[٣]، وبذلك يكون الطلاق إيقافاً لاستمرار العقد، والفسخ إعداماً للعقد من أساسه.

١- تحفة الفقهاء (٢/٣٠٠-٣٠١).

٢- تبيين الحقائق (٢ / ٢٦٨)، بداية المجتهد (٢ / ٦٠).

٣- الأشباه والنظائر لابن نجيم (١٩٥/٢)

ثانياً: الفرق بين الطلاق والفسخ من حيث الأسباب

الفسخ لا يكون إلا نتيجة قيام سبب داع إليه، إن مرافقاً للعقد كما في العقد الفاسد أو خيار البلوغ، وإن طارئاً عليه كما في إرضاع إحدى الزوجتين ضرّتها الصغيرة مثلاً، فعندها يفسخ النكاح تلقائياً، أو يرفع أمره للقاضي فيحكم بفسخه كما سيأتي، أما الطلاق فهو إنهاء للعقد وإيقاف لاستمرار آثاره دون الحاجة إلى أي سبب من تلك الأسباب المتقدمة، بل سببه الوحيد هو صدور اللفظ الموقع له.

ثالثاً: الفرق بين الطلاق والفسخ من حيث وقوعه

الفسخ قد يقع بمجرد قيام سببه، كما في حالات الانفساخ بالردة، وقد يقع بحكم القاضي بأي لفظ كان، كما في حالات الفسخ القضائي لأسباب مختلفة، أما الطلاق، فلا يقع إلا بألفاظ مخصوصة صريحة كانت بنية أو غير نية، أو كناية مع توافر نية الطلاق أو العرف أو قرائن الحال. وإنه مما يترتب اعتبار عليه عدد الطلقات، فمعلوم أن للزوج على زوجته ثلاث طلقات فقط، تصبح بعدها أجنبية عنه من كل وجه، ولا تحل له ثانية حتى تنكح زوجاً غيره، وفي كل مرة يستعمل الزوج حقه في الطلاق فإنه ينقص به عدد الطلقات التي في رصيده حتى ينتهي هذا الرصيد باستعماله للطلقة الثالثة، لقوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾[1]

أما الفسخ فليس إنهاء للعقد، بل هو هدم للأساس الذي يستند إليه الطلاق وغيره من الآثار، ولذلك لا ينقص من عدد الطلقات التي يملكها الزوج على زوجته شيئاً.

لذا يذكر بعض الفقهاء مسألة لو حلف الرجل على زوجته بالطلاق الثلاث على فعل شيء لا بد له منه، كالأكل والشرب وقضاء الحاجة، فإن له أن يخلعها، ثم يفعل الأمر المحلوف عليه، ثم يتزوجها، فلا تطلق ولا يحنث بيمينه[2].

رابعاً: الفرق بين الطلاق والفسخ من حيث المحل

الطلاق لا يرد إلا على الزوجة في الزوجية الصحيحة، فيكون بذلك أثراً من آثار العقد الصحيح، دون العقد غير الصحيح، بحيث إذا كان العقد غير صحيح لم ينجم عنه هذا الأثر، أما الفسخ فليس كذلك، بل هو نقض للعقد وهدم لآثاره، بغض النظر إن كان العقد صحيحاً أم فاسداً.

والآن وبعد بيان الفروقات الرئيسة بين الفسخ والطلاق، أعود لبيان طبيعة الفرقة الثابتة بالخلع، هل تعتبر فسخاً أم طلاقاً؟

١- البقرة: من الآية٢٢٩.

٢- تبيين الحقائق (٢٦٧/٢)، الشرح الصغير (٥١٧/٢ ـ ٥١٨)، حاشية الدسوقي (٣٤٧/٢)، حاشية العدوي على الرسالة (١٠٢/٢ ـ ١٠٣)، شرح الخرشي (١٢/٤)، القوانين الفقهية ص ٢٣٣، حاشية القليوبي (٣٠٨/٣)، نهاية المحتاج (٣٨٦/٦)، روضة الطالبين (٣٧٤/٧)، مغني المحتاج (٢٦٢/٣).

نظـراً لتشابـك شبهتي الفسخ والطلاق فـي الخُلع، فقد اختلف الفقهاء فـي طبيعة الفرقة الثابتة بالخُلع، أهي طلاق أو فسخ، وإذا كانت طلاقاً أهي طلاق بائن أو طلاق رجعي، على أقوال:

فذهـب الحنفيـة إلى أن الخُلع طلاق بائن قولاً واحداً، وليـس فسخاً، لأنهم على أصلهم لا يجيزون الفسـخ بعـد تمام النكاح، إلا لأسباب قليلة محدودة، والنكاح قبل الخُلع تام صحيح، بل إن الخُلع لا يكون إلا بعد النكاح الصحيح.

هـذا إذا تـم الخُلع بلفظ الخُلـع أو المبارأة أو غيرها من ألفاظ كنايـة الطلاق، سواء ذكر العوض فيها أو لم يذكر، لأنه إذا ذكر البدل كان خلعاً، والخُلع الغاية منه خلاص الزوجة، إذ هو معنى بذل المـال منها، وهو لا يكون إلا بالبينونة، وإذا كان بـلا بدل كان بائناً أيضاً، لأنه كناية، والكناية يقع بها الطلاق بائناً عند الحنفية.

فـإذا كان الخُلع بلفظ الطـلاق، كأن يقول لها: أنت طالق على ألف، فتقول قبلت، فإن ذكر في هذا الخُلـع بدل صحيـح، كان الطلاق بائنـاً أيضاً، والبـدل لازم، للمعنى المتقـدم، وإن لم يذكر بدل مطلقـاً، أو ذكر بدل ليس بمال، كأن يقول لهـا أنت طالق على زِقّ خمر، فإنها تطلق ولا يجب عليها شـيء، ويكـون طلاقاً رجعياً لا بائناً، لأن لفظ الطلاق صريح، والفرقة تقع به رجعياً، إلا أنها كانت بائنة مع ذكر البدل تغليظاً، فلما انتفى البدل عادت رجعية كما كانت في الأصل[1].

وذهـب المالكيـة إلى أن الفرقـة بالخُلع على بدل طلاق بائـن وليست فسخاً، ذلـك لأنه بعد نكاح صحيـح، ولـم تثبت به حرمة مؤبدة، فلا يكون فسخاً علـى أصلهم، وهو طلاق بائن وليس برجعي، لأن الغاية من هذه الفرقة تخليص الزوجة من هذه العلاقة الزوجية، و ذلك هو معنى بذل العوض مـن الزوجة، وهذا الخلاص لا يكـون إلا بالبينونة، فتجب كذلك، وسواء فـي هذا أكان الخُلع على بدل أو غير بدل، ويقع به الطلاق بائناً ولو نص فيه على الرجعة، لأن قيام البدل دليل البينونة.

فـإذا كان مـن غير بدل، فإن كان بلفـظ الخُلع أو ما في معناه، كان بائنـاً أيضاً، ولو نص فيه على الرجعـة، لأن الغايـة من استعمال هـذه الألفاظ عُرفاً هو قصد البينونة، بخـلاف ما لو كان بلفظ الطـلاق وكان بغيـر بدل، فـإن الواجب فيـه فرقة بطلاق رجعـي، وذلك لخلوه عـن البدل وقصد الإبانة، فيكون رجعياً ما لم يكن مكمّلاً للثلاث أو قبل الدخول، فيكون بائناً أيضاً[2].

وأما الشافعية والحنبلية، فقد فصّلوا في الموضوع كما يلي:

١. أن يكـون الخُلـع بلفظ الطلاق، سواء أكان على بدل أم لا ، وهذا تثبت به فرقة هي طلاق قطعاً، ولا تكـون فسخـاً، ثم إن كان على بدل كان بائناً، وإذا كان على غير بدل كان رجعياً، إلا أن يكون

١- بدائع الصنائع (١٥٢/٣).

٢- حاشية الدسوقي (٣٥١/٢) ، وبداية المجتهد (٧٥/٢)

قبـل الدخـول أو مكمِّلاً للثلاث، فيكون بائناً أيضاً، ذلك أن لفـظ الطلاق لفظ صريح، فلا يقع بـه الطـلاق إلا رجعياً، فإذا كان على مال كان بائناً، لأن القصـد من دفع المال من الزوجة هو البينونـة، فيكون كذلـك، وهو ليس بفسخ، لأنه من قبل الزوج بلفظه المراد منه الطلاق، فيكون طلاقاً.

٢. أن يكون بلفظ الخُلع، وقد نوى الزوج به الطلاق، فإنه يكون طلاقاً أيضاً، لأن الخُلع من كنايات الطـلاق، فـإذا تحققت النيّة أُلحق بالصريح، فيكون الواقع به طلاقاً لا فسخاً، ثم إذا كان على مال كان بائناً، وإذا خلا عن المال كان رجعياً لما تقدم.

٣. أن يقتـرن بلفظ الخُلع طلاق، كأن يقول لها: خالعتك على طلقة بألف، فإنه طلاق أيضاً، لوجود لفظ الطلاق من جهة الزوج، وهو بائن أو رجعي على التقسيم المتقدم.

٤. أن يكون بلفظ الخُلع على مال ولم ينو به الطلاق، وفي هذا عند الشافعي ثلاثة أقوال:

الأول: أنـه طلاق أيضاً، لأنه مـن جهة الزوج بلفظ يقصد به إيقاع الفرقة، فيكون طلاقاً كنائياً، وهو الأرجح في المذهب.

الثاني: أنه فسخ، ذلك أنه ليس من الزوج خاصة، بل هو باتفاق الزوجين، ولو كان واقعاً بإيجاب الزوج خاصة لما كان له أخذ البدل، وهذا القول معزو إلى مذهب الشافعي القديم.

الثالث: وقد نص عليه في الأم، أنه لا يحصل به شيء من الفرق، لا طلاق ولا فسخ، إلا أن هذا غير مشهور في المذهب فلا يعوّل عليه.

وعند أحمد في هذا قولان أيضاً:

الأول: أنه فسخ وهو الأرجح.

الثاني: أنه طلاق بائن[1].

وقد احتج من ذهب إلى أنه طلاق بائن بما يلي:

١. أن الله تعالـى ذكره في كتابه الكريم بيـن طلاقين في قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾[2] فدل هذا على أنه ملحق بهما.

٢. لـو كان الخُلع فسخاً لما جاز على غير الصـداق، إذ الفسخ يوجب استرجاع البدل، كالإقالة، لا تجوز بغير الثمن الأول، لكن الفقهاء أجازوا الخُلع على أكثر من الصداق، فامتنع لذلك أن يكون فسخاً، فكان طلاقاً.

١- المغني (٨/١٨٠ ـ ١٨١) ، ومغني المحتاج (٣/٢٦٨)

٢- الآية: ٢٢٩ من سورة البقرة

٣. ثـم إن المرأة هنا بذلت العوض للفرقة المملوكة للزوج، والفرقة التي يملك الزوج إيقاعها إنما هي الطلاق دون الفسخ، فوجب أن يكون طلاقاً لذلك.

٤. إن الحاصل من الزوج إنما هو كناية الطلاق مع قصد الفرقة، فيكون طلاقاً لذلك.

واحتج مَنْ قال بأن الخُلع فسخ بما يلي:

١. بـأن الخُلـع معاوضة وليـس يميناً، لاستحقاق الزوج البـدل فيه، فيكون فسخـاً، كشراء الزوج زوجته الرقيقة، فإنه ينفسخ نكاحها منه بالشراء، لدخولها في ملكه بالاتفاق، فكذلك هنا.

٢. بمـا احتج به ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مـن أن الله تعالى قال: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾[١] ثـم قـال: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ﴾[٢] فقد ذكر سبحانـه تطليقتين والخُلع، وتطليقة بعدها، فلو كان الخُلع طلاقاً لكان أربعاً، والطلاق فوق الثلاث لغو بالإجماع، فكان فسخاً لذلك.

٣. اللفظ إذا خلا من صريح الطلاق ونيّته لم يبقَ إلا فسخاً، كسائر الفسوخ.

هذا والقول بأن الخُلع فسخ مروي عن ابن عباس، وطاوس، وعكرمة، وإسحاق، وأبي ثور رضي الله عنهم.

والقـول بأنـه طلاق بائـن مروي عن سعيد بـن المسيب، والحسـن، وعطاء، وقبيصـة، وشريح، وأبـي سلمة بن عبد الرحمن، والنخعـي، والشعبي، والزهري، ومكحول، وابن أبي جنيح، والثوري، والأوزاعي، وهو مروي قبل ذلك عن عثمان، وعلي، وابن مسعود رضي الله عنهم، لكن أحمد ضعّف الحديث عنهم، وقال: ليس في الباب شيء أصح من حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه فسخ[٣].

وقـد ذكـر أن سعيد بن المسيب والزهري يقـولان بأن الخُلع طلاق رجعي، قـال في المغني: «قال سعيد بن المسيب والزهري: الزوج بالخيار بين إمساك العوض ولا رجعة له وله الرجعة»[٤].

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على الفرقة بالخلع

المطلب الأول: المهر

لا أثـر للفرقـة بالخُلع على لزوم المهـر للزوجة مطلقاً إذا لم يكن هو البـدل المشروط في الخُلع، فـإن كان هو البدل المخالـع عليه لزمها ردُّه إلى الزوج إن كانت قبضتـه منه قبل ذلك، وإلا سقط عن ذمته، فإن كان بدل الخُلع غير المهر ثبت لها المهر كاملاً إن كانت الفرقة بعد الدخول، وثبت

١- من الآية٢٢٩ من البقرة.

٢- من لآية ٢٢٩ من البقرة.

٣- المغني (٨/١٨٠ ـ ١٨١).

٤- المغني (٨/١٨١) وما بعدها.

لهـا نصفه أو المتعـة إن كانت الفرقة قبل الدخـول، لأن الخُلع إن كان طلاقـاً فحكمه كذلك، وإن كان فسخاً فكذلك أيضاً، لأنه فسخ ليس كنقض للعقد من أصله، بل هو بسبب نشأ بعد تمام العقد وصحته، فلا يكون له أيّ أثر على لزومه لها لما مر.

هـذا مذهب جمهور الفقهاء، وفيهم مالك والشافعـي وأحمد وغيرهم[1]، وذهب أبو حنيفة إلى أن الخُلع إذا جاء بلفظ الخُلع أو المبارأة وكان البدل المشروط فيه غير المهر، فإنه يلزم الزوجة دفع البـدل المتفق عليه في الخُلع، ويسقط ما بين الزوجين من حقوق ثابتة بسبب الزوجية، فإن كانت لم تقبض المهر بعد، سقط عن الزوج وليس لها المطالبة به، وإن قبضته لم ترد منه شيئاً، وكذلك إن كان لها عليه نفقة قديمة، فإنها تسقط، وهكذا كل الحقوق المتعلقة بالزوجية، بخلاف الحقوق التي لا علاقة لها بالزوجية، كدين وغيره، فإن الخُلع لا أثر له عليها مطلقاً.

قـال في الجوهـرة: «إذا خالعها علـى مال معلوم ولم يذكـر المهر وقبلت هل يسقـط المهر؟ هذا موضع الخلاف فعند أبي حنيفة يسقط وعندهما لا يسقط ولها أن ترجع به إن دخل بها أو بنصفه إن لم يدخل بها»[2].

وإذا كان الخُلع بغير هذين اللفظين، لم يكن له أي أثر على سقوط الحقوق الزوجية، وهي بحالها، فيُلزم الزوج بالمهر كاملاً لزوجته إن كانت الفرقة بعد الدخول، وإلا لزمه نصفه أو المتعة فقط.

وذهب الإمام محمد بن الحسن إلى أن لفظي الخُلع والمبارأة كغيرهما من ألفاظ الخُلع الأخرى، لا يسقط بهما شيء من الحقوق الزوجية ولا غيرها، ولا أثر للخلع على لزوم المهر للزوجة كما تقدم.

أما أبو يوسف فقد ذهب إلى رأي الإمام في لفظ المبارأة، وإلى رأي محمد في لفظ المخالعة[3].

وإنني أرى هنا أن هذا الخلاف ليس مناطه الفرقة الناتجة عن الخُلع، بل مناطه اللفظ الذي ثبت بـه الخُلـع، أيعني الإبراء الكامل عن كافة الحقوق في وضعه اللغوي أو العُرفي، أولا، وهذا لا علاقة له مطلقاً بطبيعة الفرقة، وعلى ذلك يمكن القول بأن الحنفية مع الجمهور في أنه لا أثر للخلع على لزوم المهر للزوجة من غير خلاف.

المطلب الثاني: العدة

ذهب جماهير أهل العلم وفيهم أصحاب المذاهب الأربعة إلى أن الخُلع إذا كان بعد الدخول وجب علـى المـرأة بعـده أن تعتد بعدّة الطـلاق، وهي ثلاثة أشهـر، أو ثلاث حيضـات، أو وضع الحمل، بحسـب حالهـا، سواء منهم من ذهب إلى أن الخُلع طلاق أو أنه فسـخ، ذلك أن العدة إنما شرعت لاستبراء الرحم، وهو محتاج إليه هنا، فتجب[4].

١- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٢/ ٣٥٦)، الشرح الصغير (٢ / ٥١٧-٥١٨)، روضة الطالبين (٧ / ٣٧٤)، المغني (٥٢/٧)

٢- الجوهرة النيرة (١٣٩/٥).

٣- بدائع الصنائع (١٥١/٣)، وتحفة الفقهاء (٣٠١/٢-٣٠٣)، والهداية (٢١٥/٣)، حاشية ابن عابدين (٨٦٢/٢-٨٧٦).

٤- فتح القدير (٢٦٩/٣)، تبيين الحقائق (٢٦/٣)، حاشية الدسوقي (٤٦٨/٢)، روضة الطالبين (٣٦٥/٨)، المغني (٤٤٩/٧-٤٥٠)، الإنصاف (٢٧٩/٩).

وروي عـن عثمـان، وابن عمر، وابـن عباس، وأبان بن عفـان، وإسحاق، وابن المنـذر، وهو إحدى الروايتيـن عـن الإمام أحمد أنها تعتد بحيضة واحدة، واستنـدوا في ذلك إلى ما روي عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم مما أخرجه الترمذي عن الرُبَيّع بنت معوّذ أنها اختلعت على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأمرها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو أُمرت أن تعتد بحيضة، رواه الترمذي، وقال حديث الربيع صحيح: انها أمرت أن تعتدّ بحيضة[1].

وبمـا روى أبـو داود والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهـم أن امرأة ثابت بن قيس اختلعت من زوجهـا فأمرهـا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن تعتد بحيضـة، رواه أبو داود والترمذي، وقال حديث حسن غريب[2].

لكـن الفقهـاء اعتـذروا عن الأخذ بما تقـدم من السنة، وأجابـوا عن ذلك بأن هـذه الأحاديث لم تثبـت من طـرق صحيحة، إذ فيها الضعيـف والمضطرب والغريب، فحديث امـرأة ثابت بن قيس مضطـرب كمـا تقدم في حكم الخُلع، وهو غريـب أيضاً، كما جاء ذلك على لسـان الترمذي، وأما حديـث الربيع فهو على فرض صحته مخالف للكتـاب العزيز، حيث قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[3] والخُلـع طلاق عند الأكثر، وعلى فرض أنه فسخ فهو محتاج معـه إلى العـدة، لأنها شرعت للتعرّف على براءة الرحم، وهي محتاج إليها هنا، ومع صراحة الآية لا يمكن أن يؤخذ بحديث الآحاد الذي لم يستكمل شروط الصحة، ولعل ذلك كان في أول الإسلام ثم نسخ بالآية الكريمة.

المطلب الثالث: نفقة العدّة

اتفـق الفقهـاء على أن الخُلـع إذا كان واقعاً على نفقة العدة، بمعنى أنها بـدل الخُلع أو داخلة فيه، صـحّ ذلـك وسقطت عن الزوج، فإذا كان بدل الخُلع غيرها، فقد ذهب أبو حنيفة إلى أن الخُلع إذا كان بلفـظ الخُلـع أو المبارأة سقطت أيضاً، فإذا كان بغير هذيـن اللفظين لم تسقط، ووجب على الزوج أداؤها، لأن الخُلع طلاق بائن أو رجعي كما تقدم، وفي كليهما تجب نفقة العدة للزوجة عند الحنفية.

وذهـب محمد بـن الحسن إلى أن نفقة العـدة واجبة للزوجة المطلقة مطلقـاً، سواء أكان الطلاق بلفظ الخُلع أو غيره.

وأبـو يوسف مع الإمام أبـي حنيفة في لفظ المبارأة، ومع محمد في لفـظ الخُلع، وذلك مبني على

١- المغني (٧٧/٩) دار الفكر

٢- سنن الترمذي - باب ما جاء في الخلع- رقم الحديث (١١٩٧)، سنن أبي داود -باب الخلع- رقم الحديث (٢٢٣١)

٣- البقرة: ٢٢٨

الخلاف المتقدم في بحث الصداق وأثر الخُلع على لزومه، وقد تقدم تفصيله قبل قليل.

أمـا جمهور الفقهاء، فقد ذهبوا إلـى أن هذه الفرقة طلاق بائن أو فسخ كما تقدم، ولذلك لا يكون للزوجـة على زوجهـا فيها نفقة عدة، إلا أن تكـون حاملاً، فيكون لها النفقـة مراعاة لحق الحمل، لأنهم لا يرون النفقة للمعتدة أصلاً إلا في عدتها من طلاق رجعي فقط، إلا أن تكون حاملا، وهذا ليس كذلك[1].

المبحث الخامس: الاتجاه القانوني في الخلع (المخالعة الرضائية)

المطلب الأول: الخلع في بعض قوانين الأحوال الشخصية العربية:

أ- في مصر:

لـم يتعرض المشرع المصري في القانون القديم للأحـوال الشخصية للمخالعة وأحكامها مطلقاً سـوى مـا جاء في المادة الخامسة من القانون رقم (٢٥) لعـام ١٩٢٩ من أن كل طلاق يقع رجعياً إلا المكمـل للثلاث والطلاق قبل الدخول والطلاق على مال، وبذلك يكون الخُلع (وهو الطلاق على مال) طلاقاً بائناً في نظر القانون، وهو ما عليه مذهب جمهور الفقهاء، وفيهم الحنفية والمالكية والراجح من مذهب الشافعية.

أمـا في قانون الأحـوال الشخصية الجديد لسنة ٢٠٠٠ فقد نص في المـادة العشرين من الفصل الأول مـن البـاب الثالث[2] على أن للزوجين أن يتراضيا فيما بينهمـا على الخلع، فان لم يتراضيا عليـه وأقامت الزوجـة دعواها بطلبه وافتـدت نفسها وخالعت زوجها بالتنـازل عن جميع حقوقها المالية والشرعية وردت عليه الصداق الذي أعطاها إياه ، حكمت المحكمة بتطليقها منه.

ولا تحكـم المحكمة بالتطليق للخلع إلا بعد محاولة الصلح بين الزوجين، وندبهما لحكمين لموالاة مساعـي الصلـح بينهما خلال مده لا تجـاوز ثلاثة أشهر، وعلى الوجه المبيـن بالفقرة الثانية من المادة (١٩) من هذا القانون[3] وبعد أن تقرر الزوجة صراحة أنها تبغض الحياة مع زوجها وأنه لا سبيل لاستمرار الحياة الزوجية بينهما وتخشى ألا تقيم حدود الله بسبب هذا البغض.

ولا يصـح أن يكـون مقابل الخلـع إسقاط حضانة الصغار أو نفقتهـم أو أي حق من حقوقهم، ويقع

١- حاشية الدسوقي (٢/٥١٤-٥١٥)، ومغني المحتاج ٣/٤٤٠-٤٤٠.

٢- الباب الثالث: رفع الدعوى ونظرها، الفصل الأول: في مسائل الولاية على النفس.

٣- نص المادة (١٩) هو: «في دعاوي التطليق التي يوجب فيها القانون ندب حكمين يجب علي المحكمة أن تكلف كلا من الزوجين بتسمية حكم من أهله قدر الامكان في الجلسة التالية علي الأكثر فان تقاعس أيهما عن تعيين حكمه او تخلف عن حضور هذه الجلسات عينت المحكمة عنه وعلي الحكمين المثول أمام المحكمة في الجلسة التالية لتعيينهما ليقررا ما خلصا إليه معا فإن اختلفا أو تخلف أيهما عن الحضور تسمع المحكمة أقوالهما أو أقوال الحاضر منهما بعد حلف اليمين وللمحكمة أن تأخذ بما انتهي إليه الحكمان أو بأقوال أيهما أو بغير ذلك مما تستقيه من أوراق الدعوى»

الخلـع فـي جميع الأحوال طلاقاً بائنـاً ويكون الحكم في جميع الأحوال غيـر قابل للطعن عليه بأي طريق من طرق الطعن.

ويلاحـظ علـى القانون الجديد للخلع أنه عـد التفريق بإرادة واحـدة -إرادة الزوجة- خلعاً مع أن الخلع هو التفريق الناتج عن تراضي الطرفين باعتباره معاوضة، والمعاوضة لا تكون إلا بالتراضي بين الطرفين، وبالتالي فإن الاصطلاح عليه أن يكون خلعاً اصطلاح مخالف لما عليه الفقهاء.

أمـا لو عددنـاه طلاقاً بإرادة منفردة من القاضـي كما هو الحال في التفريـق للضرر، أو التفريق للشقـاق، فإنـه عد غير صحيح أيضاً، وذلك أنه في هذه الأنواع من التفريق يؤخذ بأقوال الحكمين معاً، أما نص القانون في المادة ١٩ فإنه لم يشترط اتفاق الحكمين.

ب- في سوريا:

نص المشرع السوري على المخالعة، ونظم أحكامها في المواد /٩٥-١٠٤/ من القانون رقم (٥٩) لعام ١٩٥٣.

وقـد اتجه المشرع السوري في الفرقة الثابتـة بالمخالعة إلى ما ذهب إليه جمهور الفقهاء، فعدها طلاقاً بائناً، وهو الاتجاه الذي ذهب إليه القانون المصري نفسه من قبل.

لكـن في التكييف الفقهي للمخالعة ذهب القانون السوري إلى الأخذ بمذهب المالكية، حيث عدها معاوضة من الجانبين، فأجاز بذلك للزوج الرجوع عن إيجابه قبل قبول المرأة له، خلافاً لما ذهب إليه المذهب الحنفي.

أما في حكم البدل في المخالعة، فقد ذهب القانون فيه مذهب الشافعية، فعد الخُلع مع نفي البدل باطـلاً، وأثبت بـه طلقة رجعية، ولكـن القانون هنا لم يشتـرط النيّة لوقوع الطـلاق بذلك خلافاً للأرجـح من مذهب الشافعية الذي يشتـرط النية لوقوع الطلاق، وهذا الاتجاه من القانون مأخوذ من قول للشافعية هو غير الراجح لديهم.

كمـا نصـ القانون على أن المخالعـة إذا أُجريت على غير المهر وجـب أداء البدل المسمى، وتبرأ أيضـاً ذمة المتخالعين من كل حق يتعلق بالمهر والنفقـة الزوجية، وهذا القول مأخوذ من مذهب أبـي حنيفـة، إلا أن أبا حنيفة قيد الحكم بالبراءة من ذلك بمـا إذا كان الخُلع بلفظي المخالعة أو المبارأة دون غيرهما، وذلك لما لهذين اللفظين من معنى الإبراء عن الحقوق الزوجية لغة وعُرفاً، أمـا القانـون المذكور فلم يقيد الإبراء بهذيـن اللفظين فقط، ولا أعرف له فـي ذلك مستنداً من أقـوال الفقهاء ومذاهبهـم، لذلك فإنه ينبغي عند التطبيق ملاحظة هذا القيد، وإن لم ينص عليه القانـون صراحة، وأغلب الظـن أن القانون قد أهمل ذكر هذا القيـد، لأن الغالب في المخالعة أن

تكون بأحد هذين اللفظين.

ج- في الكويت

ذكـر قانون الأحـوال الشخصية الكويتي أحكام الخُلع في المواد /١١١-١١٨/ من القانون رقم ٥١ لعـــام ١٩٨٤ فذكـر أن الخُلـع هو طلاق الزوج زوجتـه نظير عوض تراضيا عليـه، بلفظ الخُلع، أو الطـلاق، أو المبارأة، أو ما في معناها، ولا يملك الخُلع غير الزوجين، أو من يوكلانه، وأن لكل من الطرفين الرجوع عن إيجابه في المخالعة قبل قبول الآخر، ويجب العوض المتفق عليه في الخُلع، ولا يسقـط بـه شيء لم يجعل عوضـاً عنه، ويشترط لاستحقاق الزوج ما خولـع عليه، أن يكون خلع الزوجة اختيارا منها، دون إكراه أو ضرر.

المطلب الثاني: حكم الخُلع بحاكم وبدون حاكم.

ذهـب جمهور الفقهاء إلى جواز الخُلع بحاكم وبـلا حاكم، وهو قول عمر رضي الله عنه، فقد روى ابـن أبـي شيبة عن طريق خيثمة بن عبد الرحمن موصولاً «أن بشر بن مروان أتي في خلع كان بين رجـل وامـرأة فلم يجزه، فقال له عبد الله بن شهاب الخولاني: قـد أتي عمر في خلع فأجازه» ولأن الطلاق من حيث النظر جائز بلا حاكم فكذلك الخُلع.

وذهب الحسن البصري كما ذكر الحافظ في الفتح إلى عدم جواز الخُلع دون السلطان بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾[2] ووجـه استدلاله أنه الخوف الوارد في نص الآية لغير الزوجين ولم يقل فإن خافا.

المطلب الثالث: صاحب الحق في الفرقة:

الفرقـة فـي الخُلع حقٌّ لكل من الزوجيـن وغيرهما، فهي تصحّ بتوافق الزوجيـن عليها، كما تصحّ بتوافـق الزوج مع أجنبـي، فلو قال أجنبي للزوج طلـق زوجتك بألف عليَّ، فقال الـزوج: رضيت أو طلقـت، فقد تم الخُلع، وللزوج على الأجنبي ألف كما شـرط، وهذا مذهب جماهير الفقهاء، وشذ عن ذلك أبو ثور فقال: خلع الأجنبي عن المرأة بدون إذنها سفه، فإنه يدفع العوض في مقابلة ما لا منفعة له فيه، فيكون كما إذا قال لآخر بعْ عبدك من فلان بألف علي، فإنه لا يصحّ، فكذلك هذا.

والجـواب: أنـه بذل مالاً في مقابلة إسقاط حق غيره، فصـحّ، كما لو قال: اعتق عبدك وعليّ ثمنه،

١- البقرة: من الآية٢٢٩

٢- النساء: من الآية٣٥

فإنه يصح، فكذلك هذا[1].

والراجح في نظري مذهب الجمهور هنا لما تقدم، لا سيما أنه لا مساس مطلقاً بحقوق الزوجة في هذا الخُلع على هذه الصورة، لأنها لا تُلزم بدفع عوض الخُلع إذا لم تكن رضيت به سابقاً، وهو في ذمة الأجنبي المخالع لا يرجع عليها به ما لم يكن وكيلاً عنها في ذلك، وأما حلول الفرقة بينها وبين زوجها فذلك من عمل الزوج وحده، وهو يملكه بدون عوض لا معقّب عليه فيه، فكذلك بعوض غير مضمون على المرأة، ولا أقل من أن يعد في حقها طلاقاً لا تلتزم بمقابله بشيء من المال.

خاتمة:

في ختام هذا البحث أخلص للنقاط التالية.

١- الخلع حكم شرعي أصيل من أحكام الشريعة الإسلامية دلت عليه نصوص الشريعة الإسلامية الأصيلة.

٢- الخلع أحد الطرق العادلة للفرقة بين الرجل وزوجته، حيث لا يتضرر أي من الطرفين، فكل يأخذ حقه من الآخر.

٣- يفترض أن يحسن كل من الزوجين استخدام حقه في الخلع، فالمرأة لا تطلب الخلع إلا بعذر معتبر، والرجل لا يضار زوجته بأن تعطيه من المال ما يطلب حتى يخالعها.

٤- على المحاكم القضائية أن تستمد أحكام الأحوال الشخصية المتعلقة بالخلع أو غيرها من الشريعة الإسلامية ومذاهب الفقهاء المعتمدة.

٥- يفترض بالمرأة المسلمة أن تتعلم الأحكام الشرعية المتعلقة بها وتتفقه فيها كي تعرف مالها وما عليها، وحتى تحسن استعمال حقوقها التي منحتها الشريعة الإسلامية إياها، وحتى تحسن القيام في الوقت نفسه بواجباتها المطلوبة منها شرعاً.

٦- يجب أن لا يساء استعمال مبدأ الخلع في حياتنا العملية كما يفعل البعض أو كما تصوره بعض وسائل الإعلام أحياناً لما لذلك من آثار سلبية في المجتمعات الإسلامية.

١- المغني (٢١٨/٨).

د. وليد رفيق العياصرة
استاذ مساعد / كلية الأندلس/ جامعة البلقاء

تقويم كتب التربية الإسلامية المطورة للمرحلة الأساسية في المملكة الأردنية الهاشمية في ضوء المعايير الأساسية لتأليف الكتب من وجهة نظر معلميها

تقويـم كتب التربية الإسلامية المطورة للمرحلة الأساسية في المملكة الأردنية الهاشمية في ضوء المعايير الأساسية لتأليف الكتب من وجهة نظر معلميها

هدفت هذه الدراسة إلى تقويم كتب التربية الإسلامية للصف الثامن والعاشر الاساسي من وجهة نظـر المعلمين وذلك للعـام الدراسي ٢٠٠٧/٢٠٠٨م. تكونت عينـة الدراسة من ٤٩ معلما ومعلمة وتمثلت أداة الدراسة من استبانة، اشتملت على ٨٥ فقرة موزعة على ٥ مجالات.

أظهرت النتائج أن تقديرات معلمي التربية الإسلامية لجميع المجالات (أهداف الكتاب، المحتوى، الطريقة وأساليب التدريس، النشاطات التربوية، التقويم) كانت بدرجة متوسطة. واتفق المعلمون والمعلمـات على وجود بعض السلبيـات في الكتاب أبرزها: كبر حجم المـادة التعليمية مقارنة مع عـدد الحصص المخصصة لمادة التربية الإسلاميـة، خلوه من أسلوب حل المشكلات والتدريس بالاستقصـاء، وعـدم توفر الرسومـات التوضيحية والخرائـط بشكل كاف، عـدم تشجيع الطلبة علـى الرجوع إلى مصادر المعرفة الاخرى، وعدم مناسبة حجـم الكتاب وإخراجه، واعتماده على الأساليب التقليدية في التقويم.

وبينـت الدراسـة عددا من جوانب القوة في الكتاب تتمثل في: عرضـ المحتوى بلغة سليمة، وخلوه مـن التناقض والخلل، وتنظيم الأفكار والعناوين الرئيسة والفرعية بشكل مناسب، وحسن توظيف الأدلة الشرعية وإثارة تفكير الطلبة وتنمية مهاراتهم العقلية.

وأظهـرت الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالـة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) بين استجابات معلمي التربية الإسلامية تعزى لمتغير الجنس (ذكر، أنثى).

وأظهـرت الدراسة أيضا عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) بيـن استجابات معلمـي التربية الإسلامية تعزى لمتغيـر المستوى العلمـي (بكالوريوس فما دون، ماجستير، دكتوراه).

وفي ضوء النتائج أوصى الباحث بالآتي:

- تركيـز وزارة التربيـة والتعليم على الـدورات التدريبية المتخصصة التي تـزود اللجان المكلفة بتأليف الكتب بمهارات التاليف.
- اختيار أفراد متخصصين مؤهلين في المناهج لتأليف الكتب.
- أظهرت الدراسة أن هذه الكتب المطورة ركزت على الجانب المعرفي في مجال الاهداف؛ لذلك يوصي الباحث بمزيد من الاهتمام والتركيز على الجانب المهاري الألادائي والقيم والاتجاهات.
- أظهـرت نتائـج الدراسة ضعـف المحتوى في إثارة دافعيـة المتعلمين لقلة الصـور والرسومات والأشـكال، وكذلك اتساع المحتـوى مما يثقل كاهل المعلم والمتعلم لذلـك يوصي الباحث بإعادة صياغة المحتوى وتزويده بالصور والأشكال والرسومات ومراعاة الاتساع.
- تزويد الكتب بالانشطة التي تسهم في استخدام التكنولوجيا كالأنشطة المحوسبة وغيرها.
- إعـادة النظر في عدد الحصص المخصصة لمـادة التربية الإسلامية لمساعدة المعلمين على الاهتمام بالأنشطة وتنفيذها.
- تنويع استراتيجيات التقويم التـي يحتويها الكتاب وبالأخص استراتيجيات التقويم المبنية على الاداء.
- ضـرورة تركيز الكتب على الانشطـة المهارية والادائية وكذلك الانشطـة التي تنمي الاتجاهات والقيم لدى الطلبة.

An evaluation of developed Islamic education books for the primary stages at the Hashemite kingdom of Jordan

Abstract:

This study is aimed at evaluating Islamic education curriculum for the 8th & 10th Classes, from the view of teachers during the academic year 20072008/. The sample of study consisted of (49) male and female teachers. The research instrument consists of a questionnaires include (85) items specific to (5) domain.

The result of study showed that the evaluations of Islamic education teachers for the all of each domain: (curriculum purpose, index, the methods and teaching ways, educational activities and the evaluation) was medium in average. The teachers agreed that there are some negatives in the curriculum such as: the huge amount of the scientific material in comparison with the number of the class hours, the destitution of the book to the problem solving techniques and teaching with examination, unavailability of charts and maps that are using for clarification, absence of encouraging students to recourse to the other knowledge reference, unsuitability of size and direction of the book, and usage of the traditional methods of evaluation.

Also the study showed a number of strength points in the curriculum like: proffering the content of the curriculum with a proper language, the curriculum devoid of contradictions and mistakes, organizing of ideas and headlines and subsidiary titles in a suitable form, agitate the student to think and develop their mental skills.

There were no statistical significant differences found at (α=0, 05) level with regard to teachers' responses attributed to gender (male, female).

There were no statistical significant differences found at (α=0, 05) level with regard to scientific level (bachelor or less, master and doctorate.

In the light of results, the researcher recommended the following:

The concentration of the ministry of education on the specialized training course to provide the teachers with the needed skills of teaching the developed Islamic education curriculum.

Providing the suitable technological techniques at the schools.

The necessity of review in the number of Islamic education's class times.

The necessity of verify teaching methods and methodical and unmethodical activities and the using of the modern educational ways in teaching the Islamic education.

The necessity of responsible authority participation in curriculum department to prepare programs and projects related to the activities and method of Islamic education teaching.

المقدمة:

تسعى الدول العربية إلى وضع فلسفة تربوية، تعكس حاجاتها، ومتطلبات تطورها في مجالات الحياة المتنوعة، لمواجهة التحديات والمشكلات المختلفة التي تعاني منها مجتمعاتها، وعلى رأسها العولمة، وما تظهره من تحد كبير لها في الحفاظ على هويتها الثقافية، فتسعى هذه الفلسفات إلى تكوين مواطن صالح يخدم وطنه وأمته، كما حرصت على تكوين الشخصية الإسلامية المتوازنة والمتميزة.

تتجه العملية التربوية الحديثة إلى جعل المتعلم محور العملية التعليمية، وتركز على إكسابه المهارات المتنوعة بهدف التمكن من مسايرة الانفجار المعرفي وثورة المعلومات التي أفرزتها التغيرات السريعة في جوانب الحياة المختلفة. كما ظهرت مفاهيم فرضت نفسها على التعليم، كالتعلم الذاتي والتفكير الناقد ، وأسلوب حل المشكلات وغيرها؛ الأمر الذي أدى إلى تغير النظرة إلى المنهاج ومحتواه والمعلم والطالب وأدوار كل منهما.

يتعامل المتعلم مع المنهاج بهدف استيعاب مضمونه، مستخدما عدة استراتيجيات دراسية للحصول على نتائج مناسبة في النهاية. الأمر الذي يحتم جمع الخبرات المربية المناسبة ليتفاعل معها المتعلمون داخل المدرسة وخارجها من أجل اكتسابهم لها، ليتحقق نموهم الشامل في جميع جوانب شخصيتهم، وتعديل سلوكهم وفقا للأهداف التربوية.

لا يوجد نمط عام سائد متفق عليه يوضح الخطوات والاجراءات المتتابعة أو المتداخلة التي تؤلف بمجموعها عملية بناء المنهاج أو تطوره ونجد بدلا من ذلك ، اتجاهات مختلفة تلتقي في بعض النقاط وتختلف في أخرى نتيجة لاختلاف المنطلقات النظرية لأصحابها، هذا على النطاق النظري أما على النطاق العملي فإن عملية بناء المنهاج تأخذ صيغا وأشكالا متعددة قد تختلف من بلد لآخر، وقد تختلف في البلد الواحد من حين لآخر أو من منهاج مادة معينة إلى منهاج مادة أخرى (الشبلي، ٢٠٠٠).

وما من شك في أن عملية بناء المنهاج عملية غاية في الأهمية والخطورة لأن محتوى المنهاج يعكس وظيفة المدرسة والغرض من إنشائها، وهو الوسيلة المؤثرة في تكوين الجيل الذي نريد، فهو يمثل محتوى العملية التربوية، ولا بد من أن تنال عملية بنائه عناية فائقة في جميع مراحلها مما يساعد على تحقيق ذلك ووجود تصور علمي واضح لها وما تتضمنه من خطوات متتالية وأخرى متداخلة.

إن الخبرات التربوية التي يخطط لها المنهاج ينبغي أن تتميز بعدد من الخصائص لتكون مجالا واسعا يتفاعل معها المتعلم لبناء شخصيته وتعديل سلوكه ومن هذه الخصائص: أن تكون مباشرة كلما أمكن ذلك لأن التفاعل المباشر للمتعلم مع البيئة وخوضه التجربة الحياتية مباشرة يجعل تعلمه أسرع وأكثر رسوخا، وأن تكون الخبرات التربوية متكاملة: أي أن تتكامل الخبرات عموديا

عبر سنوات الدراسة وأفقيا عبر المواد الدراسية المختلفة؛ لذلك فإن الخبرة بناء يستلزم التدرج والامتداد المعقول، وأن تعمل على إعداد المتعلم للحياة وتكيف سلوكه ليكون بالشكل المرغوب فيه والمطلوب اجتماعيا بالنسبة للحاضر والمستقبل، والتركيز على الإيجابية: بحيث تكون ذات طابع متفائل لا متشائم، مشوقة لا مملة، مفرحة محزنة، سهلة الفهم، بناءة لا هدامة، وربط النظرية بالتطبيق والعلم بالعمل، والتدرج في الخبرات، والمشاركة في تعلم الخبرة (انظر الشبلي، ٢٠٠٠، ص ٨٧-٩١).

يمثل الكتاب المدرسي أحد الوسائل المتبعة في تنفيذ المفردات التفصيلية للمنهاج المدرسي وحري بنا أن نعطى لعملية تأليفه، ما تستحقه من اهتمام وعناية لكونه شيئا ماديا ملازما للمتعلم يكون لمحتواه تأثير مباشر، قد يتجاوز تأثير الوسائل الأخرى المستخدمة في تنفيذ المنهاج ويكتسب الكتاب أهمية إضافية نتيجة ما يظهره المعلمون نحوه من اهتمام وجعله المحور الرئيس وأحيانا الوحيد للنشاط العلمي في المادة الدراسية.

وحتى يؤدي الكتاب المدرسي الغرض الذي وضع من أجله لا بد وأن يراعي عدداً من المعايير عند إعداده أبرزها أن: تتفق مادته مع الأهداف التربوية بجميع مستوياتها، تكون مادته العلمية سليمة وحديثة، يبتعد عن الاسلوب التقريري في عرض المادة كلما أمكن ذلك، يلجأ إلى الأسلوب الذي يحفز المتعلم على التفكر والاستنتاج، يشرك المتعلم قدر الإمكان في عرض مادة الكتاب كأن يطلب إليه استكمال بعض الفقرات أو الفراغات، يكون أسلوبه مبسطا واضحا خاليا من اللبس والتعقيد اللغوي، تكون المادة وأسلوب عرضها منسجمين مع الخصائص النمائية للمرحلة العمرية، يحسن انتقاء مادة الكتاب بما هو أساسي وضروري لأن كم المعلومات في كل مجال من مجالات المعرفة غدا غزيرا جدا، تكون مادة الكتاب منسجمة مع بيئة المتعلم مستفيدة منها في الشرح والتوضيح والنشاطات ويمكن استخدامها في مواقف جديدة، توضح مادة الكتاب علاقتها بما يكملها من مفردات النشاطات المصاحبة والنشاطات الحرة وغيرها من الفعاليات ليدرك المتعلم أن مجالات اكتساب الخبرات متعددة وليست محصورة بالكتاب المدرسي وحده، تستخدم الصور والأشكال التوضيحية لإيضاح الأفكار والحقائق، يكون الكتاب مشوقا وجذابا بمادته العلمية وطريقة عرضها، يتم وضع أسئلة في أثناء عرض المادة لإثارة تفكير الطالب وإثارته علميا، يكون حجم الحروف معقولا والتنوع في أحجام الحروف فيستخدم حجماً معيناً للعناوين الرئيسة وحجم أخر للعناوين الفرعية وحجم ثالث للشرح الاعتيادي، ويكون حجم الكتاب معقولا (انظر الروسان وآخرون، ١٩٩٢).

والحديث عن تصنيفات المحتوى هي تصنيفات المعرفة ؛ فالمحتوى هو مجموعة المعارف والمعلومات، ولذلك تصنيف المعرفة المنطقية في المحتوى حسب إرتباط المعرفة بالأهداف فتكون لدينا معرفة إدراكية ومعرفة قيمية ومعرفة أدائية (مرعي وآخرون، ١٩٩٣).

للكتـاب المدرسـي دورٌ فاعـلٌ، وأهمية بـارزة في إنجـاح العمليـة التعليمية، ويساعـد في تحقيق الأهـداف التربوية ويستخدمـه المعلمون والمتعلمون على حد سواء. فهـو يقدم معلومات ومعارف وأفـكارا منظمة تنظيما منطقيـاً ومتسلسلة حسـب المرحلة النمائية والتعليميـة للطلبة. ويساعد المعلم في الانتقال من موضوع لآخر بكل سهولة ويسر. ويخفف على المدرس والطلبة عناء الجهد والبحـث والدراسة. ويوجه التلاميذ إلى تحقيق الأهـداف المطلوبة. ويوفر بين أيدي الطلبة مادة وموضوعـات يستطيعون الاطلاع عليها حسب أوقاتهم. ويساعد المعلم في الاستذكار وفي اشتقاق وتحديـد الأهداف. إن نظرة عدد من المعلمين والطلبـة إلى الكتاب المدرسي وطريقة استخدامه على اعتباره المنهاج، علماً أن المنهاج نظام متكامل يتألف من عناصر متفاعلة والكتاب المدرسي مـا هو إلا الوسيلة التي يترجـم من خلالها المنهاج على أرض الواقع. فالاكتفاء بالكتاب المدرسي واعتباره المصدر الوحيد للمعرفة عند عدد من المعلمين والطلبة، يقلل من رجوعهم إلى مصادر المعرفـة الأخرى وما يعكسه ذلك على العملية التعليميـة التعلمية. إن الطلبة يوجهون في كثير من الأحيـان إلى حفـظ الكتاب ونادرا ما يكلفون بالرجوع إلى مصـادر أخرى لجمع المعلومات؛ لذلك يحرمون من فرصة اكتساب الأسلوب العلمي في البحث عن المعرفة، ويعتمدون اعتمادا كبيرا على المعلم والكتاب المدرسي[1].

تنبثـق أهميـة التربية الإسلامية من الدور الحاسم للإيمان السليـم الذي يوجد اتجاهات إيجابية وحلـولاً جديدة تساعـد الطلبة على تجنـب الأفكار السيئـة والتخلص من التوتـرات والضغوطات النفسية، لتمكينهم من التواصل مع الآخرين بعقلانية وانفتاح. وفي الوقت نفسه يسهم بفاعلية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة في بلدهم.

وتتعدى التربية الإسلامية في مفهومها وأهدافها الحياة الدنيا لتعد المسلم للدار الآخرة التي آمن بها. والتربية الإسلامية هي القاسم المشترك بين جميع المباحث، وتشكل البيئة الآمنة المنشودة لـكل مسلم. وتؤكد التربيـة الإسلامية على أن سلـوك الإنسان يقاس ويحكم عليـه بمقدار توافقه وانسجامه مع الحقائق الكونية وما يحكمها من ضوابط وقوانين ونظم.

لقد اهتمت المملكة الأردنية الهاشمية بالتربية الإسلامية، باعتبار أن دين الدولة هو الإسلام، كما نص على ذلك البند الأول من دستور المملكة الأردنية الهاشمية «الإسلام هو دين الدولة»، وتستمد الفلسفـة التربوية في الأردن مبادئها ومفرداتها من الديـن الإسلامي والدستور الأردني، والتربية الإسلامية هي المحرك والموجه لسلوك المسلم، فسلوك الإنسان ما هو إلا ترجمة حقيقية لعقيدة ذلك الإنسان وما يؤمن به.

إن تعليم التربية الإسلامية وتأصيل مبادئها قد بدأ في الأردن عن طريق الكتاتيب وما يدرس فيها

١- (انظر اللقان، وأبو سنينة، ص ١٩٨٩)

مـن قرآن وحديث شريف، ومن أبـرز الملاحظات على تلك الفترة غياب المنهاج الواضح المحدد لهـا. وبعـد تأسيس المملكة الأردنية الهاشميـة عام ١٩٢١م بدأ الاهتمـام بالتعليم بشكل منهجي ومنظـم ويأخـذ الطابع المؤسسي، وأخـذت المؤسسة التعليمية في المملكـة بالتطور المستمر في جميـع عناصر النظام التربوي وعلى رأسها المنهـاج والكتب المدرسية. فالتربية الإسلامية تعتبر مادة تعليمية وخصص لها ثلاث حصص في الأسبوع.

إن التربيـة الإسلاميـة هـي الأساس المتين الذي ارتضتـه الأمة الإسلامية في شتـى بقاع الأرض لتربيـة النشء من أبنائها، واختاره الأردن لأجياله فـي سعيه الدؤوب إلى تطوير شخصية الطالب على أسس الإسلام ومبادئه؛ بحيث تكون هذه الشخصية متوازنة عقليا واجتماعيا وجسميا وروحيا.

جعلـت المملكة الأردنيـة الهاشمية للتربية الإسلامية مناهج دراسيـة شاملة لكل مرحلة تعليمية بمـا يتناسب مع حاجات وعمـر الطبة. وفي العـام الدراسي ٢٠٠٦/٢٠٠٧ بـدأت المملكة بتقديم كتـب مدرسية جديد لطلبة الصف الثامن والصف العاشر، إن هناك عددا من الملاحظات تتردد بيـن بعضـ الأوساط التربوية حولهـا ، وأنها تعاني من بعض المشكلات كمـا أظهر ذلك عدد من المهتمين، من حيث التصميم والتنفيذ والتقويم، الأمر الذي استدعى إجراء دراسة تقويمية لهذه الكتب للكشف عن مدى مناسبتها.

يمكـن لتكنولوجيا المعلومات والاتصـالات أن تسهم في تحسين تعلم الطلبة في التربية الاسلامية من خلال استخدام العديد من البرمجيات التي تتعلق بكيفية ممارسة الشعائر الدينية التي تساعد الطلبة على التواصل بفاعلية مع الآخرين. واستكمالا لتحقيق الأهداف المرجوة من تدريس مبحث التربية الإسلامية، يأتي هذا التطور في برامجه وأنشطته وطرق تقويمه.

وضح الإطار العام للمناهج المدرسية في المملكة الأردنية الهاشمية، الأسباب التي دعت إلى تطور المناهج التربوية والكتب المدرسية؛ وأن ذلك كان بناء على نتائج دراسات تقويم المناهج والكتب المدرسيـة التي أجراها عدد من الباحثين الأردنيين وكذلك التقارير الأخيرة التي قدمها الخبراء الأجانب للمناهج والكتب المدرسية، فقد بينت معظم هذه النتائج أن المناهج مبنية على المفهوم الضيـق التقليدي للمناهج وأن المناحي العامة وطرائـق التدريس المستخدمة ركزت على عمليات التعليم فأعطت الدور الرئيسي الأكبر للمعلم والأنشطة التي تتم داخل غرفة الصف. واتفقت أغلب الدراسات والتقارير على توصيات بتطوير عملية التعلم والتعليم ومحورتها على المتعلم ليقوم بدور أكبـر وأكثـر فاعلية واستقلالية. وهذا سيؤدي إلى إثارة دافعيـة الطلبة، وتكوين اتجاهات إيجابية لديهـم لتحمل المسؤوليـة في التعلم واختيار أنماط التعلم ومصـادره المتنوعة، واتخاذ القرارات وحـل المشـكلات، والتفكير الناقد بالإضافة إلـى تركيز التعلم على توظيـف المعارف والمهارات المكتسبـة والمتعلمة في الحياة اليومية. وقـد أكدت هذه الدراسات على مراعاة المناحي الحديثة لتصميـم المناهـج وبنائها بهـدف إكساب الطلبـة المعارف والخبـرات والمهارات مـن مصادر

التعلـم المتنوعـة، وانسجاما مع التطورات العالمية في المناحـي المختلفة (الإطار العام للمناهج المدرسية، ٢٠٠٣).

النتاجات التعليمية المحورية لمبحث التربية الإسلامية:

لقد تم تحديد النتاجات على النحو الآتي:

١- تطبيـق مبادئ الإسلام المبنية على الإيمان بـالله سبحانه وتعالى،٢. إيجاد شخصية إسلامية متوازنـة جسميـا وعقليا وروحيا،٣. التواصل مـع القرآن الكريم والسنة النبويـة الشريفة.٤. تعزيز الفهم السليم لمفردات الإسلام على ضوء القرآن الكريم والسنة،٥. فهم التصور الإسلامي للكون والإنسـان والحياة،٦. تحريـر العقل من الأوهام والخرافات والأساطيـر،٧. التأكيد على استقلالية الشخصيـة الإسلامية وتميزها،٨. تطبيق الأخلاق الإسلاميـة بوصفها ثمرة التربية الإسلامية،٩. الاستبصـار بتـراث الأمة الإسلامية والاستفـادة منه في فهم الحاضر وبنـاء المستقبل،١٠. حمل ونشـر الرسالة الإسلاميـة العالمية والدفاع عـن مسلماتها،١١. تطبيق مبدأ الشـورى والحوار في الحيـاة اليوميـة،١٢. تجاوز التقليد الأعمـى والتسلح بالإيمان الواعي الناقـد، ١٣.التبصر بالسنن الكونيـة والاجتماعيـة في القـرآن الكريم والسنـة النبوية، ١٤. ترسيـخ مفهوم البيئـة الآمنة،١٥. استخـدام التكنولوجيـا الحديثة فـي نقل المعلومـات وإدارتهـا وتوظيفها، وإتقان مهـارة التلاوة والتجويد (الإطار العام والنتاجات العامة للتربية الإسلامية، ٢٠٠٥).

المسوغات التي قدمت لتطوير المنهاج وكتب التربية الإسلامية في المملكة الأردنية الهاشمية:

تضميـن مناحي وطرق حديثـة في التعليم منسجمة مع كفايات منظومـة اقتصاد المعرفة، تركيز التعليم على المتعلم لإعطائة دورا فاغلا ومسؤولا ومستقلا، تغيير دور المعلم ليؤدي أدوارا جديدة: منظـم ومدير ومطور ومسهل ومشرف ومقيم، توظيف المعرفة والمهارات والكفايات التي يتعلمها الطلبـة في تطوير المجتمـع وتلبية احتياجاته، تنوع مصادر التعلـم وتوفيرها بوسائل التكنولوجيا الإلكترونية الحديثة، وتقليل حجم الفجوة الرقمية بين النظام التربوي التعليمي الأردني والأنظمة التعليمية المتقدمة.

لقـد وضحت مقدمـة هذه الكتب المطورة أنهـا جاءت منسجمة مع أهـداف التطوير التربوي نحو الاقتصـاد المعرفـي، وترجمة للنتاجات العامـة والخاصة للصفيـن الثامن والعاشـر من مرحلة التعليـم الأساسـي، حيث اشتملت على ست وحـدات دراسية . وقد روعي في هـذه الكتب أن تكون مشتملـة على عناصر المعرفـة المتعددة من حقائق، ومفاهيم، ومصطلحـات، وقيم، واتجاهات، ومبـادئ، ومنسجمـة مع الأهداف التي وضعت من أجلها بحيث تحقـق الكفايات التعليمية للطلبة. وتشيـر كذلـك إلى أنها عرضـت بأسلوب سهل شائق يثير الدافعية لـدى المتعلم، وذلك من خلال

اختيـار الألفـاظ السهلة البسيطـة البعيدة عـن الغموض، ومراعـاة التسلسل العلمـي والمنطقي للأحـداث، وهي ليست المصدر الوحيـد لتلقي العلم والمعرفة، بل للطالـب أن يرجع إلى مصادر المعرفـة المختلفة وخصوصا التقنيات الحديثة منها واستخدام الحاسوب في إثراء معلوماته عن الموضوعات التي اشتملت عليها الكتب[١].

محتوى كتاب مادة التربية الإسلامية: هناك كتابٌ مقررٌ للصف الثامن، وآخر مقرر للصف العاشر، ويسمـى كل منها «التربية الإسلامية»، وهو مكون من جزأين منفصلين واحد للفصل الأول والآخر للفصـل الثانـي، وقد تم تأليف كل كتـاب من قبل فريق وطني يتكون مـن مجموعة من المشرفين التربويين لمادة التربية الإسلامية وعدد من معلمي التربية الإسلامية، وطبع عام ٢٠٠٦م. ويحتوي كل كتـاب علـى ستة محاور هي: محور القـرآن الكريم وعلومه، ومحور الحديـث الشريف وعلومه، ومحور العقيدة الإسلامية، ومحور السيرة النبوية، ومحور الفقه الإسلامي وأصوله، ومحور النظام الإسلامي والاخلاق الإسلامية.

أما الأهداف التي يسعى كل محور من المحاور لتحقيقها في كتاب التربية الإسلامية للصف الثامن فهي:

محـور القرآن الكريم: حيث يهدف تفسير أوائل سورة الإسراء وترجمة معاني القرآن الكريم، وأهميتها وشروطها، كما يسعى إلى توضيح معاني الحروف المقطعة الواردة في أوائل بعض السور الكريمة.

محـور الحديـث الشريف وعلومه: حيث يهدف إلى تعريـف الطالب بالمراحل التي مرت بها عمليـة تدوين السنة الشريفـة، والأسباب التي دعت إلى ذلك، ويسعى إلـى تقديم ثمانية أحاديث شريفة بالدراسة والشرح ويلتزم كل طالب بما ورد فيها من أحكام شرعية وتوجيهات نبوية.

محـور العقيـدة الاسلاميـة: حيث يهدف إلـى توضيح بعض المفاهيم الإيمانيـة مثل أركان الإيمـان، والتوحيد، والتعريف ببعض الموضوعات الغيبية كالملائكـة والجن والتحذير من الأمور التي تمس نقاء العقيدة الإسلامية وصفاءها. كما يعرض قصتي سيدنا هود وسيدنا صالح عليهما السلام كما بينت أثر العقيدة في حياة الفرد والمجتمع.

محـور السيـرة النبويـة: حيث يهـدف إلى توضيـح بيعتي العقبـة، والهجرة النبويـة، وأسس المجتمـع الإسلامـي، والسرايا وغزوة بدر الكبرى وغزوة بني قنيقـاع كما تعرف بآل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلموخصوصا زوجات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأبنائه.

محـور الفقـه الإسلامي: حيـث يهدف إلى تزويـد الطلبة بقدر مناسب من الأحـكام الشرعية فـي مجالات العبادات والمعامـلات والأحوال الشخصية، فتناول أحكام الخطبة والغسل الشرعي

١- (التربية الإسلامية، ٢٠٠٦)

والحج والصلاة والاستخارة وصلاة الحج والزكاة والرهن والوقف والمزارعة والمساقاة.

محـور النظـام الإسلامـي والأخـلاق الإسلامي: حيث يهـدف إلى بيـان آداب طلب العلم، وحقوق الزوجين وواجباتهم تجاه بعضهم وبين مفهوم الجهاد ومشروعيته وأهميته ثم تناول بعض موضوعات الأخلاق وخصوصا التقوى والعزة[1].

أما الأهداف التي يسعى كل محور من المحاور لتحقيقها في كتاب التربية الإسلامية للصف العاشر فهي:

محور القرآن الكريم وعلومه: حيث يهدف إلى بيان مفهوم القرآن الكريم وأسمائه وخصائصه ومقاصده، وتوضيح نوعين من الإعجازهما البياني والعلمي، كما يهدف إلى تفسير آيات طيبة من سورتي (المدثر والمؤمنين). أما الفصل الثاني فيهدف إلى بيان الإعجاز التشريعي والغيبي، كما يهدف إلى تفسير وحفظ آيات طيبة من سورتي (آل عمران، الأحقاف).

محـور الحديـث الشريـف وعلومه: حيـث يهدف إلـى التعريف بالكتـب الستـة وبأصحابها ومناهجهـم فـي التصنيف، إلى جانب حديثين من الأحاديث النبويـة الشريفة. أما الفصل الثاني فيهدف إلى حفظ وشرح خمسة أحاديث نبوية شريفة.

محـور العقيـدة الاسلامية: حيث يهدف إلى بيان خصائص العقيـدة الإسلامية، والإخلاص في العقيدة وأثره والهداية والضلال وأسبابهما. أما الفصل الثاني فيهدف إلى بيان دور العقل في إدراك حقائق العقيدة، والنظر في الظواهر الكونية الدالة على وجود الله سبحانه وتعالى، وتوضيح موقـف الإسـلام من العقائد الأخرى، وبيـان صبر وثبات الرسل عليهم السـلام في تبليغ رسالات ربهم، مع الوقوف على قصة سيدنا عليه السلام.

محـور السيرة النبوية: حيث يتحدث عن أربع غـزوات لتحرير الجزيرة العربية من الضلال والانحراف، والتبعية السياسية للدولتين العظمتين في حينها: الروم والفرس، وهذه الغزوات هي: مؤتة وفتح مكة وحنين وتبوك، واختتم المحور بدراسة عام الوفود. أما الفصل الثاني فيتناول حجة الـوداع ومرضـ الرسول صلى الله عليه وآلـه وسلم ووفاته، ويعرف بعدد مـن شهداء ثرى الأردن، ويختتم هذا المحور ببيان جهود العلماء المعاصرين في خدمة السيرة النبوية.

محـور الفقـه الإسلامـي وأصوله: حيث يهدف إلـى التعريف بعلم أصـول الفقه وموضوعاته ومجالاتـه، ومقارنتـة بين عمل كل مـن الأصولـي والفقيه، وكذلـك الاجتهاد والمجتهـد وشروط الاجتهاد ومجالاته، بالإضافة إلة ثلاثة موضوعات فقهية هي الوصية والأيمان والنذر. أما الفصل الثانـي فإنـه يهدف إلى توضيح عدد مـن المواضيع الفقهية وهي: الاحتـكار والتسعير، والحوالة،

١- (كتاب التربية الإسلامية للصف الثامن، ٢٠٠٦)

والقمار، وتعدد الزوجات، والشروط في عقد الزواج.

محـور النظـام الإسلامـي والأخلاق الإسلامـي: حيث يهدف إلـى بيان موضوع العفـة والتضحية والتوبة. أما الفصل الثاني فيهدف إلى بيان مبادئ الجهاد في الإسلام وتوضيح العلاقات الدولية فـي الإسـلام ومناقشة موضوع الفقـر وعلاجه في الإسـلام، والحديث عن اللباس في الإسلام ويختتم المحور بالحديث عن الرياضة في الإسلام[1].

مشكلة الدراسة:

تـؤدي التربية الإسلاميـة دوراً أساسياً في تكويـن شخصية الطالب المسلـم، وتزويده بالمعارف والمفاهيـم والأحـكام الشرعيـة الضرورية التي تلزمه فـي إقامة شعائره الدينيـة والتعبدية، كما أنهـا تعنى بتعزيز القيم والاتجاهـات الإسلامية عنده، ونظراً لأهمية هذا الدور فإنه يتوجب علينا العناية بكتب التربية الإسلامية عناية كبيرة تتمثل في تحديد أهدافها ومخرجاتها التعليمية، وفي تصميـم محتواهـا التعليمـي وتنظيمه وفق أسس علميـة منطقية ونفسية محـددة، وفي استخدام أساليـب وأنشطـة تدريسية تنظم العمليـة التعلمية التعليميـة بصورة فعّالة، وفـي تطوير أساليب وأدوات التقويم المستخدم، من قبل مصممي المنهج ومنفذيه.

عملـت المملكة الأردنية الهاشميـة على تطوير مناهج وكتب التربيـة الإسلامية لتواكب التطورات التربويـة المعاصـرة، والأساليب الجديـدة، ورغم الأهمية التـي تحتلها هذه الكتـب المطورة في النظـام التربوي الأردني إلا أنهـا تواجه عددا من الملاحظات ، كما أنها لم تحظ بدراسة تقويمية تشمـل عناصرها الخمسـة: الأهداف، والمحتوى، والأساليب، والأنشطـة، والتقويم، مما استدعى القيام بهذه الدراسة الميدانية التقويمية للكشف عن مدى مناسبة هذه الكتب.

وقـد أشـار المتخصصون في تأليف كتب التربيـة المطورة إلى أن هذه الكتب قـد تم تأليفها وفق المعاييـر والأسـس العلمية الحديثـة، إلا أن هناك بعض الأصوات سواء كانت مـن أولياء الأمور أو المعلمين القائمين على هذه الكتب المطورة، تنادي بأن هناك بعض الثغرات في تأليف هذه الكتب وعدم مطابقتها للمعايير والأسس العلمية، فقد جاءت هذه الدراسة للحكم على مدى مراعاة هذه الكتب للمعايير والأسس العلمية الحديثة من خلال أسلوب ونهج علمي.

أسئلة الدراسة:

تكمن أهداف الدراسة في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

السـؤال الأول: مـا مدى ملاءمـة كتب التربية الإسلاميـة المطورة للصفـوف الثامن والعاشر لمعايير تأليف الكتب المدرسية من وجهة نظر معلميها؟

١- (كتاب التربية الإسلامية للصف العاشر، ٢٠٠٦)

السـؤال الثانـي: هل تختلـف تقديرات معلمـي التربيـة الإسلامية لمدى ملاءمة كتـب التربية الإسلاميـة المطـورة للصفـوف الثامن والعاشر لمعاييـر وأسس تأليف الكتـب باختلاف الجنس (ذكر، أنثى) عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥)؟

السـؤال الثالـث: هل تختلـف تقديرات معلمـي التربيـة الإسلامية لمدى ملائمة كتـب التربية الإسلاميـة المطورة للصفوف الثامـن والعاشر لمعايير وأسس تأليف الكتـب باختلاف المستوى العلمي (بكالوريوس فما دون، ماجستير، دكتوراه) (α = ٠,٠٥) ؟

أهمية الدراسة:

تستمد الدراسة أهميتها من الموضوع الذي تتناوله وهو تقويم كتب التربية الإسلامية المطورة في المملكـة الأردنية الهاشميـة من وجهة نظر معلميها، للكشف عن مـدى ملاءمتها للمعايير العلمية فـي تأليف الكتب المدرسية، باعتبارها أداة من أدوات التعلم، وللكشف عن مواطن القوة ومواطن الضعـف فيها. ومـن المتوقع أن يستفيد من نتائـج هذه الدراسة المسؤولون فـي مديرية المناهج والكتب المدرسية في وزارة التربية والتعليم في التعرف على جوانب القوة في هذه الكتب وتفعيلها وجوانب الضعف والتخلص منها، وإعداد دورات تدريبية للمعلمين من أجل تمكينهم من الكفايات المناسبة لتنفيذ هذه الكتب على الوجه الأكمل.

حدود الدراسة:

جرت هذه الدراسة ضمن الحدود الآتية:

- اقتصرت هـذه الدراسة على تقويم كتب التربية الإسلامية المطـورة (الصف الثامن، والصف العاشر) من وجهة نظر معلميها في محافظة جرش.
- المعاييـر التـي اشتملتها أداة الدراسـة مقسمة إلى خمسة مجالات هـي: (الأهداف، المحتوى، طرق وأساليب التدريس والوسائل التعليمية، الأنشطة التهليمية، التقويم)
- تتحدد دقة وصحة النتائج على استجابة أفراد العينة على الاستبانة.

الدراسات السابقة:

قـام العمري (١٩٩٥) بدراسة هدفت إلـى تحليل وتقويم كتاب التربيـة الإسلامية للصف التاسع فـي الأردن، للتعـرف على مـدى مراعاته لمنطلقات التطويـر التربوي المتعلقـة بالمناهج والكتب المدرسيـة، وقـد توصلـت النتائج إلـى أن تقديـرات المشرفين لمجـالات الشكل العـام للكتاب، وإخراجـه، ولغته، وأساليب تقويمه، ومحتواه كانـت عالية، كما أشارت إلى أن تقديراتهم متوسطة للمجـالات الأخـرى وهي: الأنشطـة البنائيـة والختامية، والفـروق الفردية، والوسائـل التعليمية، وتنميـة التفكيـر. كما وضَحت النتائج أن تقديـرات المعلمين كانت عالية لجميـع المجالات، وإلى

اتفاق المعلمين والمشرفين على وجود بعض السلبيات مثل: كبر حجم المادة العلمية مقارنة بعدد الحصص المخصصة لها، وعدم ارتباط المحتوى بحاجات الطلبة وميولهم، وعدم اتصاف الوسائل التعليمية بالجاذبية والتشويق، وخلو المحتوى من أسلوب حل المشكلات.

وقام الجلاد (١٩٩٩) بدراسة هدفت إلى تقويم مناهج التربية الإسلامية في الأردن، حيث ركزت الدراسة على منهج الصف العاشر، طبقت الدراسة في (٢٢) مدرسة في عمان، وتناولت عناصر المنهج الأربعة: الأهداف، والمحتوى، وأساليب التدريس، والتقويم، زاوج الباحث بين المنهجين الكمي والكيفي، حيث استخدم الاستبانات، والمقابلات، والملاحظات، وتألفت عينة الدراسة من (١،٢٦٤) طالباً، و(٩٢) معلماً ومعلمة للتربية الإسلامية، كما تم إجراء المقابلات مع (٨٨) طالباً، و(٢٢) مدرساً، و(١٢) مشرفاً تربوياً في التربية الإسلامية، وأما الملاحظة فقد تم إجراؤها في (٢٢) حصة للتربية الإسلامية، وأظهرت النتائج أن تركيز المنهج وعملية التعلم والتعليم للتربية الإسلامية كانا منحصرين بشكل رئيس بالمحتوى، كما أن الاهتمام الأول للمدرسين تركز في نقل المعارف والمعلومات للطلاب خلال أسلوب المحاضرة دون استخدام أساليب تدريسية أخرى، إضافة إلى قلة استخدام الوسائل والأنشطة التعليمية، كما أن أساليب التقويم ركزت على قياس الجانب المعرفي عند الطلبة.

وقام أبو خضير (١٩٩٤) بدراسة هدفت إلى تقويم كتاب التربية الإسلامية للصف الخامس الأساسي لمعرفة مدى ملاءمته باعتباره أداة من أدوات التعلم، وللكشف عن مواطن القوة ومواطن الضعف فيه، تألفت عينة الدراسة من (٤٥) معلماً و(٦٦) معلمة يدرسون الكتاب، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن درجة ملاءمة الكتاب، بشكل إجمالي ومن وجهة نظر المعلمين والمعلمات قد بلغت (٥, ٧٩٪)، كما أظهرت النتائج أن أفضل أبعاد الكتاب هو لغة الكتاب، يليه الشكل العام، ثم المحتوى، ثم التقويم، أما الوسائل التعليمية فحصلت على أقل تقدير.

قام وزان (١٩٨٢) بدراسة هدفت إلى تقويم مناهج التربية الإسلامية في المملكة العربية السعودية بالمرحلة المتوسطة للوقوف على جوانب الضعف فيها، للمساهمة في تطوير المناهج بالصورة التي تحقق الأهداف المنشودة منها، وقد أظهرت النتائج أهمية مراعاة مناهج التربية الإسلامية لطبيعة المجتمع السعودي، بحيث يظهر من خلالها الاهتمام بالتغيرات التي طرأت عليه والمشكلات التي يعاني منها، والآمال التي يرنو إليها، وضرورة تنظيم محتوى التربية الإسلامية وفقا لأهداف المنهاج، بحيث يساعد على توضيح المفاهيم الإسلامية وتحليلها بصورة تمكن التلاميذ من إدراكها وفهمها.

وقام العلوي (١٩٨٩) بدراسة هدفت إلى تقويم منهاج التربية الإسلامية للصف الثالث الثانوي في دولة البحرين في ضوء أهداف المرحلة ومشكلات الطلاب، وقد أظهرت النتائج أن هذا المنهاج كان قاصرا في عرض الجوانب المختلفة للعقيدة، ولم يوفق في عرض القضايا العصرية

التـي يعاني منها المجتمع البحريني، كما أنـه أغفل المقارنة بين الإسلام والديانات الأخرى، ولم يتعرض لأبرز المشكلات التي يعاني منها طلاب الصف الثالث الثانوي بدولة البحرين.

وقام بدر (١٩٨٩) بدراسة هدفت إلى تقويم مناهج التربية الإسلامية في جمهورية مصر العربية لمعرفـة الخلل الـذي أدى إلى عدم تحقق بعض أهدافه لدى طلاب المرحلـة الأساسية، وطلاب الصـف التاسـع بوجه خاص، وقد أظهرت نتائـج الدراسة، أن كتـاب التربيـة الإسلامية للصف التاسـع لم يعالج الأهداف المحددة للمناهج، بالإضافة إلى عدم توازن الموضوعات في معالجتها للأهـداف، كمـا كشفـت النتائج وجود فـروق ذات دلالة إحصائيـة (α = ٠,٠٥) بين المعلمين والمعلمـات من حيـث أداؤهم لمهارات التربيـة الإسلامية ولصالح المعلميـن، كما أظهرت نتائج تحليـل محتوى بعض اختبارات نصف العـام ونهايته أن هذه الامتحانـات ينقصها الشمولية، كما أنها ركزت على الناحية العقلية.

وقـام الأزكي (١٩٩٥) بدراسة هدفت إلى تقويم كتاب التربية الإسلامية للصف الثالث الإعدادي فـي سلطنة عمان، من وجهة نظـر معلمي ومعلمات التربية الإسلامية، وذلك لمعرفة مدى ملاءمة الكتاب، والكشف عن مواطن القوة والضعف فيه، وأظهرت النتائج أن درجة ملاءمة الكتاب بشكل إجمالي من وجهة نظر المعلمين والمعلمات بلغت (٧٢,٦٪)، كما بينت عدداً من جوانب القوة في الكتـاب تمثلت بشكل واضح في مجال الإخراج، ومجال أسلوب العرض، ولغة الكتاب، وقد أظهرت النتائـج عـددا من مواطن الضعـف وبخاصة في مجال المحتـوى فيما يتعلق بالرسـوم، والوسائل التعليميـة من حيث كفايتها، ووضوحها، وتنوعها، يليها في ضعف جوانب تنمية التفكير ثم مراعاة الفروق الفردية فالجوانب الوظيفية للمحتوى.

الطريقة والإجراءات

مجتمع الدراسة :

تكوّن مجتمع الدراسة من:

أ. كتب التربية الإسلامية المطورة للصفوف الثامن والعاشر (٢٠٠٦/٢٠٠٧).

ب. المعلمين والمعلمات الذين يدرّسون مادة التربية الإسلامية للصف الثامن والعاشر في الفصل الدراسي الأول للعام الدراسي ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨م، والبالغ عددهم (٦٢) معلماً ومعلمة وذلك في جميع المدارس الحكومية التابعة لوزارة التربية في محافظة جرش.

عينة الدراسة :

تم اختيار عينة للدراسة من جميع معلمي التربية الإسلامية الذين يدرسون مادة التربية الإسلامية للصفي الثامن والعاشر، بطريقة قصديه، وقد بلغ عدد أفراد عينة الدراسة (٤٩) معلماً ومعلمة،

منهـم (٢٦) مـن الذكـور و(٢٣) مـن الإناث، ويوضـح الجدول رقـم (١) توزيع عينـة المعلمين والمعلمات حسب متغيرات الجنس والخبرة والمؤهل العلمي.

جدول رقم (١)

توزيع أفراد عينة الدراسة للمعلمين حسب متغيرات: الجنس، والمستوى العلمي

المستوى العلمي	بكالوريوس فما دون		ماجستير		دكتوراه		المجموع
	الجنس		الجنس		الجنس		
	ذكر	أنثى	ذكر	أنثى	ذكر	أنثى	
	١٤	٢٠	٩	٣	٣	٠	
المجموع الكلي	٣٤		١٢		٣		٤٩

أداة الدراسة:

قـام الباحث بتطوير استبانة لتقويم منهاج التربية الإسلاميـة للصفي الثامن والعاشر الأساسي، بعـد الإطلاع على الأدب التربوي والدراسات المتعلقة في هـذا المجال، ومقدمة الكتب المدرسية المطـورة التي تحدد المعايير التي راعاهـا الكتاب. تكونت الاستبانة من (١٠٢) فقرة موزعة على (٥) مجالات هي: الأهداف التربوية، ومحتوى الكتاب، والأساليب والوسائل، والأنشطة، والتقويم.

تم ترتيب فقرات الاستبانة وفق تدرج خماسي ممثلة بـ: «دائما، وغالبا، وأحيانا، ونادرا، ومطلقا». ومثلت رقميا بالأرقام التالية: (٥،٤،٣،٢،١) على التوالي والملحق رقم١ يوضح ذلك.

صدق الأداة:

للتحقـق من صـدق الأداة قام الباحث بعرض الأداة على عدد من المحكمين والمختصين في عدد من الجامعات الأردنية الحكومية والخاصة، وطلب منهم إبداء ملاحظاتهم حول: مناسبة الفقرات للمجـالات، والصياغـة اللغويـة، أو أي اقتراحـات وتعديـلات أو ملاحظات أخـرى. أخذ الباحث بملاحظـات المحكمين، وأجريت التعديلات المناسبة لإثراء الدراسة. بعد التعديل النهائي أصبح عدد فقرات الدراسة (٨٥) فقرة موزعة على (٥) مجالات.

ثبات الأداة:

للتحقـق مـن ثبات الأداة قام الباحث بتطبيق الأداة علـى عينة مكونة من ١٠ معلمين، حيث طبقت بطريقـة الاختبار وإعادة الاختبار (test- retest) وبفارق أسبوعين بين التطبيق الأول والثاني، تم حسـاب معامـل الثبات باستخدام معامل ارتبـاط (بيرسون) إذ بلغ معامـل الثبات (٠,٨٨) وعد كافيـا لأغراض هـذه الدراسة. ومن ثم تم استخـراج معامل (كرومباخ ألفـا) للتأكد من الاتساق

الداخلي لأداة الدراسة وكانت قيمته (٠,٩٢) وعد كافيا لأغراض هذه الدراسة.

إجراءات الدراسة:

قام الباحث بتوزيع الاستبانات على أفراد عينة الدراسة البالغ عددهم (٦٢) معلما ومعلمة في محافظة جرش، وقد تمكن الباحث من استرداد (٤٩) استبانة وكانت نسبتهم (٧٩٪) من عدد أفراد مجتمع الدراسة.

طلب الباحث من أفراد عينة الدراسة، الإجابة عن جميع فقرات الاستبانة، وإبداء رأيهم من حيث: درجة موافقتهم على كتب التربية الإسلامية المطورة للصف الثامن والعاشر، من وجهة نظرهم.

المعالجة الإحصائية:

للإجابة عن أسئلة الدراسة تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل فقرة من فقرات الدراسة، واختبار (ت) (Independent Sample T-test) لمعرفة أثر متغير الجنس (ذكر، أنثى) على تقديرات المعلمين لمجالات الدراسة الخمسة، وكذلك تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA) لمعرفة أثر متغير المستوى العلمي على تقديرات المعلمين على مجالات الدراسة. اعتبر الباحث المتوسطات التي تتراوح بين (٤,٥٥ - ٤,٠٠) متوسطات عالية، والتي تتراوح بين (٣,٩٩ - ٣,٠٠) متوسطات متوسطة، والتي تتراوح بين (٢,٩٩ - فما دون) متوسطات متدنية.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

تناول هذا الفصل عرضا للنتائج التي توصلت إليها الدراسة حيث تم تصنيفها وفقا لأسئلة الدراسة على النحو الآتي:

أولاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الأول: ما مدى ملاءمة كتب التربية الإسلامية المطورة للصفوف الثامن والعاشر لمعايير تأليف الكتب المدرسية من وجهة نظر معلميها؟

للإجابة عن هذا السؤال، تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات المعلمين على كل فقرة من فقرات الاستبانة والتي توزعت على مجالات خمسة: الأهداف، والمحتوى، الأساليب والوسائل والأنشطة، والتقويم؛ وقد تم ترتيب الفقرات الخاصة بكل مجال ترتيباً تنازلياً، والجدول رقم (٢) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات المجال الأول (أهداف المنهاج).

الجدول رقم (٢)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات المجال الأول (أهداف)

الرتبة	رقم الفقرة	المجال الأول: أهداف المنهاج	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	٢	يراعي المجال المعرفي بمستوياته	٤,٣٠	٠,٤٦
٢	٥	ينمي الاتجاهات الإيجابية.	٤,١٠	٠,٧٤
٣	٣	يغرس في نفوس الطلبة حب الدين والاعتزاز به.	٤,٠٦	٠,٦٥
٤	١٠	يؤكد على أهمية الدين الإسلامي في الحياة الاجتماعية بتقديم حلول للعديد من مشكلات المجتمع.	٣,٨٩	٠,٨٤
٥	٧	يربط الأهداف التعليمية بالأهداف العامة للمنهاج والأهداف الخاصة للمرحلة الأساسية.	٣,٧٥	٠,٧٥
٦	١١	يسهم في التكيف والقبول الاجتماعي الإيجابي	٣,٧٥	٠,٨٥
٧	١	ينمي جوانب الشخصية المتكاملة: الفكرية والعاطفية والجسدية والاجتماعية للطلبة	٣,٧٣	٠,١,٢٥
٨	٤	يعزز لدى الطلبة ممارسة شعائر الدين الإسلامي في حياتهم اليومية.	٣,٧١	١,١١
٩	٩	يراعي المجال النفس حركي بمستوياته	٣,٥٥	٠,٧٦
١٠	١٢	يساعد المعلم على تحديد الأداء المطلوب من المتعلم بدقة	٣,٢٨	٠,٨٦
١١	٨	يوازن في الأهمية النسبية للمرتكزات المتعددة التي يستند إليها منهاج التربية الإسلامية (الديني، الاجتماعي، الثقافي، ، النفسي)	٣,٢٦	١,٠٣
١٢	٦	يراعي المجال الوجداني بمستوياته	٣,٠٦	٠,٩٨
		المجال ككل	٣,٧٠	٠,٨٥

يتبين من الجدول رقم ٢ أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن المجال الأول (أهداف المنهاج) قد تراوحت بين (٤,٣٠ - ٣,٠٦) وكان المتوسط الكلي لهذا المجال (٣,٧٠). حيث حصلت الفقرة رقم (٢) (يراعي المجال المعرفي بمستوياته) على أعلى متوسط مقداره (٤,٣٠)، وجاءت الفقرة رقم (٥) والمتعلقة (بتنمية الاتجاهات الإيجابية) في المرتبة الثانية حيث حصلت على متوسط مقداره (٣,٢٦)، أما الفقرة رقم (٣) والتي تتعلق (بغرس حب الدين والاعتزاز به في نفوس الطلبة)، فقد جاءت في المرتبة الثالثة حيث حصلت على متوسط مقداره(٣,٠٦).

ويظهر من خلال النتائج السابقة أن تقديرات أفراد العينة على فقرات هذا المجال جاءت بدرجة متوسطة، وأن الفقرات الآتية (تراعي المجال المعرفي بمستوياته، تنمية الاتجاهات الإيجابية، غرس حب الدين والاعتزاز به في نفوس الطلبة) جاءت عالية حيث حلت في المراتب الثلاث الأولى في الأداة، وهذا يشير إلى تركيز الكتب المطورة على المجال المعرفي، أما المجال المهاري بمستوياته فقد لوحظ ضعف تركيز كتب التربية الإسلامية عليه، فقد جاء في المرتبة التاسعة.

وقد يعزى ذلك إلى ميل المعلمين إلى تدريس التربية الإسلامية نظريا وعدم اللجوء إلى تطبيق مهارات أدائية داخل الغرفة الصفية وبالتالي حصر معرفتهم بالنواحي النظرية والمعرفية أكثر من النواحي المهارية الأدائية. وكذلك إلى كبر حجم المادة الدراسية والذي لا يتناسب مع الزمن المخصص لها مما يدفع المعلمين إلى التركيز على الجانب النظري والمعرفي أكثر من الجانب الأدائي، لأنهم مطالبين بإنهاء المقرر الدراسي في الوقت المحدد. وبذلك تتفق الدراسة بما يتعلق بتركيز الكتاب على الجانب المعرفي مع ما توصلت له دراسة جلاد (١٩٩٩)

وحصلت الفقرات رقم (١٢،٨،٦) على المراتب الأخيرة في المجال، حيث حلت الفقرة رقم (١٢) على المرتبة قبل الأخيرة وهي (يساعد المعلم على تحديد الأداء المطلوب من المتعلم بدقة)، وجاءت في المرتبة الثانية قبل الأخيرة الفقرة رقم (٨) وهي (يوازن في الأهمية النسبية للمرتكزات المتعددة التي يستند إليها منهاج التربية الإسلامية -الديني، الاجتماعي، الثقافي، النفسي-)، بينما حلت في المرتبة الأخيرة الفقرة رقم (٦) وهي (يراعي المجال الوجداني بمستوياته).

ويظهر من النتائج السابقة عدم تركيز الكتب على الجانب الوجداني بمستوياته والضعف التطبيقي له، وهذا يشير إلى أن الكتب المطورة تركز على طريقة الوعظ والإرشاد في تدريس القيم والاتجاهات بدلا من الطرق الأخرى كالقدوة وغيرها.

ويمكن أن يعلل ذلك بعدم توفير دليل ارشادي للمعلم في كيفية تدريس وتنفيذ الكتاب، وكذلك ضعف تدريب المعلمين على تنفيذ الكتاب، وضعف الكتب في طرائق التدريس التي يقترحها، وضعفهم في مجال المعرفة بالأسس التي يبنى عليها منهاج التربية الإسلامية.

نتائج المجال الثاني: المحتوى:

جدول رقم (٣)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات المجال الثاني (المحتوى)

الرتبة	رقم الفقرة	المجال الثاني: المحتوى	المتوسط الحسابى	الانحراف المعيارى
١	٢٠	يحسن توظيف الأدلة الشرعية	٤,٣٤	٠,٦٩
٢	١٧	ينظم الأفكار والعناوين الرئيسية والفرعية والمحاور بشكل مناسب	٤,١٦	٠,٤٢
٣	٩	يعرض المحتوى بلغة مناسبة للطلبة	٤,٠٢	٠,٩٦
٤	١٦	يخلو من التناقض والخلل	٤,٠٢	٠,٥٥
٥	١٨	يشير إلى المصدر الذي اقتبست منه العبارات أو نقلت منه المعرفة والخبرة التعليمية	٣,٩١	٠,٧٣
٦	٧	يقدم المعلومات بشكل متسلسل مترابط	٣,٨٥	٠,٧٦
٧	١١	يخلو من الأخطاء اللغوية والنحوية والطباعية.	٣,٨٥	٠,٨٦
٨	٤	يصنف المعرفة في المحتوى إلى معرفة إدراكية وقيمية وأدائية	٣,٧٥	٠,٦٣
٩	١٢	يرتبط بالأهداف التعليمية للمرحلة التعليمية	٣,٧٥	٠,٨٥
١٠	١	يناسب الخصائص النمائية للمرحلة العمرية المستهدفة	٣,٦٩	١,٠٢
١١	٢٢	يوازن بين الجانب النظري والجانب التطبيقي.	٣,٦٧	٠,٧٤
١٢	٣	يفيد التدرج في خريطة المفاهيم لموضوعات التربية الإسلامية التي سيتعلمها الطلبة في مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي.	٣,٥٣	٠,٩١
١٣	١٠	يعتمد على الكلمة المطبوعة فقط	٣,٥٣	١,٠٤
١٤	١٩	يضع المعارف والخبرات التعليمية فى كلمات مرتبة متناسقة	٣,٤٨	٠,٩٨
١٥	١٤	يعرض الفصول والفقرات والرسوم التوضيحية بألوان مناسبة	٣,٣٨	١,٢٠
١٦	١٣	يعرض الفصول بشكل مترابط بحيث يكون كل فصل مبنيا على الجزء السابق له وممهدا للجزء اللاحق	٣,٣٦	٠,٨٨
١٧	١٥	يراعى الفروق الفردية	٣,٢٦	١,٣٥
١٨	٢١	يثير بأشكاله ورسوماته اهتمام المتعلمين	٢,٨٧	١,٠٩
١٩	٥	يعتمد على التقنيات المحوسبة فى عدد من الموضوعات	٢,٨١	١,٠٧
٢٠	٦	يوفر الوقت لصياغة أنشطة وتدريبات أصيلة وأكثر واقعية	٢,٥٧	١,٤١
٢١	٨	يناسب حجم الكتاب وإخراجه الطلبة	٢,٤٤	١,٣٠
٢٢	٢	يتناسب مع عدد الحصص المقررة لمادة التربية الإسلامية.	١,٧٧	١,٢٤
		المجال ككل	٣,٤٦	٠,٩٤

يتبيـن من الجـدول رقم (٣) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفـراد عينة الدراسة عن المجال الثانـي (محتـوى المنهاج) قد تراوحت بيـن (٤,٣٤ - ١,٧٧) وكان المتوسط الكلي لهذا المجال (٣,٤٦). حيـث حصلـت الفقرة رقم (٢٠) والتـي تتعلق (بحسن توظيف الأدلـة الشرعية) على المرتبـة الأولى بمتوسط مقداره (٤,٣٤). وجاءت الفقـرة رقم (١٧) والمتعلقة (بتنظيم الأفكار والعناويـن الرئيسـة والفرعيـة والمحـاور بشكل مناسـب) في المرتبـة الثانية بمتوسـط مقداره (٤,١٦)، وأمـا الفقرة رقـم (٩) التي تتعلق (بعرض المحتوى بلغة مناسبـة للطلبة) في المرتبة الثالثة بمتوسط مقدارة (٤,٠٢).

ويظهر من النتائج السابقة أن مؤلفي الكتب قد راعوا المعايير والأسس العلمية في تنظيم المحتوى بشـكل متسلسل منطقي وفـي عرضه بلغة مناسبة للطلبة، في طرحه للأفـكار الشرعية وذلك لأن هذه الأحكام لا تحتمل أي خطأ لأنها مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

وقـد يُعـزى ذلك إلى عناية القائمين علـى الكتاب المقرر وحرصهم علـى اخراجه بصورة توظف الأدلـة الشرعيـة بأسلوب علمي منطقي ينمي المهارات العقلية عنـد الطلبة تحاشيا للوقوع في أي خطأ أو عدم وضوح الأحكام الشرعية، وكذلك يظهر حرصهم على تنظيم الكتاب والأفكار بصورة تتمشـى مع الواقع وما تفرضه ثورة المعلومات من تنظيم وترتيب، ويظهر في الكتاب الحرص على أن تكـون لغتـه مناسبة للطلبة. وبذلك تتفق الدراسة بما يتعلق بلغة الكتاب مع ما توصلت له دراسة العمري (١٩٩٥)، وأبو خضير (١٩٩٤)، والأزكي (١٩٩٥).

وجاءت الفقرات (٢، ٨، ٦) في المراتب الأخيرة فقد حصلت الفقرة (٦) على المرتبة الثالثة قبل الأخيـرة والمتعلقة (بمدى توفير وقـت لصياغة أنشطة وتدريبات أصيلـة وأكثر واقعية) بمتوسط مقـداره (٢,٥٧). وحلت فـي المرتبة قبل الأخيـرة الفقرة رقم (٨) التي تتعلـق (بمدى مناسبة حجم الكتاب وإخراجه للطلبة) بمتوسط مقداره (٢,٤٤)، بينما حلت في المرتبة الأخيرة الفقرة رقم (٢) والمتعلقة (بمدى مناسبة مع عدد الحصص المقررة لمادة التربية الإسلامية) بمتوسط مقداره (١,٧٧).

ويظهر من النتائج السابقة أن الكتب المطورة جاءت مقتضبة بحيث لم توفر وقتاً مناسباً لصياغة أنشطـة وتدريبات، وكذلك عدم اهتمـام مؤلفي الكتب بإخراج الكتاب بحجـم مناسب للطلبة بما ينسجم مع عدد الحصص المقررة لمادة التربية الإسلامية.

وقـد يعـزي الباحث هذه النتائج إلى: أن إعداد هذه الكتب بني على فرضية أن عدد أيام الدراسة ستزيـد فـي كل عام في المملكـة فجاءت هـذه الكتب لتتناسب مـع عدد الحصص فـي السنوات المقبلة، وكذلك اكتظاظ الكتاب المقرر بالمادة العلمية دفع المعلم إلى والإسراع في إعطاء المادة الدراسية بغيـة إنهاء المقرر دون الإهتمام بالأنشطة والتدريبات. وكذلك اكتظاظ الكتاب بالمادة العلمية وطباعته بحجم خط كبير أدى إلى كبر حجم الكتاب بصورة غير مناسبة للطلبة.

وتتفق هذه النتائج مع ما توصلت إليـه دراسـة كل من العمري (١٩٩٥م).

نتائج المجال الثالث: طرق وأساليب التدريس والوسائل التعليمية:

جدول رقم (٤)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات المجال الثالث (طرق وأساليب التدريس والوسائل العامة)

الرتبة	رقم الفقرة	طرق وأساليب التدريس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	١	يثير تفكير الطلبة وينمى مهاراتهم العقلية.	٤,٠٠	٠,٥٠
٢	١٢	يراعي أسلوب الحوار والمناقشة	٤,٠٠	٠,٧٠
٣	١٩	يؤكد على التوافق بين استراتيجيات التدريس والنتاجات التعليمية	٣,٩٧	٠,٤٧
٤	٧	يراعي التدريس بالقدوة	٣,٨٣	٠,٩٦
٥	١٠	يراعي أسلوب القصة	٣,٨١	٠,٩٥
٦	١٨	يزيد من فاعلية نقل أثر التعلم وتوظيفه في الحياة	٣,٦٧	٠,٧٤
٧	٨	يراعي التدريس بالعرض العملي	٣,٤٠	١,٠٧
٨	١١	يحفز على التعلم الذاتي	٣,٣٢	٠,٨٠
٩	١٦	يجعل نواتج التعلم أكثر ثباتاً ودواماً وأقل عرضة للنسيان.	٣,٢٢	١,٠٠
١٠	٢	يستخدم الحاسوب في البحث عن آيات وأحاديث في الموضوعات المختلفة	٣,١٢	١,٠٥
١١	١٧	يتضمن الكثير من المعينات البصرية من صور وأشكال ورسومات مما يقرب الواقع للمتعلم	٣,٠٦	١,٢١
١٢	٩	يراعي أسلوب التمثيل (لعب الأدوار)	٢,٩٣	١,١٠
١٣	١٣	يستخدم الرسومات والأشكال التوضيحية والخرائط	٢,٩٣	١,١٢
١٤	٦	يراعي الاكتشاف الموجة لاستخلاص المفاهيم	٢,٨٣	١,٢٤
١٥	٥	يراعي أسلوب التدريس بالاستقصاء	٢,٧٩	١,١٥
١٦	٤	يركز على أسلوب حل المشكلات	٢,٧٥	١,١٩
١٧	١٤	يستخدم المسجل في حصة التلاوة	٢,٧٥	١,١٤
١٨	٣	يراعي الفروق الفردية بين المتعلمين من حيث القدرة على الإنجاز والسرعة.	٢,٧١	١,١٧
١٩	١٥	يحفز على استخدام مواقع بالإنترنت	٢,٤٢	٠,٧٩
		المجال ككل	٣,٢٤	٠,٩٢

يتبين من الجدول رقم (٤) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن المجال الثالث (طرق وأساليب التدريس والوسائل التعليمية) قد تراوحت بين (٤,٠٠ - ٢,٤٢) وكان المتوسط الكلي لهذا المجال (٣,٢٤). حيث حصلت الفقرة رقم (١) والتي تتعلق (بإثارة تفكير الطلبة وتنمية مهاراتهم العقلية) والفقرة رقم (١٢) والمتعلقة (بأسلوب الحوار والمناقشة) على أعلى متوسط مقداره (٤,٠٠)، وأما الفقرة رقم (١٩) والتي تتعلق (بالتوافق بين استراتيجيات

التدريس والنتاجات التعليمية) في المرتبة الثانية بمتوسط مقداره (٣,٩٧).

ويظهر من خلال ما سبق أن الكتب المطورة تعطي أهمية كبرى بطرق التدريس التي تثير تفكير الطلبة وتنمي مهاراتهم العقلية، وكذلك تربط بين استراتيجيات التدريس والنتاجات التعليمية.

وقد يُعزى ذلك إلى مراعاة النظرة الحديثة للمنهاج وتركيزها على تنمية المهارات العقلية عند الطلبة وعدم تركيزها على حفظ المعلومات فقط. وتتفق هذه النتائج فيما يتعلق بجانب تركيزها على طريقة الحوار والمناقشة مع ما توصلت إليه دراسة جلاد (١٩٩٩م)، واختلفت بما يتعلق بإثارتها لتفكير الطلاب مع دراسة الأزكي (١٩٩٥م).

وجاءت الفقرات (١٥، ٣، ١٤) في المراتب الأخيرة، فقد حصلت الفقرة (١٤) على المرتبة الثالثة قبل الأخيرة والمتعلقة (باستخدام المسجل في حصة التلاوة) بمتوسط مقداره (٢,٧٥). وحلت في المرتبة قبل الأخيرة الفقرة رقم (٣) والتي تتعلق (بمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين من حيث القدرة على الإنجاز والسرعة) بمتوس مقداره (٢,٧١)، بينما حلت في المرتبة الأخيرة الفقرة رقم (١٥) والمتعلقة (بالتحفيز على استخدام مواقع بالإنترنت) بمتوسط مقداره (٢,٤٢).

نستنتج مما سبق أن الكتب المطورة لا تشجع على استخدام التقنيات في عمليات التعليم والتعلم، كما أنها لا تولي الفروق الفردية أهمية، وكذلك لا تشجع الطلبة على استخدام المواقع الالكترونية وتوظيفها في عملية التعليم والتعلم.

ويعزو الباحث ذلك إلى عدم تضمين الكتب المدرسية ارشادات خاصة بكيفية استخدام وتزظيف تقنيات التعليم، أو اقتراح بعض أسماء وسائل التكنولوجيا لاستخدامها من قبل المعلمين والمتعلمين.

وتتفق هذه النتائج مع ما توصلت إليه دراسة كل من الأزكي (١٩٩٥م)، وأبوخضير (١٩٩٤م).

ويتضح من الجدول رقم (٤) أن أكثر طرق وأساليب التدريس التي حظيت بمتوسطات هي: (الحوار والمناقشة) حيث حظي على أعلى متوسط مقداره (٤,٠٠) وكان في المرتبة الثانية أسلوب (التدريس بالقدوة) حيث حظي على متوسط مقداره (٣,٨٣) يليه أسلوب (العرض العلمي) بمتوسط مقداره (٣,٤٠). في حين حصلت الأساليب الأخرى على متوسطات متدنية تراوحت بين (٢,٩٣-٢,٧٥) كأسلوب التمثيل (لعب الأدوار)، والاكتشاب الموجه لاستخلاص المفاهيم، والتدريس بالاستقصاء وأسلوب حل المشكلات.

يلاحظ من الجدول السابق أن الكتب المطورة قد ركزت على استراتيجيات التدريس المباشرة (الحوار والمناقشة، والتدريس بالقدوة)، ضنا أن هذه الطرق أكثر فاعلية في تدريس التربية الإسلامية، وأكثر مناسبة لقطع المحتوى الدراسي وملائمتها للبيئة الصفية، بينما نجد أن

الاستراتيجيات الأخرى القائمة على التعليم غير المباشر كالتفكير الناقد وحل المشكلات وغيرها قد جاء اهتمام الكتب الكطورة بها ضعيفا.

وقد تعزى هذه النتائج إلى كبر حجم المادة المقررة مما دفع مؤلفي هذه الكتب إلى التركيز على استخدام طرائق التعليم المباشرة، لمناسبتها لقطع محتوى المادة الدراسية في الزمن المخصص له، طبيعة محتوى الكتاب الذي يركز على الجانب المعرفي وازدحامه بالمعلومات والمعارف، قلة المهارات التدريسية لدى المعلمين. وتتفق هذه النتائج مع دراسة كل من العمري (١٩٩٥)، وجلاد (١٩٩٩).

ويتضح من الجدول رقم (٤) أن الوسائل التعليمية التي تثري عملية التعليم لم تحظ بمتوسطات عالية فقد تراوحت متوسطاتها من (٣,١٢-٢,٤٢) وخاصة الوسائل التعليمية الحديثة كالإنترنت. يلاحظ من الجدول السابق أن الوسائل التعليمية لم تحظ باهتمام ، بل كان الاهتمام بها ضعيفا.

ويمكن أن تُعزى هذه النتائج إلى الأسباب الآتية: أن الوسائل التعليمية المستخدمة في تدريس التربية الإسلامية يمكن حصرها في السبورة والمسجل، إلا أن الحاسوب دخل متأخرا في عملية التدريس، وإن كان مقتصرا على بعض المدارس لعدم توفر الامكانات المادية، وقلة توفر البرامج المحوسبة في مادة التربية الإسلامية، قلة عدد الحصص الأسبوعية المخصصة للتربية الإسلامية، حيث إن استخدام الأجهزة الحديثة مثل: الحاسوب يحتاج إلى وقت طويل، وتركيز دائم، وهذا لا يتناسب مع عدد الحصص الأسبوعية المخصصة وهي حصتان في الأسبوع للتربية الإسلامية وحصة واحدة للتلاوة. وتتفق النتائج السابقة مع نتائج دراسة كل من: جلاد (١٩٩٩م)، والعمري (١٩٩٥م)، وبدر (١٩٨٩م).

نتائج المجال الرابع: الأنشطة التعليمية:

جدول رقم (٥)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسبة المئوية لفقرات البند (ج) من المجال الثالث (الأنشطة)

الرتبة	رقم الفقرة	الأنشطة التعليمية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	١٦	يناسب النتاجات التعليمية للمبحث	٣,٩٧	٠,٥٢
٢	١٤	يوازن بين العمل التنافسي والعمل التعاوني للطلبة	٣,٦٧	٠,٧٧
٣	١٨	ينوع بين النشاط الصفي والنشاط المدرسي	٣,٦٧	٠,٩٤
٤	٩	يحفز على التعلم الذاتي	٣,٦٥	٠,٩٩
٥	١١	يتيح الفرصة لجميع الطلبة للمشاركة الإيجابية فيه.	٣,٦٥	٠,٧٧
٦	١٧	يسهم في تنوع مصادر التعلم والتعليم	٣,٦٣	١,٢٦
٧	٨	يعمل على تحقيق أهداف تربوية شاملة معرفية ووجدانية وأدائية واجتماعية	٣,٦١	٠,٩٧

٨	١٥	يوازن بين المخرجات النهائية والعمليات العقلية	٣,٥٩	٠,٩٧
٩	١٠	يرتبط بالمتعلم (حاجاته، اهتماماته، إثارته للتفكير)	٣,٥٧	٠,٨٦
١٠	١٢	يثير حاجة الطلبة إلى استخدام مصادر تعلم متنوعة غير الكتاب المدرسي	٣,٥٥	٠,٧٣
١١	٣	يشجع الطلبة على زيارة المكتبة والاستفادة منها في جمع البيانات	٣,٤٢	١,٠٤
١٢	٧	يدعو إلى زيارة الأماكن الدينية	٣,٣٦	١,٢٠
١٣	١٣	يجعل دور المتعلم إيجابي في تخطيطها وتنفيذها.	٣,٣٢	٠,٩٢
١٤	١	يشجع المشاركة في إعداد مجلات الحائط	٣,٢٠	١,٢٢
١٥	٥	يشجع الطلبة على استخدام برامج الحاسوب لتنفيذ نشاطات في المنهاج	٣,١٢	٠,٩٤
١٦	٦	يربط عدد من النشاطات التعليمية بالمسجد	٣,٠٤	١,١٥
١٧	٢	يشجع الطلبة على كتابة البحوث والتقارير	٢,٨٦	١,١٨
١٨	٤	يكلف الطلبة بزيارة مواقع الكترونية محددة باستمرار	٢,٥٣	٠,٩٨
		المجال ككل	٣,٤١	٠,٩٦

يتبين من الجدول رقم (٥) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن المجال الرابع (الأنشطة التعليمية) قد تراوحت بين (٣,٩٧ - ٢,٥٣) وكان المتوسط الكلي لهذا المجال (٣,٤١). تظهر النتائج أن إجابات المعلمين لقيت موافقة بدرجة متوسطة في معظم الفقرات، وبدرجة متدنية في باقي الفقرات، حيث حصلت الفقرة المتعلقة (بمناسبة النشاطات بالنتاجات التعليمية للمبحث) بالمرتبة الأولى حيث حصلت على متوسط مقداره (٣,٩٧)، تلتها الفقرة المتعلقة (بموازنتها بين العمل التنافسي والعمل التعاوني للطلبة) حيث حصلت على متوسط مقدارة (٣,٦٧)، تلتها الفقرة المتعلقة (بالتنوع بين النشاط الصفي والنشاط المدرسي) حيث حصلت على متوسط مقداره (٣,٦٧).

وقد جاءت الفقرة رقم (٦) في المرتبة الثالثة قبل الأخيرة والمتعلقة (بربط عدد من النشاطات التعليمية بالمسجد) حيث حصلت على متوسط مقداره (٣,٠٤) تلتها في المرتبة الثانية قبل الأخيرة الفقرة رقم (٢) والمتعلقة (بتشجع الطلبة على كتابة البحوث والتقارير) حيث حصلت على متوسط متدني مقداره (٢,٨٦) وحصلت الفقرة رقم (٤) والمتعلقة (بزيارة مواقع الكترونية محددة باستمرار) على المرتبة الأخيرة حيث حصلت على متوسط متدني مقداره (٢,٥٣).

ويلاحظ من الجدول السابق قلة اهتمام كتب التربية الإسلامية بالأنشطة بشكل عام. وتركيزها على الأنشطة المعرفية بينما نجدها أهملت الأنشطة التي تركز على المهارات الأدائية وكذلك التي تنمي الاتجاهات والقيم لدى الطلبة. وتبين النتائج عدم تشجيع الكتب المطورة على كتابة البحوث والتقارير، وزيارة المواقع الالكترونية.

ويمكـن أن يرجـع تفسير ذلك إلـى: الفهم الخاطئ لـدى مؤلفي كتب التربيـة الإسلامية لأهداف التربيـة الإسلاميـة وحصر اهتمامهم في الأهـداف المعرفية، قلة البرامـج أو المشاريع الخاصة بالأنشطـة الدينيـة فـي المدارس من قبـل وزارة التربية والتعليـم، عدم توفر الإمكانـات المادية اللازمـة لعمـل برامـج مدرسية تحفـز الطلبة علـى المشاركة فـي نشاطاتها المتنوعـة، قلة عدد الحصـص المخصصـة لمنهاج التربيـة الإسلامية واكتظـاظ المنهاج الدراسي، قلـة الإمكانات المادية المتاحة في المدارس. وتتفق هذه النتائج مع نتائج دراسة الجلاد (١٩٩٩).

نتائج المجال الخامس: التقويم

جدول رقم (٦)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية لفقرات المجال الرابع (التقويم)

الرتبة	رقم الفقرة	التقويم	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	٩	ينوع في استخدام الأسئلة التحصيلية الموضوعية (الصواب والخطأ، التكميل، المطابقة والمزاوجة، الاختيار من متعدد)	٤,٣٦	٠,٦٠
٢	٨	يركز على استخدام الأسئلة التحصيلية المقالية.	٤,٢٠	٠,٤٥
٣	١٣	ينـوع فـي الأدوات المستخدمة فـي التقويم: الورقـة والقلم والعرض العملي والمستقبلات الحسية	٤,١٤	٠,٥٤
٤	٣	يتضمن مجموعة كافية ومتدرجة ومتنوعة من الأسئلة	٤,١٢	٠,٩٢
٥	١٠	يهتم باستراتيجية الملاحظة في التقويم التربوي في المجال الوجداني	٤,١٠	٠,٥٤
٦	٧	ينـوع فـي استخـدام أدوات التقويـم الشفويـة (السـرد، التسميع).	٤,٠٨	٠,٩٧
٧	٦	يساهم في الوقوف علـى مناسبة المنهاج والمقرر المدرسي لتتحقـق النتاجـات التربوية والتعليميـة والسلوكية المخطط لها.	٣,٩٧	٠,٤٣
٨	٥	يمكن الطلبة من تقويم أدائهم ذاتيا.	٣,٩١	٠,٩٠
٩	٢	يهتـم بتقويم المجـال المعرفي بستوياتـه (المعرفة، الفهم، التطبيق، التحليل، التركيب، التقويم)	٣,٨٧	٠,٨٨
١٠	٤	يقوم المهارات المتنوعة فى التعبير والتفكير	٣,٦٧	٠,٧٧
١١	١	يقـوم تحصيـل الطلبـة فـي كافـة المجـالات (المعرفيـة والوجدانية والمهارية).	٣,٤٨	١,١٩
١٢	١١	يهتـم باستراتيجيـة المقابـلات الشخصيـة فـي التقويـم التربوى.	٣,٤٠	٠,٩١
١٣	١٢	يوظف التكنولوجيا فى تقويم أداء الطلبة.	٣,٠٤	١,٢٤
		المجال ككل	٣,٨٧	٠,٧٩

يتبيـن من الجـدول رقم ٦ أن المتوسطـات الحسابية لإجابـات أفراد عينة الدراسـة عن المجال السادس (التقويـم) قـد تراوحـت بيـن (٤,٣٦ - ٣,٠٤) وكان المتوسـط الكلي لهـذا المجال (٣,٧٨). يتضـح مـن الجدول رقـم (٦) أن أول ست فقرات في المجـال حصلت على متوسطات عاليـة تراوحت بين (٤,٣٦-٤,٠٨). فحصلت الفقرة رقـم (٩) والمتعلقة بالتنوع في استخدام الأسئلـة التحصيلية الموضوعية (الصواب والخطأ، التكميـل، المطابقة والمزاوجة، الاختيار من متعدد) على المرتبة الأولي حيث حصلت على متوسط مقداره (٤,٣٦). وحصلت الفقرة رقم (٨) والمتعلقـة بتركيز على استخدام الأسئلة المقالية علـى المرتبة الثانية حيث حصلت على متوسط مقداره (٤,٢٠) كما وحصلت الفقرة رقم (١٣) والمتعلقة بتنوع الأدوات المستخدمة في التقويم على المرتبة الثالثة بمتوسط مقداره (٤,١٤).

ويلاحـظ مـن الجدول أن أكثر الطرق التي حصلت على متوسطـات عالية هي الأسئلة الموضوعية بأشكالهـا المتعددة، والأسئلة المقالية، والملاحظة وأدوات التقويـم الشفوية. أما التقويم الذاتي والمقابـلات واستخـدام التكنولوجيا في تقويم أداء الطلبة فقد حصلـت على متوسطات متوسطة تراوحت بين (٣,٩١-٣,٠٤).

يلاحـظ من الجـدول السابق أن كتب التربيـة الإسلامية في مجال التقويم قـد ركزت على احدى وسائل التقويم وهي الاختبارات بمختلف أنواعها وبدرجات متفاوته، واقتصار التقويم على المجال المعرفـي، كمـا يظهر من الجـدول أن هذه الكتب المطـورة في مجال التقويم قـد أهملت أساليب التقويم الأخـرى كاستراتيجية التقويم المبني على الأداء وهي احدى الاستراتيجيات التي تتبناها وزارة التربية والتعليم في الأونة الأخيرة.

وقـد تعزى هـذه النتائج إلى الأسبـاب الآتية: اعتمـاد مؤلفي الكتـب على استراتيجيـات التقويم التقليديـة، ميـل المعلمين لهـذا النوع من الاختبـارات نظرا لسهولـة إعدادهـا وتطبيقها، نظرة المعلمين التي تركز على الجانب المعرفي في التقويم. وتتفق هذه النتائج مع نتائج دراسة كل من: سمسول (١٩٩٨م)، والجلاد (١٩٩٩).

النتائـج المتعلقة بالإجابة عن السؤال الثاني: هل تختلف تقديرات معلمي التربية الإسلامية لمدى ملاءمـة كتب التربية الإسلاميـة المطورة للصفي الثامـن والعاشر لمعايير وأسـس تأليف الكتب باختلاف الجنس (ذكر، أنثى) عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) ؟

للإجابـة عن هذا السؤال، تم استخراج المتوسطـات الحسابية والإنحرافات المعيارية وفق متغير الجنس، وتم استخدام اختبار (ت) للعينة المستقلة (Independent Sample T-test)، للكشف عن فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الجنس والجدول لاقم (٧) يوضح نتائج الاختبار.

جدول رقم (٧)

نتائج اختبار ت لاستجابات المعلمين حول مجالات الدراسة وفق متغير الجنس

المجال	الجنس	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة ت المحسوبة	درجة الحرية	الدلالة	
الأول:	أهداف المنهاج	ذكر	٢٦	٤٤,٨٤٦	٥,٣٠	٠,٥٢١	٤٦,٠٠٠	٠,٦٠٥
		أنثى	٢٣	٤٣,٩٥٦	٦,٦٢			
الثاني	محتوى المنهاج	ذكر	٢٦	٧٤,٧٦٢	١٠,٤٥١	- ١,٠٢٢	٤٧,٠٠٠	٠,٣٢١
		أنثى	٢٣	٧٧,٦٥٢	٩,١٢٨			
الثالث	طرائق وأساليب التدريسية	ذكر	٢٦	٦٢,٦١٥	١١,٠٩٦	٠,٧٠٢	٤٧,٠٠٠	٠,٤٨٦
		أنثى	٢٣	٦٠,٤٧٨	١٠,٠٨٥			
الرابع	الأنشطة التعليمية	ذكر	٢٦	٦١,٦١٥	٨,٩٩٨	٠,١٠٤	٤٧,٠٠٠	٠,٩١٨
		أنثى	٢٣	٦١,٣٤٧	٩,٠٥٣			
الخامس	التقويم	ذكر	٢٦	٥٠,٤٢٣	٦,٣٥٧	٠,٠١٦	٤٧,٠٠٠	٠,٩٨٧
		أنثى	٢٣	٥٠,٣٩١	٧,٤٦٩			

يتضح من الجدول رقم (٧)، عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) بين متوسطات تقديرات المعلمين والمعلمات في المجال الأول (أهداف المنهاج)، والمجال الثاني (محتوى المنهاج)، و المجال الثالث (طرائق وأساليب التدريس)، والمجال الرابع (الأنشطة التعليمية)، والمجال الخامس (التقويم).

ويظهر من الجدول السابق أن تقديرات المعلمين (ذكور، إناث) على مجالات أداة الدراسة جميعها جاءت متقاربة.

ويمكن أن تعزى هذه النتيجة إلى: تقارب نظرة المعلمين بسبب إعداد المعلمين وتدريبهم وخضوعهم إلى دورات تدريبية متشابهه.

النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث: هل تختلف تقديرات معلمي التربية الإسلامية لمدى ملائمة كتب التربية الإسلامية المطورة للصفوف الثامن والعاشر لمعايير وأسس تأليف الكتب باختلاف المستوى العلمي (بكالوريوس فما دون، ماجستير، دكتوراه) عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥)؟

للإجابة عن هذا السؤال، تمَّ حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات المعلمين على مجالات الدراسة حسب متغير المستوى العلمي؛ كما هو موضح في الجدول رقم (٨).

جدول رقم (٨)

المتوسطات الحسابية لاستجابات المعلمين على مجالات عناصر المنهاج الأربعة حسب متغير المستوى العلمي

المجـال		المؤهل العلمي	العدد	المتوسط	الانحراف
الأول	أهداف المنهاج	بكالوريوس فما دون	٣٤	٤٤,١٤٧	٦,٠٠٠
		ماجستير	١٢	٤٥,٨٣	٦,٥٢٩
		دكتوراه	٣	٤٥,٠٠٠	٢,٦٤٥
الثاني	محتوى المنهاج	بكالوريوس فما دون	٣٤	٧٥,٩٤١	٩,٤٦١
		ماجستير	١٢	٧٨,٣٣٣	١٠,٧٤٧
		دكتوراه	٣	٦٩,٣٣٣	١١,٠١٥
الثالث	طرق وأساليب التدريس	بكالوريوس فما دون	٣٤	٦٠,٧٦٤	١١,٠٧٨
		ماجستير	١٢	٦٤,٧٥٠	٨,٧٦٠
		دكتوراه	٣	٥٨,٠٠٠	١٢,٤٢٣
الرابع	الأنشطة	بكالوريوس فما دون	٣٤	٦١,٣٨٢	٩,١٠٢
		ماجستير	١٢	٦٣,٤١٦	٧,٨٦٧
		دكتوراه	٣	٥٥,٠٠٠	١١,٠٠٠
الرابع	التقويم	بكالوريوس فما دون	٣٤	٤٩,٩١١	٦,٧٧٩
		ماجستير	١٢	٥٢,٢٥٠	٦,٦٧٥
		دكتوراه	٣	٤٨,٦٦٦	٩,٢٩١

وللكشف عن مدى الدلالة الإحصائية للفروق الظاهرية بين المتوسطات الحسابية لاستجابات المعلمين على مجالات عناصر المنهاج حسب متغير المستوى العلمي، فقد تمّ إجراء تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA)، والجدول (٩) يوضح نتائج هذا التحليل.

جدول رقم (٩)

نتائج تحليل التباين الأحادي لأثر متغير المستوى العلمي للمعلمين على مجالات عناصر المنهاج الأربعة

المجال		مصدر التباين	مجموع المربعات	د ر جـة الحرية	متو سـط المربعات	قيمـة ف المحسوبة	الدلالة
الأول	أ هـ د ا ف المنهاج	بين الفئات	٥,٧٨٨	١٢	٠,٤٨٢	١,٤٩٧	٠,١٧١
		بين الأفراد	١١,٦٠٠	٣٦	٥٤,٣٨٧		
		الكلي	١٧,٣٨٨	٤٨			
الثاني	المحتوى	بين الفئات	٥,١٢١	١٣	٠,٣٩٤	١,١٢٤	٠,٢٧٣
		بين الأفراد	١٢,٢٦٧	٣٥	٠,٣٥٠		
		الكلي	١٧,٣٨٨	٤٨			
الثالث	الأساليـب التدريسية	بين الفئات	٤,٩٢١	١١	٠,٤٤٧	١,٣٢٨	٠,٢٤٨
		بين الأفراد	١٢,٢٦٧	٣٧	٠,٣٣٧		
		الكلي	٤٨	٤٨			

الرابع	الأنشطة	بين الفئات	٥,١٣٨	١١	٠,٤٦٧	١,٤١١	٠,٢٠٩
		بين الأفراد	١٢,٢٥٠	٣٧	٠,٣٣١		
		الكلي	١٧,٣٨٨	٤٨			
الخامس	التقويم	بين الفئات	٥,٣٠٤	١١	٠,٤٨٢	١,٤٧٧	٠,١٨٢
		بين الأفراد	١٢,٠٨٣	٣٧	٠,٣٢٧		
		الكلي	١٧,٣٨٨	٤٨			

تظهـر النتائج الموضحة في جـدول رقم (٩) عدم وجود فروق ذات دلالـة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) بين استجابات المعلمين تُعزى لمتغير المستوى العلمي فيما يتعلق بالمجال الأول (أهداف المنهاج)، والمجال الثانـي (محتوى المنهاج)، والمجال الثالث (طرائق وأساليب التدريسية)، والمجال الرابع (الأنشطة)، والمجال الخامس (التقويم). وهذا يعنى عدم وجود أثر لمتغير المستوى العلمي في تقديرات المعلمين على كل مجال من مجالات الدراسة.

يظهر من الجدول السابق اتفاق جميع فئات المعلمين على اختلاف مؤهلاتهم العلمية في نظرتهم وتقديراتهم لمجالات الدراسة حول طريقة تأليف كتب التربية الإسلامية واختيار محتوياتها

ويمكن أن يُعزى ذلك إلى الأسباب الآتية: اتجاه المدرسين نحو التركيز على المحتوى وتقديمة إلى الطلبة دون الاهتمام بجوانب القوة وجوانب الضعف في الكتاب.

التوصيات:

وفي ضوء نتائج الدراسة يمكن تقديم التوصيات الآتية:

- تركيـز وزارة التربيـة والتعليم على الـدورات التدريبية المتخصصة التي تـزود اللجان المكلفة بتأليف الكتب بمهارات تأليف الكتب.
- اختيار أفراد متخصصين ومؤهلين في المناهج لتأليف الكتب.
- أظهـرت الدراسـة أن كتب التربية الإسلاميـة المطورة ركزت على الجانـب المعرفي في مجال الأهـداف، لذلـك يوصي الباحـث بمزيد من الاهتمـام والتركيز على الجانب المهـاري الأدائي والقيم والاتجاهات.
- أظهـرت نتائـج الدراسة ضعف المحتـوى في إثارة دافعيـة المتعلمين لقلة الصـور والرسومات والأشـكال، وكذلك اتساع المحتوى مما يثقل كاهل المعلم والمتعلم لذلك يوصي الباحث بإعادة صياغة المحتوى وتزويده بالصور والأشكال والرسومات ومراعاة الاتساع.
- تزويد الكتب بالأنشطة التي تساهم في استخدام التكنولوجيا كالأنشطة المحوسبة وغيرها.

- إعـادة النظر في عدد الحصص المخصصة لمـادة التربية الإسلامية لمساعدة المعلمين على الاهتمام بالأنشطة وتنفيذها.

- تنويع استراتيجيات التقويم التـي يحتويها الكتاب وبالأخص استراتيجيات التقويم المبنية على الأداء.

- ضـرورة تركيز الكتب على الأنشطـة المهارية والأدائية وكذلك الأنشطـة التي تنمي الاتجاهات والقيم لدى الطلبة.

- ضـرورة تنويع طـرق التدريس، وتعـدد الأنشطة المنهجيـة واللامنهجية، واستخـدام الوسائل التعليمية الحديثة في كتب التربية الإسلامية.

د. إسماعيل غازي مرحبا

توصيف الطّبيب
وأثره في الحكم الشرعيّ

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

إن معرفة الواقعة الطبية وإعطاءها الحكم الشرعي من الأمور المهمة التي تواجه المسلمين بشكل يومي، وإعطاء الحكم الشرعي الصحيح يحتاج إلى أمور عدة ومراحل مختلفة، فتوصيف الطبيب شيء، والمستند الشرعي شيء آخر، وتنزيل المستند الشرعي على الواقع شيء ثالث، ثم معرفة الحال والمآل شيء رابع، وهكذا.

وفي هذا البحث سنتكلم عن توصيف الطبيب، ومدى تأثيره على الحكم الشرعي في المسائل الطبية.

ولا أعلم وجود بحث حوى ما أردته من هذا البحث، وهذا ما دعاني إلى الكتابة فيه، ولا أدعي أن بحثي هذا بحث جديد من كل وجهٍ ولم أسبق إليه في كل جوانبه، وسأذكر هنا أهم البحوث التي تكلمت عن جوانب من هذا الموضوع والتي استفدت منها أثناء إعدادي لهذا البحث، وهي:

١- قول أهل الخبرة في الفقه الإسلامي، للباحث فواز القايدي، وهي رسالته المقدمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية، بإشراف الدكتور أحمد بن عبد الله بن حميد، مقدمة إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، عام ١٤١٨-١٤١٩هـ.

وهي رسالة جيدة نال الباحث من خلالها درجة الماجستير بتقدير ممتاز، وأحسن الباحث في جمع واستقصاء مسائل أهل الخبرة التي تعرض لها فقهاؤنا رحمهم الله تعالى، بعد أن أصّل لموضوع قول أهل الخبرة تأصيلاً شرعياً مناسباً.

إلا أنها رسالة عامة لم تخص الطبيب بالدراسة، كما أنه قد غلب عليها الجانب الاستقصائي على الجانب التحليلي، لذا لم تتناول توصيف الطبيب وبيان أثره على الأحكام الشرعية.

٢- رأي الخبير وأثره في توصيف النازلة والحكم الشرعي «استخدام الجيلاتين مثلاً»، للدكتور أسامة الخميس، وهو بحث مقدم لمؤتمر الفقه الإسلامي الثاني، قضايا طبية معاصرة، المنعقد في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في الرياض العام ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

وهو بحث جيد تناول فيه باحثه جانب دقيق وقام ببيانه، إلا أنه حفظه الله طبيب، فكان أن تناول الموضوع الفقهي باقتضاب، ومع ذلك فلم يكن مسلطاً على توصيف الطبيب بشكل خاص، كما أنه تكلم عن جانب واحد من جوانب التوصيف من خلال المثال الذي ذكره، وسيتبن معنا من خلال البحث أن توصيف الطبيب له جوانب أخرى متعددة تحتاج إلى بيان أثرها.

٣- وظيفة الخبير في النوازل الفقهية، للأستاذ الدكتور أحمد الضويحي، وهو بحث مقدم لندوة: «نحو منهج علمي أصيل لدراسة القضايا الفقهية المعاصرة»، التي عقدها مركز التميز البحثي في فقه القضايا المعاصرة، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في الرياض ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

وهو بحث جيد كذلك لكنه بحث عام كسابقيّه، وغلب عليه الطابع الأصولي، ومع ذلك فقد ذكر أمثلة متعددة عن الطبيب عند تمثيله لأهل الخبرة في عدة مواضع من بحثه، لكنه لم يخصّ توصيف الطبيب بالدراسة والتفصيل، وبيان أثر كلّ نوع من التوصيف في الحكم الشرعي.

وما ذكرته عن هذه البحوث إنما أردت من خلاله بيان الفرق بين ما قصدته من بحثي، وما هو موجود في تلك البحوث، ولا أقصد أن ذلك نقص فيها أو خلل، بل تلك البحوث كانت وافية كافية فيما أراده أصحابها، وجزاهم الله خيراً على ما قدموه.

خطة البحث:

وخطتي في بحثي هذا هي:

قسمت البحث إلى مقدمة وفصلين وخاتمة:

المقدمة: وفيها الافتتاحية والبحوث ذات العلاقة وخطة البحث.

الفصل الأول: توصيف الطبيب تعريفه وأهميته وصفاته، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف توصيف الطبيب.

المبحث الثاني: أهمية توصيف الطبيب.

المبحث الثالث: مشروعية الاعتماد على توصيف الطبيب.

المبحث الرابع: صفات توصيف الطبيب.

الفصل الثاني: بيان أثر توصيف الطبيب في الحكم الشرعي، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: بيان أثر توصيف الطبيب للمرض.

المبحث الثاني: بيان أثر توصيف الطبيب للدواء.

المبحث الثالث: بيان أثر توصيف الطبيب لطريقة عمل الدواء في المرض.

المبحث الرابع: بيان أثر توصيف الطبيب لمآل استخدام الدواء أو العلاج.

الخاتمة: وفيها إبراز أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

منهجي في البحث:

منهجي الذي سرت عليه في كتابة هذا البحث هو:

١- اتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي، فحاولت استقراء مادة البحث من الكتب، ومن ثم تحليلها والتعقيب عليها.

٢- عزو الآيات القرآنية إلى المصحف الشريف.

٣- تخريج الأحاديث النبوية الواردة بالأسلوب العلمي المتبع.

٤- الاستغناء عن الترجمة للأعلام الواردة أسماؤهم في البحث طلباً للاختصار، ولأني لم أذكر إلا من هو معلوم عند طلاب العلم.

٥- حرصت على بيان كلام العلماء القدامى مما له علاقة بالموضوع.

٦- اقتصرت في كلّ مبحث مبحث من مباحث الفصل الثاني بمثال واحد، إذ به يتضح المراد، وليس من العسير على القارئ أن يُطبق ذلك على مسائل مختلفة.

٧- كما أني تعمدت أن تكون الأمثلة المضروبة في تلك المباحث من النوازل الطبية المعاصرة، لأنها أقرب للقارئ المعاصر فهماً، والقياس عليها في نظيراتها من النوازل الطبية أكثر أهمية للكثيرين من المسائل الطبية التقليدية.

٨- أَتْبَعتُ البحث بثبت المصادر والمراجع.

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم، كما أسأله تعالى أن يسد هذا البحث

في المكتبة الإسلامية نقصاً، وأن يكون دافعاً بالعملية التعليمية في المجال الطبي قدماً، وأرجو أن أكون قد وُفّقتُ وقدمتُ جديداً في هذا البحث المتواضع.

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الفصل الأول:

توصيف الطبيب

تعريفه وأهميته وصفاته

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف توصيف الطبيب.

المبحث الثاني: أهمية توصيف الطبيب.

المبحث الثالث: مشروعية الاعتماد على توصيف الطبيب.

المبحث الرابع: صفات توصيف الطبيب.

المبحث الأول: تعريف توصيف الطبيب:

سأتناول في هذا المبحث تعريف توصيف الطبيب، بدءاً بتعريف التوصيف وتعريف الطبيب، ومن ثم تعريف المركب الإضافي: «توصيف الطبيب».

أولاً: تعريف التوصيف:

مأخوذ من الوصف، و«الواو والصاد والفاء أصل واحد، وهو تحلية الشيء. ووصفتُه أصِفه وَصْفاً، والصِّفةُ: الأَمارة اللازمة للشيء»[1].

قال الجوهري في الصحاح: «وَصَفْتُ الشيء وَصْفاً وصِفَةً. والهاء عوضٌ من الواو. وتَواصفوا الشيء من الوَصْفِ. واتَّصَفَ الشيءُ، أي صار مُتَواصَفاً ... .

وبيعُ المُواصَفَةِ: أن تبيع الشيء بصفةٍ، من غير رؤية ... .

والصِفَةُ كالعِلْم والسَوادِ، وأمَّا النحويون فليس يريدون بالصفة هذا، لأنَّ الصفة عندهم هي النعت...»[2].

١- معجم المقاييس في اللغة لابن فارس (ص١٠٩٣).

٢- الصحاح ٤/١٤٣٨-١٤٣٩.

وقال الفيروزآبادي في القاموس: «وصَفَهُ يَصِفُه وصْفاً وصِفَةً نَعَتَه، فاتَّصَفَ»[1].

ثانياً: تعريف الطبيب:

قال الجوهري في الصحاح: «الطبيب: العالم بالطب، وجمع القلة أطِبَّةٌ، والكثير أطِبَّاء. تقول: ما كنتَ طبيباً ولقد طَبِبت، بالكسر. والمتطبِّب: الذي يتعاطى عِلم الطِّب. والطُبُّ والطَبُّ لغتان في الطِبِّ ...»[2].

وقال ابن الأثير في النهاية: «الطَّبِيبُ في الأصْل: الحاذقُ بالأمُور العارفُ بها، وبه سُمِّي الطَّبيبُ الذي يُعالج المَرْضى ... والمُتَطَبِّبُ الذي يُعاني الطِّبَّ ولا يَعْرفه مَعْرفة جَيِّدة»[3].

وقال البعلي في المطلع: «والطبيب العالم بالطب، وجمع القلة أطبة والكثير أطباء، والمتطبب الذي يتعاطى علم الطب، والطَّب والطُّب بالفتح والضم لغتان في الطِّب بالكسر»[4].

وجاء في المعجم الوسيط: «(الطبيب): مَنْ حِرفتهُ الطِّبُّ أو الطِّبابة، وهو الذي يُعالج المرضى ونحوهم»[5].

ثالثاً: تعريف «توصيف الطبيب»:

قال الجوهري في الصحاح: «وفلان يستطبّ لوجعه، أي يستوصف الدواءَ أيُّه يصلُح لدائه»[6]، «واسْتَوْصَفْتُ الطبيبَ لدائي: إذا سألته أن يَصِفَ لك ما تتعالج به»[7].

وقال الفيروزآبادي في القاموس: «وهو يَسْتَطِبُّ لوَجَعِه: يَسْتَوْصِفُ»[8]، «واسْتَوْصَفَه لِدائِه: سألَهُ أن يَصِفَ له ما يَتَعَالَجُ به»[9].

من خلال ما سبق نقله يكون المراد من توصيف الطبيب هو: وصف العلاج المناسب للمرض.

ولكن في الحقيقة فإن وصف العلاج المناسب والصحيح، إنما يقع بعد عدة وصفات سابقة له، فلا بد أن يسبقه:

١- القاموس المحيط ٢٠٤/٣.
٢- الصحاح ١٧٠/١.
٣- النهاية ١١٠/٣.
٤- المطلع (ص٢٦٧).
٥- المعجم الوسيط (ص٥٤٩).
٦- الصحاح ١٧٠/١.
٧- الصحاح ١٤٣٩/٤.
٨- القاموس المحيط ٩٧/١.
٩- القاموس المحيط ٢٠٤/٣.

وصف صحيح للمرض.

ووصف صحيح للدواء أو للعلاج نفسه.

ووصف صحيح لطريقة عمل الدواء أو العلاج في المرض.

وبعد ذلك يوجد أمر مهم، ألا وهو توصيف مآل استخدام الدواء أو العلاج.

فـإذا وقع خطأ في أحد هذه التوصيفات، فوقوعه راجحٌ بطبيعة الحال في وصف العلاج المناسب للمرض. وإذا كانت هذه التوصيفات صحيحة ودقيقة، كان وصف العلاج مناسباً وصحيحاً.

وعليـه يمكـن لنا أن نعرّف توصيف الطبيـب بهذا المعنى الواسع، وبحسب المـراد من التوصيف، فهنـاك توصيـف للمرض، وهناك توصيـف للدواء، وهنـاك توصيف لكيفية عمل الـدواء، وهناك توصيف لمآل استخدام الدواء أو طريقة العلاج، وأخيراً توصيف للعلاج المناسب للمريض.

ويمكن لنا أن نعطي لكل توصيف من هذه التوصيات تعريفه الخاص به.

مـن هنا ندرك أن توصيف الطبيب أبعد من مجرد وصفة طبية يأخذها المريض ليصرفها ويسير علـى طريقتها، بل يسبق ذلـك مجموعة من التوصيفـات، وبناء عليها تكون الوصفـة الطبية التي يأخذها المريض بيده. والله تعالى أعلم.

وفـي هذا البحث بإذن الله تعالى سيكون التركيز على التوصيفات الأربع الأولى، التي تسبق إعطاء الوصفة الطبية للمريض، إذ إنها ذات العلاقة والتأثير بالحكم الشرعي.

المبحث الثاني: أهمية توصيف الطبيب:

توصيـف الطبيـب بمفهومه الواسع الذي سبـق بيانه له أهمية كبرى تأتي مـن أهمية علاقة الطب بالإنسان، لذا يمكن ذكر هذه النقاط التي تبرز هذه الأهمية:

أولاً: أهميته بالنسبة للمريض وذويه:

١- أن توصيف الطبيب قد يتسبب في إنقاذ حياة إنسان أو موته.

٢- كما أنه يتعلق في كثير من الحالات ببدن الإنسان ويؤثر فيه سلباً أو إيجاباً.

٣- وقد يتعلق في كثير من الأحيان بأعراض المرضى وكشف عوراتهم.

٤- كما أنه قد يتعلق بالأنساب.

٥- ولتوصيف الطبيب أثر في إثبات جناية وتبرئة آخر منها.

٦- عـدا عن التكاليف الماديـة التي يتكبدها المريض بناء على توصيـف طبيبه الذي يكلفه أدوية وأنواعاً مختلفة من العلاج، قد لا يكون بحاجة إليها جميعاً.

ثانياً: أهميته في القضاء:

لتوصيف الطبيب أهمية بالغة في حكم القاضي، فالقاضي لا يمكنه الاستغناء عن الطبيب وتوصيفه في أقضيته ذات العلاقة بالأمور الطبية، وقد سطرت كتب الفقهاء في المذاهب الفقهية نماذج متعددة في مسائل مختلفة فيها رجوع القاضي إلى الأطباء قبل الحكم، أشير هنا إلى بعضها:

- قال في تكملة فتح القدير: «(أو كان عيبا) إشارة إلى تأويل آخر: أي أو كان العيب الذي يريد المشتري الرد به عيباً (لا يعرفه إلا النساء) كالقَرَن في الفرج ونحوه (أو الأطباء) أي أو عيباً لا يعرفه إلا الأطباء كالدق والسعال القديم (وقولهن) أي قول النساء (وقول الطبيب حجة في توجه الخصومة) للمشتري (لا في الرد) أي ليس بحجة في الرد على البائع»[1].

- وقال ابن رشد في البيان والتحصيل: «ولو اضطر إلى ترجمة الكافر أو المسخوط أو العبد لأعمل قوله وحكم به ، كما يحكم بقول الطبيب النصراني وغير العدل فيما يضطر فيه إلى قوله من جهة معرفته بالطب»[2].

- قال النووي في روضة الطالبين: «إذا أشكل مرض فلم يدر أمخوف هو أم لا فالرجوع فيه إلى أهل الخبرة والعلم بالطب»[3].

- وذكر ابن قدامة فيمن قلع سن من لم يثغر: «وإن عادت والدم يسيل، ففيها حكومة؛ لأنه نقص حصل بفعله. وإن مضى زمن عودها ولم تعد ، سئل أهل العلم بالطب، فإن قالوا: قد يئس من عودها، فالمجني عليه بالخيار بين القصاص أو دية السن ...»[4].

ثالثاً: أهميته في إعطاء الحكم الشرعي:

لتوصيف الطبيب أهمية بالغة في إعطاء الحكم الشرعي لأنه تصوير للواقع، وتصوير الواقع مهم جداً للفقيه حتى يعطي الحكم الشرعي الصحيح، وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم: «ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات، حتى يحيط به علماً.

والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان

١- تكملة فتح القدير ٨٣/٧.

٢- البيان والتحصيل ٢٠٦/٩.

٣- روضة الطالبين ١٢٨/٦.

٤- المغني ٥٥٣/١١.

رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الواقع، ثم يُطبّق أحدهما على الآخر.

فمن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يعدم أجرين أو أجراً[1]، فالعالِم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم»[2].

- ويقول الإمام الشاطبي في الموافقات: «قد يتعلق الاجتهاد بتحقيق المناط فلا يفتقر في ذلك إلى العلم بمقاصد الشارع، كما أنه لا يفتقر فيه إلى معرفة علم العربية؛ لأن المقصود من هذا الاجتهاد إنما هو العلم بالموضوع على ما هو عليه، وإنما يفتقر فيه إلى العلم بما لا يُعرف ذلك الموضوع إلا به من حيث قصدت المعرفة به، فلا بد أن يكون المجتهد عارفاً ومجتهداً من تلك الجهة التي ينظر فيها، ليَتنزّل الحكم الشرعي على وفق ذلك المقتضى؛ كالمحدّث العارف بأحوال الأسانيد وطرقها وصحيحها من سقيمها ... وكذلك القارئ فى تأدية وجوه القراءات، والصانع في معرفة عيوب الصناعات، والطبيب في العلم بالأدواء والعيوب، وعرفاء الأسواق فى معرفة قيم السلع ومداخل العيوب فيها، والعادّ فى صحة القسمة، والماسح في تقدير الأرضين ونحوها، كل هذا وما أشبهه مما يعرف به مناط الحكم الشرعي غير مضطر إلى العلم بالعربية ولا العلم بمقاصد الشريعة، وإن كان اجتماع ذلك كمالاً فى المجتهد»[3].

المبحث الثالث: مشروعية الاعتماد على توصيف الطبيب:

الطبيب هو العالم بالطب الخبير به، «ويعبر الفقهاء عن الخبرة بعبارات مختلفة تفيد ذات المعنى: كالعلم والمعرفة والتجربة والنظر والبصارة والحذق والمهارة والصناعة ونحوها.

وفي هذا العصر استقر العرف على نسبة كل خبير إلى تخصصه، كالطبيب والمهندس والاقتصادي والمحاسب والفلكي والكيميائي وهكذا»[4].

والاعتماد على قول الخبراء والعلماء في مجال خبرتهم، ومدار علمهم، قد جاءت أدلة متعددة تدل عليه، ومن ذلك:

١- قول الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[5].

١- لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر». أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم (٧٣٥٢)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم (١٧١٦)، كلاهما من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

٢- إعلام الموقعين ١/٨٧-٨٨.

٣- الموافقات ٤/٥٢٧-٥٢٨.

٤- وظيفة الخبير في النوازل الفقهية للدكتور أحمد الضويحي (ص ٤١٩-٤٢٠).

٥- النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧

وجه الدلالة: حيث المراد من أهل الذكر: أهل العلم[1]، فيدخل في عموم هذه الآية الكريمة سؤال أهل الخبرة والاختصاص، ومنهم الطبيب[2].

يقول القرطبي في تفسيره: «مسألة: لم يختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها وأنهم المراد بقول الله عز و جل: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وأجمعوا على أن الأعمى لا بد له من تقليد غيره ممن يثق بميزه بالقبلة إذا أشكلت عليه فكذلك من لا علم له ولا بصر بمعنى ما يدين به، لا بد له من تقليد عالمه»[3].

أقول: ومن لا علم له بالطب لا بد له من تقليد الطبيب المختص.

٢- قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[4].

وجه الدلالة: «أن جزاء الصيد إن كان له مثل، فيحكم في جزائه عدلان من المسلمين خبيران بالصيد وما يماثله فيحكمان فيه، وهذا دليل على مشروعية الاعتماد على قول أهل الخبرة في بيان الحكم الشرعي»[5].

٣- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[6].

قال الشيخ محمد رشيد رضا في بيان من هم الذين يستنبطون: «وهم الذين يستنبطون مثله ويستخرجون خفاياه بدقة نظرهم، فهو إذا من الأمور التي لا يكتنه سرها كل فرد من أفراد أولي الأمر، وإنما يدرك غوره بعضهم لأن لكل طائفة منهم استعدادا للإحاطة ببعض المسائل المتعلقة بسياسة الأمة وإدارتها دون بعض، فهذا يُرجَّح رأيُه في المسائل الحربية، وهذا يرجح رأيه في المسائل المالية، وهذا يرجح رأيه في المسائل القضائية، وكل المسائل تكون شورى بينهم، فإذا

١- انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧٢/١٠.

٢- انظر: قول أهل الخبرة في الفقه الإسلامي (ص١٩-٢٠) ووظيفة الخبير في النوازل الفقهية للدكتور أحمد الضويحي (ص٤٣٧).

٣- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨١/١١.

٤- المائدة: ٩٥

٥- قول أهل الخبرة في الفقه الإسلامي (ص٢٠). وانظر: وظيفة الخبير في النوازل الفقهية (ص٤٣٨).

٦- النساء: ٨٣

كان مثل هذا لا يستنبطه إلا بعض أولي الأمر دون بعض، فكيف يصح أن يجعل شرعا بين العامة يذيعون به؟»[1].

وكذلك الأمر في المسائل الطبية، فالطبيب ينطبق عليه مثل ذلك في مجال تخصصه.

٤- أدلة السنة التي تدل على مشروعية الخرص[2]، ومن ذلك حديث أبي حميد الساعدي قال: «غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك فلما جاء وادي القرى إذا امرأة في حديقة لها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: اخرصوا. وخرص رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة أوسق». الحديث[3].

وجه الدلالة: حيث دلّ الحديث على مشروعية الخرص، وهو من عمل أهل العلم والخبرة[4]، ومعلوم أن أهمية علم وخبرة الطبيب أعظم وأشد أثراً من الخارص في التمر.

٥- ما جاء من أدلة تدل على مشروعية القيافة[5]، ومن ذلك: حديث عائشة قالت: «دخل قائف ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد وأسامة بن زيد وزيد بن حارثة مضطجعان فقال: إن هذه الأقدام بعضُها من بعض. فسُرّ بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأعجبه»[6].

وجه الدلالة: حيث دلّ الحديث على القيافة، وهي من عمل أهل العلم والخبرة[7]، وليست القيافة بأعظم من الطب.

ما سبق كانت أدلة عامة، وفيما يلي سأذكر أدلة خاصة تدل على الاعتداد بالخبرة الطبية:

٦- حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من تطبب، ولم يُعلم منه طبّ قبل ذلك، فهو ضامن»[8].

يقول الإمام الشوكاني: «فيه دليل على أن متعاطي الطب يضمن لما حصل من الجناية بسبب علاجه، وأما من علم منه أنه طبيب فلا ضمان عليه وهو من يعرف العلة ودواءها وله مشايخ في

١- تفسير المنار ٢٤٣/٥.

٢- يقول ابن الأثير في النهاية ٢٢/٢: «خَرَص النخلة والكَرْمة يَخْرُصها خَرْصا : إذا حَزَرَ ما عليها من الرُّطب تَمْرا ومن العنب زبيبا فهو من الخَرْص : الظنّ لأن الحَزْر إنما هو تقدير بظنّ».

٣- رواه البخاري في صحيحه الحديث رقم (١٤٨١).

٤- انظر: قول أهل الخبرة في الفقه الإسلامي (ص٢٣).

٥- يقول ابن الأثير في النهاية ١٢١/٤: «القائف: الذي يَتَتَبَّع الآثارَ ويَعْرِفها، ويَعْرِف شَبَه الرجُل بأخيه وأبيه، والجمع: القافَة».

٦- رواه البخاري في صحيحه الحديث رقم (٣٧٣١)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم (١٤٥٩) واللفظ له.

٧- انظر: قول أهل الخبرة في الفقه الإسلامي (ص٢٦).

٨- رواه أبو داود في سننه الحديث رقم (٤٥٨٦)، والنسائي في سننه المجتبى الحديث رقم (٤٨٣٠)، وابن ماجه في سننه الحديث رقم (٣٤٦٦)، واللفظ له. وصححه الحاكم في المستدرك ٢١٢/٤ ووافقه الذهبي.

هذه الصناعة شهدوا له بالحذق فيها وأجازوا له المباشرة»[1].

وفي رفع الضمان عنه اعتبار لخبرته وإعتدادٌ بها.

٧- حديث جابر رضي الله عنه قال: «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيّ بن كعب طبيباً فقطع منه عِرقاً ثم كواه عليه»[2].

وهذا الحديث واضح في الاعتداد بخبرة الطبيب الذي تولى قطعَ عرقٍ وكيّه.

٨- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: مرضت مرضاً أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني، فوضع يده بين ثدييّ ... الحديث، وفيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ائت الحارث ابن كَلَدة أخا ثقيف[3]، فإنه رجل يتطبب، فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة...» الحديث[4].

وهذا الحديث كسابقه في اعتبار خبرة الطبيب والاعتماد عليها[5].

المبحث الرابع: صفات توصيف الطبيب:

بناء على ما سبق ذكره من أهمية كبيرة لتوصيف الطبيب، فإنه ينبغي أن تتوفر فيه عدة صفات طبية وشرعية، وأحب أن أذكر هنا الصفات التالية:

١- العلم، فينبغي أن لا يصدر أي توصيف من الطبيب إلا وهو عالم به، وعنده المعرفة التامة بكل تفاصيله.

بل ينبغي أن يكون التوصيف صادراً من الطبيب المتخصص في المجال المراد توصيفه، كطبيب القلب يصف ما يتعلق بأمراض القلب، وهكذا في طبيب الأعصاب أو طبيب المسالك البولية وغيرها، ولا يُكتفى بالطبيب العام مثلاً.

وهكذا الأمر عندما تزداد التخصصات تعقيداً، فإنه يأخذ بتوصيف صاحب التخصص الدقيق والأدق، كطبيب الأعصاب مثلاً إذا وُجد تخصص أدق فإنه يُقدم عليه، كتخصص طبيب أعصاب

١- نيل الأوطار ٥/٣٣٣.

٢- أخرجه: مسلم في صحيحه الحديث رقم (١٢٠٧).

٣- هو: الحارث بن كلدة بن عمرو بن أبي علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن قصي الثقفي، عاش في الجاهلية والإسلام، وبقي إلى عهد معاوية رضي الله عنه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر من به علة أن يأتيه فيسأله عن علته، رجح ابن حجر إسلامه ، وذكر غيره أنه لا يصح إسلامه، وكان أطب العرب، وقد تعلم الطب في ناحية فارس، وأخباره في الطب كثيرة، وله كتاب المحاورة في الطب بينه وبين كسرى أنوشروان.

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى (٥/٥٠٧)، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص١٦١-١٦٧)، والاستيعاب (١/٢٨٣)، والإصابة (١/٥٩٤-٥٩٥).

٤- أخرجه: أبو داود في سننه الحديث رقم (٣٨٧٥). وصححه عبد الحق الأشبيلي في الأحكام الصغرى (٢/٨٣٦-٨٣٧).

٥- ويدل لذلك أيضاً: كل ما يدل لمشروعية الختان والكي والحجامة، إذ فيها اعتماد على خبرة خاتن والكوّاء والحجّام، والله تعالى أعلم.

الدماغ أو طبيب أعصاب العين أو طبيب أعصاب الأذن وهكذا[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمة في هذا الصدد: «وأيضا فإنه يجب الرجوع إلى قول أوثق الطبيبين والقائفين والمقومين، فكذلك في قول أوثق المجتهدين في القبلة؛ لأنها أمور جزئية ولا يشق تعيين الأقوى منها»[2].

٢- الصدق، فينبغي أن يكون توصيف الطبيب لا كذب فيه، مهما كانت المغريات التي تدعوه إلى التزوير أو التلفيق.

فالواجب على الطبيب أن لا يُقدِم على توصيفٍ غير مؤهل له، سواء لمرض أو علاج أو دواء أو طريقة علاج أو مآل استعمال العلاج بطريقة ما.

وإذا أقدم على توصيفٍ ما فينبغي أن لا يذكر في التوصيف أموراً غير صحيحة، أو ينقص منه بعض ما هو مهم أو مؤثر.

٣- الإتقان، فينبغي أن يأتي توصيف الطبيب متقناً، فيتعني في إخراج توصيفه غاية الاعتناء ليكون تام الوضوح صحيح الأركان لا إهمال فيه.

حيث إن هذا التوصيف لم يعد خاصاً بالطبيب أو بالأطباء فحسب، بل إن توصيف طبيب ما في عصرنا الحاضر قد يصل إلى آلاف الناس يطلعون عليه ويقرؤونه، وقد تُبنى عليه أحكام شرعية، لذا ينبغى أن يعمل الطبيب على إتقانه وإحسانه.

٤- الحفاظ على أسرار وعورات المرضى، فينبغي أن يبتعد توصيف الطبيب عن كشف عورة أي مسلم وفضح أسراره.

ففيما عدا الأمور التي تتدخل فيها الدول للمصلحة العامية، فإنه ينبغي أن تبقى أسرار المرض وما يتعلق بعوراتهم طي الكتمان، لأن ذلك لا يؤثر على معرفة أو فهم التوصيف الطبي.

٥- الواقعية، فينبغي أن يكون توصيف الطبيب مطابقاً للواقع، لا تهويل فيه ومبالغة على الواقع الفعلي، ولا مجحفاً أو منقصاً في توصيفه لذلك الواقع.

فقد تكون لطبيبٍ ما مصلحة في إصدار الحكم أو الفتوى على كيفية معينة، فترى توصيفه منجاز جداً، وفيه تضخيم لبعض الحالات المرضية أو الآثار السلبية بشكل كبير.

وقد تجد عكسه تماماً، فترى فيه نقصاً أو إجحافاً لبعض الحلات المرضية أو الآثار السلبية ليكون الحكم أو الفتوى على الجهة المعاكسة.

١- انظر: وظيفة الخبير في النوازل الفقهية (ص٤٢١).

٢- شرح العمدة –الصلاة- (ص٥٦٩).

وكل ذلك يجب أن يُنزه عنه توصيف الطبيب، لذلك نجد في بعض الدول التي أجازت نقل الأعضاء مـن المتوفين دماغياً اشتراطها أن تصدر شهادة الوفـاة من مجموعتين من الأطباء، يشترط في كل واحدة منها أن لا يكون لها علاقة ببرنامج نقل الأعضاء.

وما ذلك إلا اجتناباً لمثل تلك الأمور.

٦- الدقة والتفصيل، فينبغي أن تتوفر فيه الدقة اللازمة، لأن أية غموض أو إجمال قد يودي بحياة إنسان معصوم أو يكاد، أو يؤثر في الفتوى أو القضاء.

٧- التوثيـق فيمـا يحتاج إلـى ذلك، فحين يذكـر الطبيب في توصيفـه أموراً مدعمـة بذكر وقائع وأشكال وأنواع وأعداد، فينبغي أن يكون ذلك موثقاً.

فـلا يقـول مثلاً: «تقـول المصادر الطبيـة بكذ وكـذا»، دون أن يوثق من هي هـذه المصادر؟ وكم عددها؟

ولا يقـول مثلاً: «تراجعت المراكز الطبية عـن موضوع كذا»، دون أن يوثق من هذه هذه المصادر؟ وكم عددها؟

٨- أن يكون توثيق الطبيب لتوصيفه من مصادر موثوقة معتمدة، خاصة في المسائل الشائكة والتي يترتب عليها فض نزاع في مسألة ما.

الفصل الثاني:

بيان أثر توصيف الطبيب

في الحكم الشرعي

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: بيان أثر توصيف الطبيب للمرض.

المبحث الثاني: بيان أثر توصيف الطبيب للدواء أو العلاج.

المبحث الثالث: بيان أثر توصيف الطبيب لطريقة عمل الدواء في المرض.

المبحث الرابع: بيان أثر توصيف الطبيب لمآل استخدام الدواء أو العلاج.

المبحث الأول: بيان أثر توصيف الطبيب للمرض:

مـن المسائل التـي توضّح أثر التوصيف للمرض أو للواقعة الطبية في الحكم الشرعي، هي مسألة:

«الموت الدماغي»، فبموت جذع الدماغ، فقد اختلفت توصيفات الأطباء[١]:

التوصيف الأول: يدل على أن الموتَ الدماغي موتٌ حتمي، كالموت بتوقف القلب والدورية الدموية التنفس، وهو قول أكثر الأطباء.

- يقول الدكتور خيري السمرة: «ونحن في مصر لا زلنا نترك المريض على جهاز التنفس حتى يتوفّاه الله، ولا نعمل زراعة أعضاء، ولا توجد حالة قد شخصناها على أنها موت جذع دماغ وظهرت أنها خطأ، بل بالعكس إننا نتعذب عندما يستمر المريض ثلاثة أسابيع على جهاز التنفس وندخل له أنبوب لتغذيته ولا يحدث أي تحسن»[٢].

ويقول أيضاً «... وقد وجدنا ما وجدتموه من أنه: لم تعش أبداً حالة شخص موت دماغ، أو موت جذع دماغ ...»[٣].

- ويقول الدكتور مختار المهدي: «إن توفر هذا العدد الكبير من الفحوصات التي تثبت توقف سريان الدم في أنسجة المخ وبالتالي تلفها دون رجعة، دوناً عن الأعضاء الأخرى التي تستمر لفترة، لا تدع مجالاً للتشكيك في وجود ما أطلقت عليه المقالات المعارضة «ما يسمى موت المخ» وأنها حقيقة وليست مفهومة عند بعض الناس دون غيرهم، لقد تجاوز الأمر الفحص الإكلينيكي والاختلافات في تفاصيلها أياً كانت إلى اليقين من خلال هذه الفحوصات المتعددة والتي يمكن تسجيلها كوثائق للرجوع إليها لمن يشاء، ويمكن لمن يساوره الشك أن يجري أي عدد من هذه الاختبارات يرضيه ومعظمها تصل نسبة دقتها وصحتها إلى ١٠٠٪»[٤].

- ويقول الدكتور عصام الشربيني عن موت جذع الدماغ «وسواء كان حقيقة أو مفهوماً فإنه عند حدوثه بشرائطه المحددة، يصبح من المؤكد أن الإنسان قد استدبر الحياة إلى غير رجعة.

ولم يتقبل الأطباء بسهولة هذه الحقيقة إلا بعد سنين طويلة من التحري والبحث والتمحيص والمراقبة، ... وأجريت بعد ذلك دراسات للتأكد من صحة هذه الشروط:

فتمت مراجعة ملفات سبعمائة حالة، تم فيها تشخيص موت جذع المخ، ولكن أجهزة الإنعاش لم توقف لسبب أو لآخر، فوجد أن الحالات جميعها ماتت (موتا أكيدا بأي مقياس من المقاييس المختلفة)، إذ توقف القلب بعد ساعات أو أيام قليلة رغم استمرار الأجهزة، ولم تعد حالة واحدة منها إلى الحياة رغم كل الجهود فهل نعد موت جذع المخ موتاً وإن استمرت بعض الأعضاء حية،

١- انظر: موت القلب أو موت الدماغ للدكتور محمد علي البار (ص ١٠٥-١٠٦)، والناظر في ثبت ندوة التعريف الطبي للموت الذي يقع في (٩٩١) ورقة، يتعرف على وجود هذا الخلاف بين الأطباء أنفسهم، وإن حاول بعض الأطباء نفي وجود هذا الخلاف.

٢- انظر: ثبت ندوة التعريف الطبي للموت (ص٢٠٩).

٣- انظر: ثبت ندوة التعريف الطبي للموت (ص٣١٤).

٤- مفهوم وفاة الإنسان من الناحية العلمية للدكتور مختار المهدي (ص٢٦٣-٢٦٤).

كما نعد توقف القلب موتاً وإن استمرت بعض الأنسجة حية؟

ثـم أعيدَ النظر في الموضوع من زاوية أخرى: روجعت ملفـات ألف حالة أدخلوا إلى المستشفيات في حالة غيبوبة عميقة إثر إصابة بالغة بالرأس، وتمت معالجتهم، وكانوا جميعا أحياء عند إجراء الدراسة، أي بعد ثلاثة أشهر من إصابتهم، وكان هدف الدراسة الإجابة عن سؤال واحد «هل كان من الممكن أن يشخص موت جذع المخ في أي من هذه الحالات؟» ولم يجد الباحثون حالة واحدة مـن الحالات الألف استوفت شروط هذا التشخيص حتـى في أسوأ مراحل الإصابة فإذا اتضحت صحـة التشخيص فيمن ماتوا، ولم يقع التشخيـص خطأ فيمن عاشوا (أكثر من ألف حالة)، فهل يكون ذلك دليلاً مقنعاً على أنه تقدير صحيح، وأنه تشخيص يطمأن إليه؟»[١].

التوصيف الثاني: يدل على أن الموت الدماغي ليس قطعياً كالموت بتوقف القلب والدورية الدموية والتنفس، وهو قول لبعض الأطباء.

- يقول الطبيب أحمد شوقي إبراهيم: «ما هي علامات موت المخ؟ ليس لدنيا من العلم في ذلك إلا رسم المخ الكهربائي، وهو قطعي في بعض الحالات، ولا يكون كذلك في بعض الحالات، كحالات التسمم بالأدوية المنومة مثلاً»[٢].

- ويقـول الدكتور رؤوف سـلام: «إن الفحص المتأني للافتراضات الخمسـة المبني عليها مفهوم «مـوت المـخ» تظهر أن الاختبارات التـي تُجرى للكشف عن وظائف المـخ ليست قطعية الدلالة، وأنها لا تشمل كل وظائف المخ، وأنها إن شملت فإنها تعكس تعطل المخ وليس موته»[٣].

- ويقـول أيضاً: «بل هنـاك محاولات جادة بدأت في النجاح في علاج حالات موت المخ، كما تذكر المراجع الموجودة معنا»[٤].

- ويقـول كذلك: «فقد أكّدت الأبحاث المقدمـة إلى المؤتمر الدولي لموت المخ في «هافانا ٩٢» أن الفحوصـ الحديثـة المذكورة وغيرها يمكـن أن تعطي نتائج خاطئة، كمـا أوضحوا أن مجموعة الفحوصـ التـي تعتمد على اختبارات النشـاط الكهربائي لخلايا جذع المـخ ... لا يمكن اعتبار نتائجهـا قاطعـة؛ حيـث يمكـن أن تُعطي نتائـج سلبية كاذبة بسبـب عدم التزامن فـي النشاط الكهربائي ... .

وبالنسبـة للمجموعـة الأخرى مـن الفحوص التي تعتمد علـى سريان الـدم، وتستهدف تشخيص توقـف الدورة الدموية عن طريق الحقن بالمواد المشعة، وعمل المسح الإشعاعي والأشعة الملونة،

١- موت جذع المخ مراجعة ومناقشة للدكتور عصام الشربيني (ص٦١٥-٦١٦).

٢- نهاية الحياة البشرية للدكتور أحمد شوقي إبراهيم (ص٣٧٦).

٣- التعريف العلمي الطبي للموت للدكتور رؤوف محمود سلام (ص٤٦٠).

٤- انظر: ثبت ندوة التعريف الطبي للموت (ص٣١٦).

والمتابعة بالموجات فوق الصوتية وغيرها، فإن جميع هذه الفحوص أيضاً -كما أقر ذلك المؤتمرون في هذا المؤتمر- يمكن أن تتعرض للخطأ نتيجة للنقص الكمي ...»[١].

- ويقول الدكتور صفوت حسن لطفي: «إن وسائل تشخيص موت الدماغ (م.ج.د) (BSD) تتعرض باستمرار يومياً -وفي كل أنحاء العالم- إما للتعديل أو لإحلال أخرى أحدث منها، مما يثير تساؤلاً قوياً عن مصداقية تلك الوسائل المتاحة اليوم»[٢].

- يقول الدكتور مصطفى الذهبي: « وقد حدث في كثير من مراكز نقل وزراعة الأعضاء وبشكل متكرر، أن بعض موتى الدماغ (المخ) الذين تمّ إعدادهم لانتزاع الأعضاء منهم، فوجئ الأطباء بظهور علامات تؤكد استمرارهم في الحياة، مثل الكحة، او الاستعداد للقيء أو ثني الذراعين وضم اليدين إلى الصدر، مما دفع بالكثير من هذه المراكز إلى تعيين أطباء متخصصين في علم النفس لبث الطمأنينة في قلوب طاقم الجراحة.

ولا نخفي على أحد القول بأن هناك اختلافات شاسعة بين الدول التي تأخذ بموت المخ في تعريف الوفاة، فلكل دولة تعريفها الذي يختلف عن الدول الأخرى، وما يتم تشخيصه على أنه موت المخ في أمريكا، يتم علاجه في فرنسا، بل تختلف المراكز والمستشفيات من منطقة أو ولاية في البلد الواحد حول علامات ودلائل موت المخ، وكذلك الطرق المستخدمة في تشخيص تلك الحالة»[٣].

فههنا توصيفان للأطباء متباينان، والناظر في الفتاوى والتوصيات والقرارات من المجمعات الفقهية والهيئات الشرعية والمجالس العلمية المختلفة، يجد فيها الاختلاف بناء على الاختلاف في توصيف الأطباء لهذه الحالة المرضية:

القول الأول: أن موت الدماغ يُعدّ موتاً شرعاً.

وهو ما تمثله التوصيات والقرارات التالية:

- توصية ندوة الحياة الإنسانية بدايتها ونهايتها في المفهوم الإسلامي[٤]، حيث جاء فيها ما نصّه:

«... ونظراً لأن تشخيص الموت والعلامات الدالة عليه كان على الدوام أمراً طبياً يبني بمقتضاه الفقهاء أحكامهم الشرعية، فقد عرض الأطباء في الندوة الرأي الطبي المعاصر فيما يختص بحدوث الموت....

١- انظر: ثبت ندوة التعريف الطبي للموت (ص ٤١٢-٤١٣).

٢- تحديد المفهوم الحديث لموت الدماغ للدكتور صفوت حسن لطفي (ص١٨٧).

٣- نقل الأعضاء للدكتور محمد مصطفى الذهبي ص ١٠٩. وانظر: مفهوم وفاة الإنسان من الناحية العلمية للدكتور مختار المهدي (ص٢٧٢).

٤- المنعقدة في الكويت في الفترة ما بين ٢٤-٢٦ ربيع الآخر ١٤٠٥هـ، الموافق ١٥-١٧ يناير ١٩٨٥م.

خامساً: اتجه رأي الفقهاء تأسيساً على هذا العرض من الأطباء إلى أن الإنسان الذي يصل إلى مرحلة مستيقنة، هي موت جذع المخ، يعتبر قد استدبر الحياة، وأصبح صالحاً لأن تُجرى عليه بعض أحكام الموت، قياساً –مع فارق معروف– على ما ورد في الفقه خاصاً بالمصاب الذي وصل إلى حركة المذبوح.

أما تطبيق بقية أحكام الموت عليه، فقد اتجه الفقهاء الحاضرون إلى تأجيله، حتى تتوقف الأجهزة الرئيسية.

وتوصي الندوة بأن تُجرى دراسة تفصيلية أخرى لتحديد ما يُعجل وما يؤجل من الأحكام.

سادساً: بناء على ما تقدم، اتفق الرأي على أنه إذا تحقق موت جذع المخ بتقرير لجنة طبية مختصة جاز حينئذ إيقاف أجهزة الإنعاش الصناعية»[1].

• قرار مجمع الفقه الإسلامي[2]، حيث جاء فيه ما نصه:

«يعتبر شرعاً أن الشخص قد مات وتترتب جميع الأحكام المقررة شرعاً للوفاة عند ذلك إذا تبينت فيه إحدى العلامتين التاليتين:

١- إذا توقف قلبه وتنفسه توقفاً تاماً وحكم الأطباء بأن هذا التوقف لا رجعة فيه.

٢- إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلاً نهائياً، وحكم الأطباء الاختصاصيون الخبراء بأن هذا التعطل لا رجعة فيه، وأخذ دماغه في التحلل.

وفي هذه الحالة يسوغ رفع أجهزة الإنعاش المركبة على الشخص وإن كان بعض الأعضاء، كالقلب مثلاً، لا يزال يعمل آلياً بفعل الأجهزة المركبة»[3].

قلت: واضح في هذين النقلين من التوصية والقرار، الاعتماد على التوصيف الطبي الصادر من الطبيب المعالج بأن موت الدماغ موت قطعي لا رجعة بعده.

القول الثاني: أن موت الدماغ لا يُعدّ موتاً شرعاً.

وهو ما يمثله التوصيات والقرارات التالية:

• فتوى لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف الكويتية[4]، حيث جاء فيها:

«أما إذا لم يكن هناك أدنى أمل في شفائه، فيكون الأمر متروكاً للطبيب: إن شاء أبقاه تحت هذه

١- انظر: ثبت أعمال ندوة الحياة الإنسانية بدايتها ونهايتها (ص٦٧٧-٦٧٨).

٢- القرار رقم ١٧ (٣/٥) في الدورة الثالثة لمجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقدة في عمان - الأردن، في الفترة ما بين ٨-١٣ صفر ١٤٠٧هـ، الموافق ١١-١٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٦م.

٣- انظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي (ع٣، ج٢، ص٥٢٣).

٤- لجنة صادرة عن إدارة الإفتاء والبحوث الشرعية، وذلك في ١٨ صفر ١٤٠٢هـ، الموافق ١٩٨١/١٢/١٤م.

الأجهزة، أو صرفها عنه، ولا يمكن اعتبار هذا الشخص ميتاً بموت دماغه، متى كان جهاز تنفسه وجهازه الدموي فيه حياة، ولو آلياً.

وعلى هذا فلا يجوز أخذ عضو من أعضائه –ولا سيما إذا كان رئيسياً كالقلب والرئتين– لإعطائها لغيره، أو للاحتفاظ بها للطوارئ.

كما أنه لا تُجرى عليه أحكام الموت: من التوريث، واعتداد زوجته، وتنفيذ وصاياه، إلا بعد موته الحقيقي، وتعطيل كل أجهزته»[1].

ثم صدر إثر ذلك فتوى من نفس هذه اللجنة، إلا أنه وقع فيها تردد في الحكم، كما يتضح في التالي:

- فتوى نفس اللجنة السابقة: لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف الكويتية[2]، حيث جاء فيها:

«لا يحكم بالموت إلا بانتفاء جميع علامات الحياة، حتى الحركة والتنفس والنبض، فلا يحكم بالموت بمجرد توقف التنفس أو النبض أو موت المخ مع بقاء أي علامة من العلامات الظاهرة أو الباطنة، التي يستدل بها على بقاء شيء من الحياة، وذلك لأن الأصل بقاء الحياة، فلا يُعدل عن هذا الأصل بالشك؛ لأن اليقين لا يزول بالشك، هذا ما انتهت إليه اللجنة مبدئياً، وهي ترى أن الأمر يستحق مزيداً من البحث المشترك بين الأطباء والفقهاء، والله أعلم»[3].

- وبعد ذلك صدرت فتوى ثالثة للجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف الكويتية[4]، حيث عادت لتأكد أن الإنسان يُعدّ ميتاً بتوقف قلبه ورئتيه لا بتوقف دماغه[5].

- قرار المجمع الفقهي الإسلامي[6]، حيث جاء فيه ما نصه:

«المريض الذي رُكبت على جسمه أجهزة الإنعاش، يجوز رفعها إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلاً نهائياً، وقررت لجنة من ثلاثة أطباء اختصاصيين خبراء أن التعطل لا رجعة فيه، وإن كان القلب والتنفس لا يزالان يعملان آلياً بفعل الأجهزة المركبة، لكن لا يُحكم بموته شرعاً إلا إذا توقف التنفس والقلب توقفاً تاماً بعد رفع هذه الأجهزة»[7].

١- انظر: أبحاث اجتهادية في الفقه الطبي للدكتور محمد الأشقر (ص٨٣-٨٤)، ونهاية الحياة له أيضاً (ص٤٣٣).

٢- لجنة صادرة عن إدارة الإفتاء والبحوث الشرعية، الفتوى رقم ٢٧/١ع / ٨٤.

٣- انظر: مجموعة الفتاوى الشرعية الصادرة عن قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية الكويتية (٣٢١/٢).

٤- لجنة صادرة عن إدارة الإفتاء والبحوث الشرعية في الفتوى (٩٦/٤٤٠/١) ورقم (٣٩٤٤)، وذلك في العام١٤١٥-١٤١٦هـ، الموافق ١٩٩٦م.

٥- انظر: مجموعة الفتاوى الشرعية الصادرة عن قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية الكويتية (٤٩٥/١٢-٤٩٦).

٦- القرار الثاني في الدورة العاشرة المنعقدة في مكة المكرمة، في الفترة ما بين ٢٤-٢٨ صفر ١٤٠٨هـ، الموافق ١٧-٢١ أكتوبر ١٩٨٧م.

٧- انظر: قرارات المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي لدوراته ١٠، ١١، ١٢: (ص٢١).

• فتـوى اللجنة الدائمـة للبحوث العلمية والإفتاء، في المملكة العربيـة السعودية[١]، حيث جاء فيها ما نصه:

«إذا كان الأمـر كمـا ذكر، فلا مانع من نزع الجهاز التنفسـي عنها، إذا قرر طبيبان فأكثر أنها في حكم الموتى، ولكن يجب أن ينتظر بعد نزع الأجهزة منها مدة مناسبة حتى تتحقق وفاتها»[٢].

• وفتـوى أخـرى للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فـي المملكة العربية السعودية[٣]، حيث جاء فيها ما نصه:

«إذا كان الواقـع كمـا ذكر، جاز إيقاف الأجهزة التي تشغّل القلب وجهـاز التنفس أوتوماتيكياً، إذا كان القلـب لا ينبضـ والتنفس لا وجـود له إلا بالأجهزة؛ لأنـه على هذا يكون ميتـاً، وحركة القلب والتنفـس إنما هي بالأجهزة لا حياة الشخص، لكن يجـب التأكد من موته بعد رفع الأجهزة، وقبل إعلان الموت لكمال أو احتياط»[٤].

• وفتوى ثالثة لنفس اللجنة السابقة[٥]، حيث جاء فيها ما نصه:

«إذا كان الأمـر كما ذكر، فلا مانع من نـزع الجهاز التنفسي عن ولدك، إذا قرر طبيبان فأكثر أنه في حكم الموتى، ولكن يجب أن ينتظر بعد نزعها منه مدة مناسبة حتى تتحقق وفاته»[٦].

• ثم قرار لجنة البحوث الفقهية التابعة لمجمع البحوث الإسلامية[٧]، حيث جاء فيه ما نصه:

«ثانيـاً: يمنع الاكتفاء بتوقف جهـاز رسم المخ الكهربائي -وحده- دليـلاً قاطعاً على الوفاة، بل لا بدّ مع هذا من ظهور تلك العلامات الجسدية على نحو ما قرره الفقه الإسلامي، مستمداً من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث أكدت ضرورتها - عند استعمال جهاز رسم المخ الكهربائي لاستكشاف موت المحتضر من عدمه- بحوث المؤتمرات الطبية»[٨].

• قرار هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية[٩]، حيث جاء فيه:

١- الفتوى رقم (١٥٩٦٤)، والموقعة باسم: عبد الله بن غديان، وصالح الفوازن، وعبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، وعبد العزيز بن باز.

٢- مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء – الرياض، العدد رقم (٥٨) (ص١٠٣)، .

٣- الفتوى رقم (٦٦١٩) والموقعة باسم: عبد الرزاق عفيفي، وعبد العزيز بن باز.

٤- مجلة البحوث الإسلامية العدد رقم (٥٨) (ص١٠٥).

٥- الفتوى رقم: (١٢٧٦٢)، والموقعة باسم: عبد الله بن غديان، وعبد الرزاق عفيفي، وعبد العزيز بن باز.

٦- مجلة البحوث الإسلامية، العدد رقم (٥٨) (ص١٠٦-١٠٧).

٧- في الدورة (٢٨) المنعقدة برئاسة فضيلة شيخ الأزهر في ١٦ يونية ١٩٩٢م.

٨- انظر: المحضر رقم (١٠) لاجتماع مجلس مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الدورة رقم (٢٨) (ص٢٠)، نقلته بواسطة نقل الأعضاء الآدمية في ضوء الشريعة والطب والواقع للدكتور أبو الوفا عبد الآخر (ص ٧). وانظر أيضاً: نقل الأعضاء في ضوء الشريعة والقانون للمستشار طارق البشري، عرض: صابر عبد اللطيف، كما في مجلة حصاد الفكر (ع١١٣، ص١٩).

٩- القرار رقم (١٨١) وتاريخ ١٤١٧/٤/١٢هـ. الموافق ١٩٩٦/٨/٢٦م.

«وبعد المناقشة وتداول الرأي في الموضوع، قرر المجلس: أنه لا يجوز شرعاً الحكم بموت الإنسان، الموت الذي تترتب عليه أحكامه الشرعية بمجرد تقرير الأطباء أنه مات دماغياً، حتى يُعلم أنه مات موتاً لا شبهة فيه، تتوقف معه حركة القلب والنفس، مع ظهور الأمارات الأخرى الدالة على موته يقيناً؛ لأن الأصل حياته، فلا يُعدل عنه إلا بيقين»[1].

- وبعد ذلك صدر قرار ثانٍ لهيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية[2]، يؤكد فيه قراره الأول، حيث جاء فيه ما نصه:

«وبعد البحث والمداولة قرر المجلس ما يلي:

جواب السؤال الأول: إذا قرر ثلاثة أطباء متخصصون فأكثر، رفع أجهزة الإنعاش عن المريض الموضحة حالته في السؤال الأول، فإنه يجوز اعتماد ما يقررونه من رفع أجهزة الإنعاش، ولكن لا يجوز الحكم بموته حتى يعلم ذلك بالعلامات الظاهرة الدالة على موته، أما موت الدماغ فلا يعتمد عليه في الحكم بموته»[3].

قلت: وفي هذه الفتاوى والقرارات نرى أنهم بنوا على التوصيفات الطبية التي ذكرت أن الموت الدماغي ليس موتاً قطعاً، لذلك لم تأخذ هذه الفتاوى والقرارات بمجرد موت الدماغ حتى تتحقق العلامات الجسدية الأخرى التي توصلنا إلى القطع بالموت. والله أعلم.

من هنا ينجلي الأثر الواضح لتوصيف الطبيب، واختلاف الحكم الشرعي بناء عليها.

وعليه فيمكن تلخيص ما سبق بالتالي:

المرض:	الموت الدماغي.
التوصيف الطبي (١):	الموت الدماغي موت قطعاً.
التوصيف الطبي (٢):	الموت الدماغي غير قطعي.
أثر التوصيف (١):	يحكم الفقيه بالموت من الجهة الشرعية، وتترتب عليه جميع أحكام الموت من الإرث وعدة الموت وسائر أحكام الموت.
أثر التوصيف (٢):	لا يحكم الفقيه بالموت، فلا تنطبق أحكام الموت حتى تُنزع الأجهزة ويتوقف قلبه ورئتيه عن العمل.

المبحث الثاني: بيان أثر توصيف الطبيب للدواء أو العلاج:

من المسائل التي توضّح أثر توصيف الدواء أو العلاج في الحكم الشرعي مسألة: «نقل الغدد التناسلية»، فقد يحدث عند بعض الرجال أن تُصاب خصيتيه بخلل ما، أو يُصاب مبيض امرأة

١- انظر: الفتاوى المتعلقة بالطب وأحكام المرضى (ص٣٣٨).

٢- القرار رقم (١٩٠) وتاريخ ١٤١٩/٤/٦هـ.

٣- انظر: الفتاوى المتعلقة بالطب وأحكام المرضى (ص٣٢٧).

بمرض فيُستأصل منها، مما يؤدي إلى حرمان أولئك من الإنجاب، ثم يتوق الرجل الذي تلفت خصيتيه أو تَتُوق المرأة التي تلف مبيضها إلى الأولاد، فمن أنواع العلاجات المتوفرة أن يُنقل له خصية من متبرع، أو يُنقل إليها مبيض من متبرعة.

وإذا نظرنا إلى التوصيفات الطبية لهذه العملية، من حيث احتواء الخصية أو المبيض على حُوَيْنات المتبرع أو بييضات المتبرعة أو عدم احتوائها، نجد التالي:

التوصيف الأول:

تقول الدكتورة صديقة العوضي والدكتور كمال نجيب: «فالغدد التناسلية ليست مثل باقي الأعضاء يمكن نزع التالف منها واستبداله بآخر سليم، بل إنها بما تحمله من الخلايا الأولية للبويضات والحيوانات المنوية، فإنها تقوم بنقل الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء، وإن أي محاولة لنقل هذه الأعضاء بين الرجال والنساء سوف يؤدي حتماً إلى خلط الأنساب»[١].

ويقولان أيضاً: «ومهما كانت الإمكانيات والتجهيزات التي يقدمها الطب الحديث لهؤلاء الرجال والنساء، فلن يُتاح لهم الإنجاب من صلبهم، بل يكمن القول بأن نجاح نقل الغدد التناسلية ما هو إلا صورة من صور الإخصاب لبويضة من حيوان منوي ليس من الزوج، أو إخصاب حيوان منوي لبويضة ليست لزوجته»[٢].

وأيضاً: «من هنا يتضح لنا أن المبيض يحتوي على بويضات تحمل الشفرة الإلهية التي حددها واختارها الله لهذا الطفلة والذي تم تحديده قبل ولادة الطفلة من بطن أمها، والمستمدة من الصفات الوراثية للأم والأب، فإذا ما قمنا ونقلنا هذا العضو (المبيض) من أنثى إلى أنثى أخرى، فإننا بهذا قد نقلنا المبيض بما يحتويه من بويضات تحمل الصفات الوراثية التي ورثتها الأنثى المنقول منها المبيض من والديها إلى أنثى أخرى والتي تم نقل المبيض لها»[٣].

وأخيراً: «من هذا يتضح أن الخصية تقوم بدور المصنع الذي ينتج الحيوانات المنوية بواسطة تأثير الهرمونات على المواد الأولية... فإذا ما نقلنا الخصيتين من شخص إلى آخر، فكأننا قد نقلنا المصنع بآلاته ومعداته والمواد الأولية التي يحتويها إلى الشخص الآخر، ويكون دور الشخص المنقول له الخصية لن يتعدى سوى تشغيل هذا المصنع فقط، أي أنه لن يكون له دور في نقل المورثات التي يحملها إلى أولاده، بل سوف يساعد على نقل الصبغيات الوراثية التي ورثها الشخص المنقول منه هذه الخصية إلى ذرية الشخص المنقول له الخصية»[٤].

١- زراعة الأعضاء التناسلية والغدد التناسلية للدكتورة صديقة العوضي والدكتور كمال محمد نجيب (ص ٤٤٣).

٢- المصدر السابق (ص ٤٤٣).

٣- المصدر السابق (ص ٤٤٦).

٤- زراعة الأعضاء التناسلية والغدد التناسلية للدكتورة صديقة العوضي والدكتور كمال محمد نجيب (ص ٤٥٠).

وقـال بنحو هذا التوصيف الدكتور مأمون الحاج[١]، والدكتـور عصام الشربيني[٢]، والدكتور عبد المنعم عبيد[٣]، والدكتور طلعت القصبي[٤].

التوصيف الثاني:

ينقـل شيخنا الدكتور محمد الشنقيطي عن جريـدة المسلمون توصيفاً طبياً[٥] هو: «أن الحيوانات المنوية خارجة في الأصل من الرجل الثاني «المنقولة إليه الخصية»، وأن الخصية ليست إلا مجرد آلة منظمة لتلك الحيوانات، فلا وجه للشبهة في عملية نقلها»[٦].

ويقـول الدكتور محمـد الأشقر: «... أني وقعت على مقال نشر هنا فـي الكويت لمقابلة مع الدكتور حسـن عبـد العال، أستـاذ الأمراض التناسلية في جامعـة الأزهر، وهي عبارة عـن مقابلة ... أنه يقول: إن سيمكن في عهد قريب أو في وقت قريب تفريغ الخصية من السائل المنوي نهائياً، وبذلك سيمكن نقل الخصية بيسر وسهولة، وبعد ذلك فلا يحدث اشتباه الأنساب أو ما إلى ذلك...»[٧].

فههنـا توصيفـات متباينان للعلاج بنقل الخصية أو المبيض، وبنـاء عليه فإنه من تكلم في الحكم الشرعي انقسم إلى قولين:

القول الأول: يحرم نقلها.

ويمثله التوصيات والقرارات والبيانات المجمعية التالية:

- توصية ندوة رؤية إسلامية لزراعة بعض الأعضاء البشرية[٨]، حيث جاء في توصيتها ما نصه: «انتهـت النـدوة إلى أن الخصية والمبيض بحكم أنهما يستمران فـي حمل وإفراز الشفرة الوراثية للمنقـول منه، حتى بعد زرعهما في متلقٍ جديد، فـإن زرعهما محرم مطلقاً؛ نظراً لأنه يفضي إلى اختـلاط الأنسـاب، وتكـون ثمرة الإنجاب غيـر وليدة من الزوجيـن الشرعييـن المرتبطين بعقد الزواج»[٩].

١- انظر: ثبت أعمال ندوة رؤية إسلامية لزراعة بعض الأعضاء البشرية (ص ٤٨٠، ٤٨٨).

٢- انظر: ثبت أعمال ندوة رؤية إسلامية لزراعة بعض الأعضاء البشرية (ص ٤٨٢-٤٨٣، ٤٨٨).

٣- انظر: ثبت أعمال ندوة رؤية إسلامية لزراعة بعض الأعضاء البشرية (ص ٤٨٦-٤٨٧).

٤- انظر: ثبت أعمال ندوة رؤية إسلامية لزراعة بعض الأعضاء البشرية (ص ٤٨٩، ٤٩٧).

٥- ولم يُبيّن الدكتور محمد الشنقيطي لمن يعود هذا التوصيف، وعلى كلّ فهو توصيف طبي، سواء عاد إلى طبيب أم غير طبيب، وقد سبق النقل عن طبيب.

٦- أحكام الجراحة الطبية للدكتور محمد الشنقيطي (ص ٣٦٩) محيلاً إلى جريدة المسلمون الأعداد: ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥.

٧- انظر: ثبت أعمال ندوة رؤية إسلامية لزراعة بعض الأعضاء البشرية (ص ٤٨٣). وقد كان الدكتور الأشقر يميل إلى الجواز، إلا أنه بعد أن اتضح له التوصيف الطبي الأول، عاد فقال بالتحريم. انظر: ثبت أعمال ندوة رؤية إسلامية لزراعة بعض الأعضاء البشرية (ص ٥٥٤-٥٥٧).

٨- وهي الندوة الفقهية الطبية السادسة، التي انعقدت في الكويت في الفترة ما بين ٢٣-٢٦ ربيع الأول ١٤١٠هـ الموافق ٢٣-٢٦ أكتوبر ١٩٨٩م.

٩- انظر: ثبت أعمال ندوة رؤية إسلامية لزراعة بعض الأعضاء البشرية (ص٦٤٩).

- قرار مجمع الفقه الإسلامي[1]، حيث جاء فيه ما نصه:

«بما أن الخصية والمبيض يستمران في حمل وإفراز الصفات الوراثية (الشفرة الوراثية) للمنقول منه حتى بعد زرعهما في متلقٍ جديد، فإن زرعهما محرم شرعاً»[2].

قلت: هذا القول اعتمد أساساً على التوصيف الطبي للأطباء القائل بأن نقل الغدد التناسلية، يعني نقل الشفرة الوراثية للمتبرع، وهو أمر مرفوض قطعاً.

القول الثاني: يجوز نقل الخصيتين، وبه يقول أحد المعاصرين[3].

القول الثالث: يجوز نقل إحدى الخصيتين، أو أحد المبيضين. وهو قول بعض المعاصرين[4].

يقول فضيلة الشيخ عطية صقر: «من المقرر أن نقل الخصيتين معاً من شخص إلى آخر لا يجوز؛ لأنه خصاء للمنقول منه، والخصاء حرام ... أما نقل خصية واحدة فهو كنقل إحدى الكليتين يجوز بشرطين هما مطلوبان فى نقل أي عضو من شخص إلى آخر، وهما عدم الضرر الكبير بالمنقول منه ، وغلبة الظن فى استفادة المنقول إليه به.

ولا شك أن الخصية هي المعمل الذى يفرز المادة المنوية ويتخلق منها الحيوان المنوي. وهذه المادة عندما تكثر لا بد من إفراغها بطريقة أو بأخرى، فإذا نقلت الخصية بما فيها من مادة مع افتراض أن الحيوانات المنوية بعد القطع ستبقى حية وزُرعت فى شخص آخر، وباشرت عملها من توليد المادة من الجسم الجديد كان فيها خليط من مادة الشخص الأول ومادة الشخص الثاني، فلو فرض تلقيح زوجة الثاني من هذا الخليط فلا يعرف للحمل من أي الشخصين يكون، وتحليل الدم أو الشبه في الخلقة قد يحدد ذلك. ولو ثبت أنه للشخص الأول كان الاتصال الجنسي حراماً، وتجيء هنا مشكلة نسبة المولود على فراش الزوجية وحق الزوج فى ادعائه ونفيه وما قيل في التلقيح الصناعي.

ولذلك نختار منع عملية النقل أصلاً، وذلك لعدم الضرورة إليها، فليس عقم الرجل مفضياً إلى هلاكه أو إلى إلحاق الضرر الشديد به.

ولو تم النقل وجب أن تكون هناك فرصة لتفريغ المادة المخزونة فيها والاطمئنان إلى خلوها منها بمعرفة المختصين، وذلك أشبه بمدة الاستبراء والعدة حتى لا تختلط الأنساب بالزواج أو التمتع

١- قرار رقم ٦/٨/٥٩ في دورة مؤتمره السادس بجدة في المملكة العربية السعودية من ١٧-٢٣ شعبان ١٤١٠هـ الموافق ١٤-٢٠ آذار (مارس) ١٩٩٠م.

٢- انظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي (ع٦، ج٣، ص٢١٥٥).

٣- نصّ على ذلك الشيخ سيد سابق، كما في جريدة المسلمون العدد رقم ٢٠٣، نقلاً من أحكام الجراحة الطبية للدكتور محمد الشنقيطي (ص ٣٦٨).

٤- انظر: أحكام الجراحة الطبية للدكتور محمد الشنقيطي (ص ٣٦٨).

قبل انتهائها وما يُقال في نقل خصية الرجل يُقال في نقل مبيض المرأة»[1].

قلت: نجد أصحاب هذا القول يذهبون مع التوصيف الطبي الثاني، وتبقى مسألة نقل الغدد التناسلية في حيّز المقبول من حيث المبدأ.

فنجد هنا التأثير الواضح أيضاً للتوصيف الطبي على مجرى الأحكام الفقهية.

ويمكن تلخيص ما سبق بالتالي:

المرض:	العقم بسبب خلل في الغدة التناسلية.
العلاج:	نقل الغدة التناسلية المصابة من متبرع.
التوصيف الطبي (١):	الغدة التناسلية تحتوي على الخلايا الجنسية للمتبرع، فإذا نقلت هذه الأعضاء لشخص آخر فإنه تنتقل معها الخلايا الجنسية لصحابها المتبرع.
التوصيف الطبي (٢):	الغدة التناسلية يمكن تفريغها من الخلايا الجنسية، ومن ثمّ تتكون خلايا جنسية تعود للشخص المنقولة إليه الغدة التناسلية.
أثر التوصيف (١):	يحرم نقل الخصية أو المبيض إلى شخص آخر قطعاً.
أثر التوصيف (٢):	لا يحرم نقل الخصية أو المبيض من حيث المبدأ إلى شخص آخر.

المبحث الثالث: بيان أثر توصيف الطبيب لطريقة العلاج:

من المسائل التي توضّح أثر توصيف طريقة علاج المرض في الحكم الشرعي مسألة: «استخدام اللولب لمنع الحمل»، فقد ترغب بعض النساء كمن ضعف جسمها لتعدد الحمل والولادة أو لغيرها من الدوافع أن تقوم بتنظيم النسل، ومعلوم أن لتنظيم الحمل أو تحديده المؤقت عدة طرق، منها استخدام اللولب.

ومعلوم أن الحكم الشرعي لتلك الطرق له عدة نواحٍ تؤثر فيه، والذي يهمنا هنا هو توضيح أثر توصيف الطبيب لطريقة عمل اللولب في تنظيم أو تحديد النسل.

وإذا نظرنا إلى التوصيفات الطبية لهذه الطريقة نجد التالي:

التوصيف الأول:

جاء في كتاب الطبيب أدبه وفقهه: «كذلك تقوم هذه الأجهزة بإعاقة وصول الحيوانات المنوية إلى قناة الرحم، وتقلل من قدرتها على التلقيح»[2].

ويقول الدكتور محمد خالد المنصور نقلاً عن عدة مصادر طبية: «اللولب (الأجهزة الرحمية لمنع الحمل): وهي أجهزة رحمية تُستخدم لمنع الحمل على شكل لولب، ووظيفتها: منع وصول

١- فتاوى دار الإفتاء المصرية الفتوى رقم (٧٤) بتاريخ: مايو ١٩٩٧م.

٢- الطبيب أدبه وفقهية للدكتور البار والدكتور السباعي (ص٢٨٨).

الحيوانات المنوية إلى قناة الرحم، وتقليل قدرتها على التلقيح»[1].

التوصيف الثاني:

جاء في كتاب الطبيب أدبه وفقهه: «وتعمل هذه الأجهزة على منع علوق الكرة الجرثومية في جدار الرحم، وذلك لأنها تحدث تغييرات في بطانة الرحم تجعلها غير صالحة لانغراس الكرة الجرثومية (Blastula)، كما أنها لا تساعدها على النمو إذا انغرست فيطردها الرحم»[2].

ويقول الدكتور البار: «ورغم أن الوسيلة التي يعمل بها اللولب مجهولة، إلا أن الدوائر الطبية تعتقد أن منع الحمل يتم بمنع انغراز البويضة الملقحة بالرحم (أي منع العلوق) .. كما يعتقد بعضهم أن وجود اللولب يزيد في تقلصات الرحم وقناة الرحم، مما يؤدي إلى سرعة تحرك البويضة من قناة الرحم إلى الرحم ومن ثمّ إلى الخارج»[3].

التوصيف الثالث:

وهو ما يمكن أن نأخذه مما ذكرنا عن كتاب الطبيب أدبه وفقهه حيث جاء فيه توصيف عمل اللولب: «وتعمل هذه الأجهزة على منع علوق الكرة الجرثومية في جدار الرحم ... كما أنها لا تساعدها على النمو إذا انغرست فيطردها الرحم»[4].

فههنا ثلاثة توصيفات لطريقة عمل اللولب:

فالتوصيف الأول يذكر أنه يمنع وصول الحيوانات المنوية إلى البييضة، فهو بذلك شبيه بعزل الرجل عن زوجته.

والتوصيف الثاني يذكر أنه يمنع إنغراز البييضة الملحقة في الرحم، وهو بذلك نوع من أنواع الإجهاض قبل العلوق في جدار الرحم.

والتوصيف الثالث: يذكر أنه يعمل على طرد البييضة الملحقة المنغرسة في الرحم، فهو بذلك نوع من أنواع الإجهاض بعد العلوق في جدار الرحم.

أما الأحكام الشرعية:

الاعتماد على التوصيف الأول (العزل):

يقول الدكتور محمد خالد المنصور بعد أن ذكر حكم العزل في الشريعة الإسلامية: «بناء على البحث الفقهي المتقدم، فإن حكم وسائل منع الحمل المؤقت الحديثة ينبغي أن يكون مقاساً على

١- الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء (ص١٢٩).

٢- الطبيب أدبه وفقهية للدكتور البار والدكتور السباعي (ص٢٨٨).

٣- خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ص٤٩٥).

٤- الطبيب أدبه وفقهية للدكتور البار والدكتور السباعي (ص٢٨٨).

حكـم العزل من حيث الجواز والحرمة؛ لأن هذه الوسائـل تشترك مع العزل في منع الحمل مؤقتاً، وذلك بمنع وصول ماء الرجل إلى رحم المرأة، مع اختلاف وسائل وطرق منع الحمل.

وقد ترجح فيما سبق أن العزل جائز مع الكراهة التنزيهية، عند وجود سبب وحاجة معتبرة للعزل، وإلا فعلى الجواز مطلقاً.

وعليـه فيجـوز استخدام وسائل منع الحمـل المؤقتـة إذا كان ثمة سبب للمنع يـؤدي بالمسلم إلى الحرج والمشقة»[1].

ومثلـه تماماً مـا فعله الدكتور سيد حبيب بن أحمد، حيث اعتمد على هذا التوصيف الطبي، ووصل إلى نفس الحكم الشرعي[2].

قلت: فنرى هنا أنهما وصلا إلى حكم الكراهة بناء على حكم العزل المكروه عندهما، مع الاعتماد على التوصيف الطبي القائل بأن عمل اللولب يكون بمنع الحيوان المنوي من تلقيح البييضة.

الاعتماد على التوصيف الثاني (الإجهاض قبل العلوق):

أكثـر مـن بحث مسألة استخدام اللولب إنما نظر إلى التوصيـف الطبي الأول، وقلّ من نظر النظر إلى التوصيف الثاني، وإن ذَكَرَه عند شرح طريقة عمل اللولب، ولكنه يعود ليطبق الحكم على العزل فقط، دون الإجهاض[3].

ومعلـوم أن إعطاء الحكم الشرعي من خلال النظر إلى العزل، يختلف عن إعطاء الحكم الشرعي من خلال الإجهاض، إذ الخلاف في المسألة الأولى يختلف عن الخلاف في المسألة الثانية.

وممن انتبه إلى ذلك:

قرار اللجنة الفقهية الطبية لجمعية العلوم الطبية الإسلامية الأردنية[4]، وجاء فيها ما نصه:

«ثانياً: الإجراءات الطبية قبل حدوث العلوق: لقد توصلت هذه الندوة، كما توصل الكثير مما سبقها من أبحاث وندوات إلى اتفاق أن الحياة المحترمة للبييضة الملقحة إنما تبدأ بعد علوقها في جدار الرحم بين اليومين السادس والسابع بعد التلقيح.

وعلى ذلك فإن هناك اتفاقاً لدى غالبية العلماء على ما يلي:

١- الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء (ص١٥٠).

٢- منع الحيض والحمل أو تأخيرهما (ص٤٩).

٣- ففي كتاب «الطبيب أدبه وفقهه»: ففي (ص٢٨٨) ذكر أن من طريقة عمل اللولب منع البييضة الملقحة من الإنغراس، عند ذكرهما لوسائل موانع الحمل. ثم في (ص٣٠٥-٣١٠) ذكر الموقف الشرعي من وسائل منع الحمل على أساس العزل فقط، فيما يتعلق بطريقة عمل اللولب، ولم يتطرق لتنزيل الحكم على أساس إجهاض البييضة الملقحة.

٤- صدر هذا القرار في يوم الخميس ١٤١٣هـ، الموافق ١٩٩٢/١٠/٢٢م. انظر: قضايا طبية معاصرة في ضوء الشريعة الإسلامية (٩٠/١-٩١)

١- أن استعمال اللولب الطبي لمنع علوق البييضة الملقحة في جدار الرحم هو أمر جائز»[١].

فنرى هنا أنهم انطلقوا إلى بيان الحكم من خلال الإجهاض قبل العلوق.

الاعتماد على التوصيف الثالث (الإجهاض بعد العلوق):

ولـم أرَ مـن بنى الحكم الشرعي عليه، إلا أنه إن كان صحيحاً هذا التوصيف الطبي، فإنه ينبغي أن يُقال بالتحريم عند من يرى تحريم الإجهاض بعد العلوق، كما سبق في الفتوى الأردنية السابقة.

من هنا يتضح للقارئ أثر اختلاف التوصيف الطبي لطريقة عمل اللولب، فمن اعتمد على التوصيف الأول فإنـه سيبحث المسألة من خلال حكم العزل، ومن اعتمد على التوصيف الثاني فإنه سيبحث المسألـة من خلال حكم الإجهاض قبل العلوق في الرحـم، ومن اعتمد على التوصيف الثالث فإنه سيبحث المسألة من خلال حكم الإجهاض بعد العلوق في الرحم. والله تعالى أعلم.

ويمكن تلخيص ما سبق في التالي:

المرض:	ضعف المرأة بسبب كثرة الولادة مثلاً.
العلاج:	تنظيم النسل باستخدام اللولب.
التوصيف الطبي (١):	اللولب يقوم بمنع الحيوانات المنوية من تلقيح البييضة.
التوصيف الطبي (٢):	اللوب يمنع البييضة الملقحة من العلوق في الرحم.
التوصيف الطبي (٣):	اللوب يمنع البييضة الملقحة المنغرسة في الرحم من البقاء في الرحم.
أثر التوصيف (١):	سيتم إعطاء الحكم الشرعي بناء على مسألة حكم عزل الرجل عن زوجته.
أثر التوصيف (٢):	سيتم إعطاء الحكم الشرعي بناء على مسألة حكم الإجهاض قبل العلوق.
أثر التوصيف (٣):	سيتم إعطاء الحكم الشرعي بناء على مسألة حكم الإجهاض بعد العلوق.

المبحث الرابع: بيان أثر توصيف الطبيب لمآل استخدام الدواء أو العلاج:

توصيـف الطبيب لمآل استخدام الدواء أمر مهم لا يقل أهمية عن التوصيفات السابقة، فرب دواء أو علاج يمتنع الطبيب من وصفه أو استخدامه بسبب أنه يتصور أن مآل استخدامه في المستقبل يكون ضاراً أو يسبب أعراضاً جانبية أو يكون غير مجدٍ لأمور فنية أو تقنية.

كمثل دواء يسبب بأمر الله تعالى القضاء على ميكروب ما بسرعة مدهشة، إلا أنه يتسبب بعد ذلك بأعراض جانبية قد تكون أكثر ضرراً من ذلك الميكروب.

وكمثـل آلة طبية حديثة، لها مزايا متطورة، تُعرض للبيع لإحدى المستشفيات، فتطلب توصيفاً لها من أحد أطبائها العاملين في المستشفى، فإذا كتب ذلك الطبيب في تقريره أن هذه الآلة مزاياها

١- قضايا طبية معاصرة في ضوء الشريعة الإسلامية (٣١٢/١)

رائعــة واستخدامها سهل وآمــن، إلا أن نتائجها ليست دقيقة وتعطي نسبــة خطأ معينة، فلن تقدم المستشفى على شرائها، وإذا كانت موجودة عند المستشفى فلن يرغب الأطباء في استخدامها.

ومن المسائل التي توضّح أثر توصيف المآل مسألة: «إنشاء بنوك الحليب»، فقد نشأت هذه البنوك في الدول الغربية للدواعي التالية:

أولاً: إنقــاذ مجموعة من الأطفال الذين يحتاجون بصــورة خاصة إلى اللبن الإنساني، ولا تستطيع أمهاتهم أن يقمن بالرضاعة[1].

ثانياً: أن يكون الحليب الطبيعي وسيلة بديلة عن الحليب الصناعي، هدفها الاستفادة القصوى من مميزات حليب الأم، في حين لا تستطيع الأم إرضاع طفلها[2].

إلا أنها بعد انتشارها وذيوعها آلت إلى القلة والإنخفاض، وفي بيان سبب هذا المآل توصيفان هما:

التوصيف الأول:

يقــول الدكتور ماهر حتحوت في بحثه «بنوك الحليب البشري المختلط» المقدم إلى ندوة الإنجاب في ضوء الإسلام:

«حجم المشكلة أصغر مما قد تم تصوره ابتداء:

لأن الألبــان الصناعية تكفي وانحصر الاستعمال لمن لهم حساسيــة خاصة للألبان الصناعية أو لمن لايستطيعون هضمه.

ونسبــة الأطفــال الخدج حوالي ٧٪ من المواليــد من هؤلاء أقل من ١٪ من الــ ٧٪، ولذلك انكمش حجم المشكلة.

وقــد قمــت بالاتصال ببنــوك الألبان فلقــد انكمش إلــى ثلاثة فــى الولايات المتحدة ثــم اتصلت بمستشفي الأطفال فى لوس انجلوس للسؤال عن عدد المرات التى استخدموا فيها بنوك اللبن فى العامين الأخيرين فكان العدد صفراً.

ولذلــك فــإن المشكلة صغيرة ومنكمشة ولكــن الاحتمال موجود ومطروح وقــد تختفي المشكلة ثم تظهر بعد ذلك»[3].

١- انظر: بنوك الحليب دراسة طبية فقهية (ص٨٠)، وبنوك الحليب للبار ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي (ص٣٩٢-٣٩٣)، والطبيب أدبه وفقهه (ص٣٤٩-٣٥٠)، والانتفاع بأجزاء الآدمي (ص ١٨٨)، والمسائل الطبية المستجدة (٤٠٥/٢)، وبنوك الحليب البشري المختلط للدكتور ماهر حتحوت (ص٣٥)، والموسوعة الطبية الفقهية (ص٤٨٧).

٢- انظر: بنوك حليب الأمهات بدعة غريبة محرمة شرعاً، وبنوك اللبن للكحلاوي (ص١١)، والانتفاع بأجزاء الآدمي (ص١٨٨)، والمسائل الطبية المستجدة (٤٠٥/٢)، وبنوك الحليب البشري المختلط (ص٣٥)، ومجموعة فتاوى دار الإفتاء المصرية الفتوى رقم (٩٥٩)، والموسوعة الطبية الفقهية (ص٤٨٨).

٣- بنوك الحليب البشري المختلط للدكتور ماهر حتحوت (ص٣٦).

التوصيف الثاني:

يقـول الدكتـور محمد علـي البار في بحثه «بنوك الحليـب دراسة طبية فقهيـة» المقدم إلى مجمع الفقه الإسلامي: «وكنت قد قمت بسؤال مجموعة من أطباء الأطفال العاملين في الولايات المتحدة عندمـا كنت في زيارة لهـا في يناير ١٩٨٣ فذكروا لي أن بنوك الأطفـال في الولايات المتحدة في مرحلة الاحتضار وذلك للأسباب التالية:

١- الحاجة إليها نادرة.

٢- تكلفتها عالية جدًا.

٣- ندرة الأمهات المتبرعات باللبن.

٤- يتعرض اللبن المتجمع للفساد مع الزمن رغم حفظه في البنك فهو معرض لإصابته بالميكروبات كما أنه معرض لتحلل بعض المواد الموجودة فيه فيفقد بذلك بعض مزاياه وفوائده»[١].

قلت: من خلال ما سبق نرى التفاوت بين التوصيفين؛ فالتوصيف الأول توصيف هادئ يجعل سبب مـا آلت إليه البنوك من الإنحسار بسبـب كفاية الألبان الصناعية مع قلة الذين يحتاجون إلى هذا الحليب من الأطفال الخُدّج.

أما التوصيف الثاني فكان أشد وقعاً حتى جاء وصف حال البنوك بـ(الاحتضار)، مع ذكر مجموعة مـن الأسباب التـي تُنفّر من هذه البنوك ومن حليبها فالحليب فيها معرّض للفساد مع الزمن رغم حفظه فيها، ومعرض للإصابة بالميكروبات، ومعرض لفقد مزاياه وفوائده.

وهـذا التفـاوت في توصيـف سبب ما آلت إليه البنـوك كان سبباً رئيسياً في تفـاوت حكم الندوات والمؤتمـرات على هذا النوع من البنوك، بحسب البحث الـذي عُرض فيها والتوصيف الذي سمعه المشاركون، على الشكل التالي:

أولاً: توصيـة اكتفـت بعـدم التشجيع على إنشاء بنـوك الحليب، وأنه إذا دعت الضـرورة فلا بأس بإنشائها، وهي توصية ندوة الإنجاب في ضوء الإسلام[٢]:

«عـدم تشجيـع قيام بنوك الحليب البشـري المختلط، فإذا دعت الضـرورة الطبية إلى ذلك تنشأ بنوك حليب بشري للأطفال الخُدّج»[٣].

لأنه تم عرض البحث الأول في هذه الندوة.

١- بنوك الحليب دراسة طبية فقهية للدكتور محمد علي البار (ع٢، ج١، ٣٩٤).

٢- المنعقدة في الكويت في ١١ شعبان ١٤٠٣هـ، الموافق ٢٤ مايو ١٩٨٣م.

٣- ثبت ندوة الإنجاب في ضوء الإسلام (ص٣٤٩).

ثانياً: قرار بالمنع من إنشاء بنوك الحليب، وهو قرار مجمع الفقه الإسلامي[1]:

«أولاً: أن بنـوك الحليـب تجربـة قامت بها الأمـم الغربية، ثم ظهرت مع التجربـة بعض السلبيات الفنية والعلمية فيها فانكمشت وقلّ الاهتمام بها.

ثانيـاً: أن الإسـلام يعتبـر الرضـاع لحمة كلحمـة النسب يحرم به مـا يحرم من النسـب بإجماع المسلميـن. ومـن مقاصـد الشريعـة الكليـة المحافظة علـى النسب، وبنـوك الحليـب مؤدية إلى الاختلاط أو الريبة.

ثالثـاً: أن العلاقـات الاجتماعية فـي العالم الإسلامـي توفر للمولـود الخداج أو ناقص الوزن أو المحتـاج إلى اللبن البشري في الحـالات الخاصة ما يحتاج إليه مـن الاسترضاع الطبيعي، الأمر الذي يغني عن بنوك الحليب.

وبناء على ذلك قرر:

أولاً: منع إنشاء بنوك حليب الأمهات في العالم الإسلامي.

ثانيًا: حرمة الرضاع منها. والله أعلم»[2].

لأنه تم عرض البحث الثاني، والله أعلم.

ويمكن تلخيص ما سبق في الجدول الآتي:

المرض:	وجود أطفال يحتاجون إلى الحليب البشري.
العلاج:	إنشاء بنوك للحليب البشري.
التوصيف الطبي (١):	آلـت هذه البنوك إلى القلة بسبب توفر الألبان الصناعية، مع قلة الحاجة حالياً إليها.
التوصيف الطبي (٢):	آلـت هـذه البنوك إلى القلة وهي الآن في مرحلـة الاحتضار لأسباب منها: ندرة الحاجـة إليهـا، والتكلفة العاليـة، وندرة الأمهـات المتبرعـات، وتعرض اللبن للفسـاد مـع الزمن رغم حفظـه فيهـا، ولأنه معرضـ للإصابـة بالميكروبات، ومعرض لفقد مزاياه وفوائده.
أثر التوصيف (١):	عدم تشجيع إنشائها ولا مانع منها إذا دعت الضرورة.
أثر التوصيف (٢):	منع إنشاء بنوك الحليب وتحريم الرضاع منها.

١- وذلك في دورة انعقاد مؤتمره الثاني بجدة من ١٠-١٦ ربيع الآخر ١٤٠٦هـ، / ٢٢-٢٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٥م.

٢- قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي (ص١٦-١٧).

الخاتمة

بعـد هذه الجولة القصيرة والومضات السريعة، في هذا الموضوع الشّيّق والمسائل المثيرة، نصل بفضل الله تعالى وحده إلى نهاية المطاف وخاتمة التطواف، لأذكر للقارئ الكريم أهم ما تم بحثه والتوصل إليه في النقاط التالية:

١- توصيف الطبيب الـدواء للمريض وطريقة الاستعمال يسبقه: وصف للمرض، ووصف للدواء أو للعلاج، ووصف لطريقة عمل الدواء أو العلاج، ووصفٌ لمآل استخدام الدواء أو العلاج.

٢- وإذا وقع خطأ في أحد هذه التوصيفات، فالخطأ بطبيعة الحال راجحٌ وقوعه في وصف العلاج المناسب للمرض.

٣- وإذا كانـت هذه التوصيفـات صحيحة ودقيقة، كان وصف العلاج صحيحاً بإذن الله تعالى، من هنـا ندرك أن توصيـف الطبيب أبعد من مجرد وصفة طبية يأخذها المريض ليصرفها ويسير على طريقتها، بل يسبق ذلك عدة توصيفات مهمة.

٤- توصيف الطبيب له أهمية كبرى لتعلقه ببدن وصحة الإنسان.

٥- لتوصيـف الطبيـب أهمية بالغـة بالنسبـة للمريض وذويه، وفـي القضاء، وفـي إعطاء الحكم الشرعي.

٦- الاعتماد على قول الأطباء أمر مشروع قد جاءت أدلة متعددة تدل عليه.

٧- ينبغـي أن تتوفـر فـي توصيفات الطبيب عـدة صفات من أهمهـا: العلم، والصـدق، والإتقان، والحفاظ على أسرار وعورات المرضى، والواقعية، والدقة والتفصيل، والتوثيق فيما يحتاج إلى ذلك، والعدل والإنصاف بعدم إغفال المعطيات التي قد تدل لغير ما يراه.

٨- مـن المسائـل التي توضّح أثـر التوصيف للمرضـ أو للواقعة الطبية في الحكـم الشرعي، هي مسألة: «الموت الدماغي»:

أ- فمـن الأطبـاء من يصفـة بأنه موت قطعـاً، وعليه يحكم الفقيـه بالموت من الجهـة الشرعية، وتترتب عليه جميع أحكام الموت من الإرث وعدة الموت وسائر أحكام الموت.

ب- ومنهـم من يصفه بأنه غير قطعي، وعليه فلا يحكـم الفقيه بالموت، ولا تنطبق أحكام الموت حتى تُنزع الأجهزة ويتوقف قلبه ورئتيه عن العمل.

٩- ومـن المسائل التي توضّح أثر توصيف الدواء أو العلاج في الحكم الشرعي مسألة: «نقل الغدد التناسلية»، للعقيم بسبب خلل في الغدة التناسلية:

أ- فمن وُصف له أن الغدة التناسلية تحتوي على الخلايا الجنسية للمتبرع، فإذا نقلت هذه الأعضاء

لشخص آخر فإنه تنتقل معها الخلايا الجنسية لصحابها المتبرع، فإنه يحرم نقل الخصية أو المبيض إلى شخص آخر قطعاً.

ب- ومن وُصف له أن الغدة التناسلية يمكن تفريغها من الخلايا الجنسية، ومن ثمّ تتكون خلايا جنسية تعود للشخص المنقولة إليه الغدة التناسلية، فإنه لا يحرم نقل الخصية أو المبيض من حيث المبدأ إلى شخص آخر.

١٠- و من المسائل التي توضّح أثر توصيف طريقة العلاج في الحكم الشرعي مسألة: «استخدام اللولب لمنع الحمل»:

أ- فمن وصف له اللولب بأنه يقوم بمنع الحيوانات المنوية من تلقيح البييضة، سيعطي الحكم الشرعي بناء على مسألة حكم عزل الرجل عن زوجته.

ب- ومن وُصف له بأنه يمنع البييضة الملقحة من العلوق في الرحم، فسيعطي الحكم الشرعي بناء على مسألة حكم الإجهاض قبل العلوق.

ت- أما من وُصف له بأنه يمنع البييضة الملقحة المنغرسة في الرحم من البقاء في الرحم، فإنه سيعطي الحكم الشرعي بناء على مسألة حكم الإجهاض بعد العلوق.

١١- ومن المسائل التي توضّح أثر توصيف المآل مسألة: «إنشاء بنوك الحليب»، فبحسب نوع الوصف سيكون الحكم كما سبق، إما بعدم التشجيع، أو بالقطع بالمنع.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

أ.م.د. سحر قدوري
مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية
الجامعة المستنصرية

توظيف تكنولوجيا المعلومات في ادارة المخاطر البيئية : دراسة تقويمية في الشركة العامة لصناعة الزيوت النباتية (مصنع الرشيد)

المستخلص

ادارة المخاطـر البيئية شغلت اهتمام العديد من الباحثين من حقول معرفية مختلفة. وعّدت هذه الادارة مـن قبـل الأعمال ليست مهمـة فحسب في مجتمع اليـوم بل تمثل تحدياً امـام المنظمات المختلفة. ومنحت عملية تحويل الاعتبارات البيئية الى فرص جديدة امام الاعمال الى اعتبار ادارة المخاطـر البيئية عنصـراً اساسياً في تحقيق التطور والنمو المستمر للـدول الصناعية والنامية. ويعد عنصر الحصول على المعلومات البيئية الجيدة من متطلبات تحسين ادارة المخاطر البيئية.

يرمي البحث الحالي الى وصف كيف يمكن لتقنية المعلومات ان توَظف في ادارة المخاطر البيئية؟

وفـي ضوء الاجابة على تساؤلات البحث، اتضـح انَّ الانشطة البيئية تظهر معلومات عالية النوعية وهي بدورها تركز على كيفية تحسين الواقع البيئي او الحد من المخاطر البيئية ،لكن الواقع البيئي اظهر مستوى توافر المعلومات البيئية متبايناً وعدم وضوح لسياسات ادارة المخاطر البيئية.

يشتمـل البحـث على جانبين: الاول، الجانب النظري وتم تغطيتـه من خلال الاطلاع على ما تيسر للباحثـة من مصادر ومراجع علمية حديثة. والجانـب الثاني ،هو التطبيقي وتم جمع معلوماته من الشركـة العامـة لصناعة الزيوت النباتية بعدها مجال البحث .وقـد اسفرت النتائج عن مجموعة من التوصيات ومنها:

- يتعيـن علـى القيـادة الادارية ان تكـون مدركة لما تنطـوي عليه الاعمال مـن مخاطر بيئية وعليهـا ان تقرر التغييـر في الانتاج والعمليات التصنيعية من اجـل المواكبة مع النظم الحديثة

واستحداث عمليات بيئية للحد من المخاطر وتقييم الاثار البيئية .

- لتغطية متطلبات ادارة المخاطر البيئية فرضت الضرورة توافر قاعدة معلومات بيئية تتلائم مع انشطة الشركة المبحوثة وان هذه االمهمة تقع على عاتق ادارة المخاطر.

Abstract

Risks Environmental Management engage an increasing number of persons from different fields .The management and safeguarding of our environment by business not only an important issue in today's society ,but also a challenge for the different enterprises to turn environmental concerns into new business opportunities .In this respect ,Risks Environmental Management is key element in achieving developing countries .Better access to good quality information and Environmental data is prerequisite for improved Risks Environmental Management .

This research aims to describe how information technology can be used in Risks Environmental Management ?

Through the answers based on the questions that research in Environmental activities produces high quality data and information .It focuses on how to improve the distribution and retrieval of such information ,but the environmental practice ,availability varies and unclear environmental policies for acc

The research has consists of two sides ,one is theoretical we collected it information form the new books resources .The second side ,is practical and the information about it is collected form the general company of vegetable oils industry .

The finding led to a number of recommendations same of them were :-

- The managerial leadership will have to be increasingly aware of the implications of environmental legislation on their business ,they will have to decide on product and process changes to comply with new regulation ,introduce environmental audits and impact assessment .
- A reach engine and database with all the relevant environmental information from the company ,and this activity must be do by the environmental risks management .

المقدمة

تعـد حماية البيئة والمحافظة عليها مـن المخاطر البيئية من قبل المنظمات الصناعية ليس امراً مهماً في مجتمع اليوم فحسب، بل تمثل تحدياً امام مختلف المنظمات في أمكان تحويل الاعتبارات البيئيـة والالتـزام بها الى فرص جديدة للمنافسة ،وفي هذا الصـدد عدت ادارة المخاطر البيئية عنصراً اساسياً في تحقيق النمو والتطور للمنظمات. واصبح يتعين على المدراء ان يكونوا مدركين او اكثـر وعيـاً لما تنطوي عليه التشريعات والمحددات البيئية من اثر على الاعمال والمشاريع ،وما تفرضـه من اجراءات يجـب اتخاذها تشمل التغيير في الانتاج والعمليـات التصنيعية تمكنهم من المواكبـة او الامتثال للنظم والتوجيهـات البيئية الجديدة، فضلاً عن ضـرورة استحداث فحوص بيئية قادرة على استيفاء المتطلبات البيئية في معظم الانشطة المسببة لمخاطر التلوث والمبادرة السريعة للتعرف والبحث عن المنافع البيئية ومواجهة التهديدات .

ان الاهتمـام بادارة المخاطر البيئية جاء من حقول معرفية مختلفة ومتعددة وتجلى هذا الاهتمام فـي اعـداد السياسـات البيئية التـي تتسق مـع الاستراتيجيات الانمائيـة .وفي ضـوء المبادرات العالمية التي أولت اهميةً خاصة للظروف البيئية المحلية ،أعدَت الإعداد الجيد لنوعية المعلومات والبيانات البيئية من متطلبات تحسين ادارة المخاطر البيئية .ومن هنا فان تكنولوجيا المعلومات اداة قويـة لحفـظ واسترجاع وتحليل وتقييـم وتوزيع المعلومـات البيئية ،وقد اسهمـت التطورات التقنية السريعة للمعلومات والاتصالات في تسهيل الحصول على المعلومات بغض النظر عن مكان وجودهـا وزمانها .فضلاً عن تعزيز اثر المعلومات البيئية فـي القيام بالانشطة البيئية التي تشمل التخطيـط ،والتنظيم، والرقابة ،والمراجعة ،والتعليـم ،والتدريب ،والوعي ،والاتصالات ،والتقييم للمخاطر البيئية.

ان تزايـد التوغـل فـي المعلومات البيئيـة واستخدامها يـؤدي الى معرفة جيـدة وتشخيص دقيق للمخاطر البيئية، وانّ ذلك سوف يؤدي الى صنع قرارات معلوماتية جيدة ستعزز تلك النتائج ،وفي الوقـت نفسه قد تظهر مخاطر نتيجة إهمـال توافر او إتاحة المعلومات مؤدية الى مشكلات صعبة وتتطلـب صرف وقت وجهد كبيريـن لتحقيق (الموثوقية) للمعلومات الموجـودة في وسائل الخزن المتعددة .ويجب على العاملين في مجال ادارة المخاطر البيئية ان يمتلكوا وسائل / ادوات تمكنهم من إتاحة المعلومات البيئية ذات مستوى عالٍ من الجودة وبيسر وتوزيع كميات كبيرة منها بتكاليف اقل .

وازاء التحديـات التي ابرزتها ادارة المخاطر البيئيـة وتكنولوجيا المعلومات يتبادر السؤال الاتي: «كيف اذن يكون رد فعل المنظمات الصناعية العراقية اتجاهها؟»

في حين تولي الدول الصناعية هذين المتغيرين (ادارة المخاطر البيئية، وتكنولوجيا المعلومات) بعضـ الاهتمـام في برامجها .الا اننا لا نعلم الا القليل عن مبـادرات المنظمات في الدول النامية

ومنهـا العـراق في هذا المجال، فمـا زال هناك ضعف فـي بلورة صورة واضحة عـن الحاجة الى ادارة للمخاطـر البيئية في الأعمال ،وضرورة تطوير البرامـج البيئية ،ونوع الإسناد الذي تحتاجه المنظمات من أجل تبني إمكان تأهيل ادارة مخاطر بيئية كفؤة ، وتنمية قدراتها من اجل النهوض بمهماتها وبالجودة المطلوبة التي تنسجم مع نظم الجودة الشاملة للبيئة .

في ضوء ما تقدم يتصدى البحث الحالي لمشكلة جوهرية تتمثل في «كيف تحرز المنظمة الصناعية تقدماً وتحافظ وتحدُّ من مخاطرها على البيئة في الوقت نفسه ؟» وفي هذا السياق أثارت الباحثة تسـاؤلات عديـدة تتطلب الاجابة عنها .ومن هنـا تنطلق اهمية البحث في تكويـن رؤيه موضوعية واضحـة عـن إدارة المخاطـر البيئية وتدعيمهـا وتطويرها من خـلال توظيـف أدوات تكنولوجيا المعلومـات فيها ،ومن ثم التعرف على مـا جاءت به منظماتنا عن هذين المتغيرين ،ومعرفة مدى التوافق بين الواقع النظري والتطبيقي .ومن هنا فإنَّ البحث يهدف إلى تحقيق مجموعة من الاهداف منها تقديم عرض تعريفي وتقويمي لمفهوم ادارة المخاطر البيئية وتكنولوجيا المعلومات، وبلورت اهم الـدلالات النظرية والتطبيقية لهذين المتغيرين التي يمكن إعدادها للإسهام في دفع الادارة الصناعية المحلية في إدخال الاعتبارات البيئية ضمن كافة الانشطة التنظيمية ،وذلك عن طريق مراجعـة الأدب الإداري من اجل تقديم الافـكار والآراء النظرية من جهة ،ثم الوقوف على الواقع البيئي والمعلوماتي في الإطار التطبيقي العراقي من جهة أخرى ووقع الاختيار على مصنع الرشيد أحد مصانع الشركة العامة لصناعة الزيوت النباتية مجالاً للبحث لما تتمتع به هذه الصناعة من اهمية للمستهلكين او للاقتصاد المحلي على حدٍ سواء.

ولغرض تقديـم الأفكار والطروحات تم بنـاء هيكلية البحث على اساس المحـاور التالية: اختص المحور الاول، بتقديم منهجية البحث ،أما المحور الثاني فاخذ على عاتقه تقديم التاطير النظري للبحث ،ثم المحور الثالث الذي تناول تحليل وتقويم متغيري البحث ،واخيراً اختتم البحث بالمحور الرابع الذي ضم الاستنتاجات والتوصيات.

المحور الاول: منهجية البحث

مشكلة البحث

تشكلـت مشكلة البحث الأساسية وفقاً لمقتضيات الحاجة إلى بلورة مفهوم إدارة المخاطر البيئية وآليـات تطبيق تكنولوجيا المعلومـات في تنفيذها، ومحاولة الإجابة على السـؤال الرئيسي التالي الموجـه لمديـر منظمة اعمـال : «كيف تحرز المنظمـة تقدماً وتحافظ وتحد مـن مخاطرها على البيئة في الوقت نفسه ؟» ويتفرع من هذا السؤال مجموعة أسئلة أخرى فرعية هي:

- ما مدى توافر العناصر الاساسية لنظام ادارة فعال للحد من المخاطر البيئية بما لا يتناقض مع السياسات الإدارية للمنظمة ؟

- هل تمتلك منظماتنا أنموذج عملٍ إداري بيئي يعمل على تعزيز ثقة المنتجين بالحاجة الى توافر الخبرات في هذا المجال؟

- ما مدى الالتزام بالمتطلبات البيئية لدى المنظمة الصناعية المبحوثة ؟

- كيـف يمكـن لتكنولوجيا المعلومات ان تقدم خيارات أوسع نطاقـاً من اجل تحقيق ادارة مخاطر بيئية كفوءة ؟

- مـا طبيعة التأثيـرات المحتملة لاستخـدام تكنولوجيـا المعلومات الحديثة فـي ادارة المخاطر البيئية في المنظمة المبحوثة ؟

اهداف البحث

يهـدف هـذا البحث الى بناء إطـار شامل حول الوضع الحالـي لادارة المخاطر البيئية في مصنع الرشيـد وسيكون هذا الإطار نقطة الاتطلاق نحو بحث امكان توظيف ادوات تكنولوجيا المعلومات والاتصـالات في ادارة المخاطـر البيئية .وفي ضوء مشكلة البحث تم تحديد الاهداف التالية التي يسعى البحث الى تحقيقها :

١- تقديـم عرض تعريفي وتقويمـي لمفهـوم ادارة المخاطـر البيئية فـي الواقع النظـري وبيئة المنظمات الصناعية العراقية.

٢- تحديد نقاط الضعف التي تعاني منها ادارة المخاطر البيئية في المصنع المبحوث والمشكلات التي تواجهه على الصعيد المحلي.

٣- معرفة الخيارات التي تقدمها تكنولوجيا المعلومات وسياسة تطوير هذه الخيارات في مواجهة المخاطر البيئية.

٤- بلـورة اهم الدلالات النظرية والتطبيقية لمتغيري البحث التي يمكن اعدادها للاسهام في دفع الإدارة الصناعيـة المحليـة في ادخال الاعتبـارات البيئية ضمن وظائـف الانتاج في الانشطة كافة.

اهمية البحث

تتسابـق المجتمعات في وضع خطط تنموية تهـدف الى النهوض بالبنية الاقتصادية والاجتماعية. إلا أنَّ النمو السريع وغير المتوازن غالباً ما يؤدي الى مخاطر بيئية تاركة آثاراً سلبية على المجتمع نتيجة الزيادة المتنامية لاستنزاف الموارد، وانواع التلوث في خضم الاستمرار في اقامة المشاريع التنموية وتأثير ذلك على صحة ونوعية الحياة. وفي ضوء ذلك حظي مفهوم ادارة المخاطر البيئية باهتمـام المختصين والدارسين في مختلف المجالات وأخـذت تظهر منظمات عالمية تأخذ على عاتقها وضع استراتيجيات تشمل نشر الوعي البيئي للإقلال من المخاطر البيئية من خلال برامج ومشاريع وخطط.

ان إدارة المخاطـر البيئيـة تقتـرح أنّه يكون مـن المناسب إعادة تنظيم المنظمـات بحيث تعكس الاولويـات البيئيـة، وهـذا مـن شأنـه أن يمنح الجهـة المسؤولـة عن البيئـة في الجهـاز الاداري والتنظيمـي للدولة عامة وفـي المنظمة خاصة مزيداً مـن السلطة لإعادة توجيـه السياسات التي تؤدي الى التعارض او التدهور البيئي فضلاً عن توظيف التقنيات الحديثة للمعلومات.

مجتمع البحث

اختيـر مصنـع الرشيد أكبر مصانع الشركـة العامة لصناعة الزيوت النباتيـة في بغداد واقدمها وهـو أول مصنـع والوحيد في القطر يقوم بانتاج الزيـوت السائلة مجالاً للبحث .ومن مبررات هذا الاختيـار هو سعـي المصنع نحو ايجاد الفرص التي تؤهله لاعتمـاد ادارة للمخاطر البيئية .كذلك يستأثـر قطاع الصناعـات الغذائية عموماً وصناعة الزيوت النباتيـة خصوصاً بعناية متزايدة في العقود الاخيرة لاسباب متعددة من ابرزها ارتفاع مستويات المعيشة وازدياد تعداد السكان والطلب المصاحـب لذلك على الزيوت النباتية، فضلاً عن نشوء استخدامات جديدة للزيوت النباتية منذ المرحلـة الاولـى لتصنيعه ولغاية المرحلة الاخيـرة. وقد شهدت هذه الصناعة تطـوراً تكنولوجياً ملموساً ونجم قسط كبير منه على فهم أعمق للمخاطر البيئية المصاحبة للعمليات الإنتاجية التي تمـر بها مكونات هذه الصناعة ابتداءاً من مصادر المواد الاولية ومروراً بالمراحل المختلفة التي تسبـق الاستهلاك.بدأت شركة استخراج الزيوت النباتية -مصنـع الرشيد حالياً- عام (١٩٤٠) وينتـج الزيوت بنوعيها الصلبة والسائلة ،والصوابيـن بنوعيها التواليت والغسيل ،والمنظفات ،مع انتاج العبوات والفوارغ الخاصة بها.

طرائق جمع البيانات

تمـت دراسـة متغيري البحث (ادارة المخاطـر البيئية وتكنولوجيا المعلومـات) من خلال اعتماد طرائق متعددة سعت الباحثة من خلالها الى بناء البنى التحتية لهما وتم اعتماد الطرائق الاتية :

- الجانـب النظـري : فقد تم بناؤه عن طريق جمـع البيانات والمعلومات المنشـورة في المؤلفات والابحاث العربية والاجنبية .
- الجانـب التطبيقي : المعـروف ان لطبيعة موضوع البحث اثراً كبيراً ومؤثـراً في اختيار طريقة دراستـه فـي الواقـع التطبيقي ،وعليـه فان ما تـم طرحه في الجانـب النظري ليكـون الركيزة الاساسيـة المعتمدة فـي دراسة الحالة لمصنـع الرشيد وقد تم استخـدام ادوات متعددة منها المقابلـة ،والملاحظـة المتعمقـة ،والمعايشة الميدانيـة ،والتقارير البيئيـة ،وتقارير وسجلات السلامة الصناعية.

المحور الثاني: ادارة المخاطر البيئية وتكنولوجيا المعلومات

تأطير نظري

اولاً : المخاطر البيئية

١. ١. الاطار العام للخطر

تمتد التفاعلات بين النشاط الصناعي والبيئة الطبيعية والاجتماعية عبر طيف فسيح من المراحل يبدأ عند استخراج الخامات والمواد الاولية المستخدمة في الصناعة ثم معالجتها بالشكل الملائم لتكـون مدخلات للعمليـة الصناعية ثم عمليات التصنيع نفسها بـكل تنوعاتها واشكالها ومعداتها لانتاج سلعة او توفير خدمة ثم استخدام السلع والخدمات وحتى لفظها كمخلفات بعد انقضاء دورة حياتهـا .وفـي كل واحدة من هذه السلسلة من الانشطة يلفـظ كل منها الى البيئة المحيطة كميات متفاوتة في الحجم والنوع والصفات والآثار من الغازات والسوائل والمواد الصلبة الخطرة[١].

يعـد الخطر من الظواهر المعقدة والمحيرة، لـذا يصعب اعتماد مفهوم محدد وموحد متفق عليه مـن قبـل الباحثين لتفسيره والوقوف على ابعاده مما حـدا بالباحثين الى تبني عدد من التوجهات الفكريـة عبر دراساتهـم لهذه الظاهرة. فهناك من يحصر الخطر بانـه «عدم التأكد الموضوعي الذي يحدث عندما يكون هناك حدث غير مرغوب فيه»[٢]. بمعنى آخر هو عدم التأكد الذي يسبب خسارة.وهنـاك دراسات اتخذت من نتائج الحدث مجالاً لوصف مفهوم الخطر والاهتمام به .فقد وصف الخطر بانه«الاختلاف او التباين في النتائج الممكنه في الطبيعة او في موقف معين»[٣].

ان المخاطر كان منظوراً اليها على انها من قبيل ما يحتمل وقوعه بصورة منتظرة او غير منتظرة .لذلك كان التحوط لها قابلاً للتخطيط ان صح التعبير اذ هي موضوع حماية مطلوبة .لقد تم رصد مخاطـر قطاعات كثيرة من الحياة الاجتماعية مـن زوايا مختلفة:اجتماعية وثقافية واقتصادية.. الـخ لكن ابـرز المخاطـر التي تم تحليلهـا بعمق كانـت المخاطر البيئيـة المتأتية مـن التحولات التكنولوجيـة. فالمجتمعات الغربية بعد ان بنت حداثتها وصاغـت المفاهيم والقيم المرتبطة بها ومنهـا التقـدم اصبحت تعيش مخاطر البيئـة الناتجة عنها وانها لمفارقـة ان التقدم الذي يواجه المخاطر يقوم بانتاج مخاطر اخرى[٤].

١- نيكل، كريسبن، «الخطر البشري»،مجلة العالم والبيئة، ع الثالث، مج ٧ ،١٩٩٦، ص ٩-١١

٢- حسن، عائدة عبدالحسين ،«علاقة ادراك الخطر بالمتغيرات التنظيمية واثرها في اداء المنظمة :دراسة ميدانية في عينه من الشركات النفطية العراقية»، اطروحة دكتوراه في ادارة الاعمال ، كلية الادارة والاقتصاد ،الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٦ ص١٦.

3- Dolan,Alf M.,"Risk Management and medical device",ISO Bulletin,Julym,337,2002/,P:54.

4- Paul Makin,"Applying the principles of risk management to the supply and use of machines",ISO. Bulletin,Junuary,331,2001/ ,P:66.

١ . ٢. مفهوم ادارة المخاطر البيئية ومهامها

بالرغـم مـن ان ادارة المخاطـر البيئية بمفهومها الحديـث من الموضوعات الحديثـة نسبياً بين موضوعـات وفروع الادارة الا ان ادراك المخاطر وماتمثله مـن قيد على النمو الاقتصادي وتامين مواجهتهـا وتغطية خسائرها ليست مسألة حديثة وانما هو ادراك قديم قدم علم الادارة نفسه[١].

شهـدت ادارة المخاطر تطـوراً مفهومياً مهماً ،حصل منذ دراسات (هنري فايول) عام ١٩١٦ عن دور الادارة الآمنـه واهدافهـا في حماية ممتلـكات المنظمة البشرية والمادية مـن الحوادث التي تهـدد تقدم المنظمة ومصير اعمالهـا .وهذا المنظور اعاد البحث فيه الباحـث نفسه ليعد ادارة المخاطر جزءاً من الوظائف الاساسية في المنظمة والموازية للوظائف الادارية والفنية والتجارية فيهـا وتمثل هذه المساهمات بدايـة الاهتمام بهذا النشاط الذي يهدف الى تفهم طبيعة المخاطر التـي تتعرض لها المنظمات لكي تحدد مـا يجب عمله ازاءها واتخاذ التدابير لمواجهتها وتخفيف حدتها واثارها[٢].

وخـلال العقـد الاخير مـن القرن العشرين طـرأ توسع تدريجـي على موضوع هو جـزء من ادارة المخاطـر عامـة الا وهـو ادارة المخاطـر البيئية الـذي كان محـدوداً بنواتجه حيـث اتخذ هيئة استراتيجيـة عن «كيفية تسجيل ومعالجـة المخاطر الملوثة للبيئة» بمعنى اخر ،ان ادارة المخاطر البيئيـة تعنـى بوضع الخطط والسياسات البيئية من اجل رصد وتقييـم المخاطر البيئية للمشروع الصناعـي على ان تتضمن جميع المراحل الانتاجية بدءاً مـن الحصول على المواد الاولية وصولاً الـى المنتج النهائي والجوانب البيئية المتعلقـة به[٣].وتعرف ادارة المخاطر البيئية بنفس الاتجاه علـى انها «العملية المسؤولة عن تسجيل ومعالجة المخاطر الملوثة ،وتستند على عدة عوامل منها القانونية والسياسيـة والاقتصادية والاخلاقية»[٤].اما اهم المهام التي تنهض بها ادارة المخاطر البيئية فيمكن حصرها بالاتي :[٥]

١- تحليل المخاطر : هذا النوع من التحليل يتضمن استخدام بعض التقنيات الفنية والادارية التي تسهـم في تشخيـص العوامل المساهمة في حـدوث المخاطر .فعلى سبيـل المثال المعلومات الفنية لها دور كبير وضرورة ملحة في تحليل المخاطر الهندسية والفنية التي قد تصيب البيئة بالضـرر وخصوصـاً في المنظمـات الكبيرة لتعدد العمليـات الانتاجيـة والمنتجات والخطط

1- Fischhoff, Baruch,«Ranking risks»,www.pic.edu/risk/vol.7/Summer/ Fischhoff htm-k,P:13.

٢- الخولي ،اسامه ،«البيئة وقضايا التنمية والتصنيع»،الكويت ،مطابع السياسة ،٢٠٠٢ ،ص ٢٠٧.

3- Simon,Mark,Houghton,Susan M.& Aquina,Karl,«Cognitive bases risk perception and venture formation .How individual decide to startformation companies»,www.robinson .gsu.edu/rec/papers/ paper 4-doc,2002,P:4.

4- Jemison,David B.,«Risk and relationship among Strategy Organizational process and performance», Management Science ,N.33,Vol.9 ,1998 ,P:213 .

٥- سالم ،عبد الرحمن ،« ماذا تعرف عن المخاطر البيئية ؟»، مجلة البيئة والمجتمع ،ع٦١،٢٠٠٠ ،ص ٢١.

الانتاجية وحتى مواقع العمل مما يجعل خسائر خطر معين غير منظورة .

٢- خيـارات السيطرة على المخاطر: تتضمن تحديد طرق السيطرة على المخاطر ويتم ذلك من خـلال اعتماد مؤشرات تساهم فـي الاستعداد والتهيئة لمواجهة المخاطـر ،اذ تقدم خيارات السيطـرة طرقـاً قانونيـة لتخفيض وتحليل وتقويـم المخاطر .وفـي ضوء نتائـج التحليل يتم تخصيصـ الكلف المباشرة وغيـر المباشرة والموارد المطلوبة أي اعتمـاد ميزانية للمخاطر ضمـن ميزانية المنظمة العامة .وفي منظمات اخرى اقـل مستوى بالاهتمام بذلك الامر تقوم باعتمـاد مجموعة من الاجراءات للسيطرة والمتابعة وهذه تعطـي اطار عقلاني يتم بواسطته وصـف المخاطر علـى اساس معرفي فيكون تحليـل المخاطر عملية موجهـة علمياً تتكامل مع الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية لوضع سياسات قرار المواجهة والتنفيذ.

٣- قرار التنظيم: وهي مهمة التنفيذ فتعمل المنظمة من خلال انشطة ادارة المخاطر على التأثير فـي تدنية فرصة حدوث الخسائر او تخفيض شدتها .ولابد من الاشارة الى ان ادارة المخاطر عمومـاً تبحث فـي جميع المواقف التي تتضمـن حدوث الخسائر فيهـا ولا تقف عند المخاطر البيئيـة. كمـا ان الترابط بين هـذه المهام يشكل اطـاراً شاملاً ومتكامـلاً لمعالجة المخاطر البيئية في عموم المنظمة[١].

٢. ٢. اهمية ادارة المخاطر البيئية

نعـرف حـق المعرفة ان التحديات البيئية التـي يعيشها عالمنا الحديث تتجـاوز بكثير مسألة بقاء نوع من الانواع في الطبيعة دون تأثر ،فالاضرار الناجمة عن التصحر ،والتلوث على انواعه ،وتغير المنـاخ العالمـي ،وعدم الاستقرار الاجتماعـي ،والحروب تؤثر كثيراً في نوعيـة حياة الناس .اننا نواجـه تحديات هائلة ويتطلب الامر في سياق هذه المواجهة ان يتم التعامل مع الاعتبارات البيئية بالاحتـرام الذي تستحقـه ومع وجود تكنولوجيـا المعلومات اصبحت الظـروف مؤاتيه للنجاح في تنفيـذ سياسات متكاملـة لادارة البيئة ،لهذا يجب ان نعمم الوعي العميـق للبيئة ويجب ان يصبح انهماك المجتمعات المحلية الفاعل في ادارة بيئتها شاناً يومياً[٢].

ان المهـم أن نشيـر إلـى ضـرورة الاهتمـام بالشق الوقائـي الذي يغيـب عن تفكيـر الادارة وفي استراتيجيـات المنظمـات الحاليـة وفـق مـا اتفقـت عليـه نتائـج دراسات سابقـة عديـدة .إنّ الاستراتيجيـات فـي معظمها بوضعها الراهن تفتقـر إلى المضامين البيئية ،كمـا أنها تركز على الحقائـق العلمية المجـردة دون ربطها بالواقع المحلـي ومخاطره البيئية.ومن هنـا نؤكد على أن الاهتمـام بالشق الوقائي قد يكون السبيل لتلافي العديد من المخاطر والأمراض[٣]. ومع التسليم

1- Rosenbloom,Jerry S.," A case study in Risk Management ",prentice-Hill,INC,1997,P:148.

٢- «المعايير البيئية والقدرة التنافسية للقطاعات الاقتصادية الرئيسية»، الامم المتحدة ،نيويورك ،٢٠٠٥ ،ص٩.

3- Starr ,Channcey, «Social Benefit versus Technological risk», Mc Graw-Hill, 1996, P:165 .

بـأن الوعي بالمخاطر البيئيـة مسؤولية مشتركة بين المنظمة والمؤسسـات الأخرى في المجتمع، وباعتبـار أن تنميـة ذلـك الوعي للأفـراد والجماعات يمثل خطـوة محورية لازمـة للحصول على معلومـات اكثر عمقاً عن المشكلات البيئية وما تسببه من مخاطر وأضرار؛ فإن خطط المنظمات تتعاظـم مسؤوليتهـا في القيام بدور اكثـر فعالية في تحقيق ذلك الوعي مـن منطلق ارتباط ادارة المخاطـر بكثير من القضايا البيئية وما حظيت به مؤخراً تلك القضايا من اهتمام واسع .كل هذا يفرضـ على المنظمات أن تركز اهتمام العاملين على تلـك القضايا التي أصبحت شديدة التأثير على حياة الإنسان والإخلال باتزان البيئة وتهديد مكوناتها وعناصرها[١].

١ . ٣. انواع المخاطر البيئية

لعل النشاط الصناعي هو اكثر الانشطة البشرية حساسية في آثاره على البيئة الطبيعية والاجتماعية .وهناك قيود ثلاثة رئيسية تفرضها البيئة على اي نشاط انساني يقتضي الامر تاكيدها وهي :[٢]

١) حسن استغلال الموارد غير المتجددة لتحقيق اكبر فائدة ممكنة من استهلاك رصيد البشرية منها (الاقتصاد وترشيد الاستهلاك من المواد والطاقة).

٢) عدم تجاوز قدرة الموارد المتجددة على تجديد نفسها حتى لا تفنى .

٣) عدم تجاوز قدرة البيئة على هضم ما نلفظه اليها من النفايات بانواعها (التلوث الشديد للهواء والماء والتربة).

توجد المخاطر البيئية على شكلين ،الاول المخاطر البيئية الطبيعية القصيرة المدى كالاعصارات والزلازل والفيضانات .والشكل الثاني هي المخاطر البيئية الكبرى مثل الحوادث الصناعية وحرق ابـار النفط كمـا تشمل المخاطر غيـر المقصودة لنشاطـات بشرية مثل بنـاء السدود[٣].وهناك تصنيـف وضعته (EPA) الامريكية في تحليل المخاطر على اساس نوعيين اساسيين: الاول يركز علـى مخاطر الصحـة البشرية ،والنـوع الثاني يركز علـى المخاطر البيئيـة (الطبيعية) وتخص النباتات والحيوانات والنظم البيئية[٤].

ففيمـا يخص المخاطر البيئية يمكن شرحها من خلال الشكل (١) بصورة مبسطة تبدأ بالخطوة الاولـى وهـي صياغة المشكلة ويتـم تحديدها من جهات عـدة منه اصحاب الاهتمـام والمصالح والعلمـاء والمهتمين وجميعهـم ينطلقوا من نقطة وهي تحديد المسبـب الرئيسي للضرر او التلف

1- Dickson ,G.C. ,«Corporate Risk Management»,Witherby &sons Co.,Ltd.,London ,1998 ,P:88

2- Steiner, George A. & Steiner, John F., «Business Government and Society A managerial perspective», McGraw-Hill Com.INC.,2003,P:52.

٣- العامري، عباس علي ظاهر، «قياس اتجاهات الخطر للمديرين العراقيين: دراسة ميدانية في القطاع الصناعي العراقي»، رسالة ماجستير في ادارة الاعمال، كلية الادارة والاقتصاد ،جامعة بغداد ،١٩٩٣ ،ص٥٥.

٤- عزيز ،فؤاد عبدالله، «نظرية الخطر: ادارة الخطر والتامين»، مجلة التامين العربي، ع٣٦ ،١٩٩٩، ص٤٠.

الـذي يصيب النظام البيئي والـذي اغلب الاحيان يحصل بسبب النشاطـات البشرية الملوثة .ثم تاتي الخطوة الثانية وهي التحليل التي تركز على دراسة كل الضغوط التي تدخل على البيئة ،وكيف يمكـن تشتيتها ،ونقلها لجعلهـا بصيغة قادرة على التعامل معها وفـق الاساليب البايولوجية .وبعد دراسـة كيفية توظيف الافكار التي يقدمها العلماء وتجريبها لتحديد الضرر او الخطر البيئي تاتي الخطـوة التي تاخـذ على عاتقها تشخيص اهـم الخصائص لكل نوع من انـواع المخاطر التي تم تسجيلهـا وتحليلهـا ،واخيراً تاتي الخطـوة التي يتم فيها بلورة مهمـة ادارة المخاطر البيئية حيث تعمـل على توصيف لكل المخاطـر المسجلة، ومناقشة كل الخيارات المقابلـة لمعالجتها ،وتفسير درجـة الثقـة بتقديرات المخاطـر المحتملة والبعيدة .هـذه الصورة هي الاساسـ للقرارات التي تضعها الجهات التي تعتمد ادارة لمخاطرها البيئية[١].

صياغة المشكلة	
التحليل	
تشخيص المخاطر البيئية	تعريف وتثبيت العوامل المؤدية للمخاطر البيئية
خصائص المخاطر البيئية	
ادارة المخاطر البيئية	

شكل (١) : تحليل المخاطر البيئية

Source :Steiner & Steiner,2000,P:532

ثانياً: تكنولوجيا المعلومات

٢. ١. مفهوم تكنولوجيا المعلومات

ان المعلومـات هي السبيل لزيادة الوعـي بطائفة الخيارات المتاحة ،فضـلاً عن انها تجعل الفرد يمتلـك القـدرة على ان يقرُّ مـا يكون افضل الخيـارات ،ولكـون المعلومات تمثل عصبـاً هاماً في المجتمعـات الحديثة فتقنياتها غيرت طبيعة النشـاط الاقتصادي ،ووتيرته وانها اوجدت منتجات واسواقـاً ومؤسسات وقيماً جديـدة ،علماً انه لمدة وجيزة كان تـداول المعلومات ومعالجتها حكراً علـى العقل البشري لان ذلـك يتطلب جهداً ذهنياً لتصنيفها وتنسيقها والانتقاء منها ثم نقلها الى الجهـة المستفيـدة[٢]. ومما لاشك فيه ان للابـداع التقني دوراً مهماً للتقـدم البشري فمن خلال التطـورات ابتكر الانسـان أدوات لتحسين مختلف مجالات الحياة ،وقد حـدث تداخل في تحولات اليـوم لتكنولوجيـا المعلومات مع تحول اخـر للاتصالات ومعاً يخلقان انموذجـاً جديداً هو عصر

1- Bannister ,Jim ,«Practical Guides :How to Manage Risk», London ,1999, P: 68 .

٢- عبد الهادي، محمد فتحي، «المعلومات وتكنولوجيا المعلومات على قرن جديد»، القاهرة، مكتبة الدار العربيه للكتاب، ٢٠٠٠، ص١٢٠.

الشبكات[١].

وقد ادى التقدم التقني المذهل في تكنولوجيا المعلومات الى طلب متنام على ضرورة تأطيرها من قبل الباحثين والدراسين وهو ما حولها الى مجال خصب للدراسة والتحليل وعليه هناك تعريفات متعددة لتكنولوجيا المعلومات لكن الجوهر واحد .فقد عرفت بانها «الحصول على المعلومات الصوتية والمصورة والرقمية والتي هي بشكل نص مدون وتجهيزها او اختزانها او بثها وذلك باستخدام توليفة من المعدات الالكترونية»[٢]. وعرفت ايضاً بانها «تضم كل التقنيات المتطورة التي تستخدم في تحويل البيانات بمختلف اشكالها الى معلومات تستخدم من قبل المستفيد منها في كافة مجالات الحياة»[٣].

من خلال التعريفات لتكنولوجيا المعلومات اعلاه تضع الباحثة مفهوماً تراه شاملاً لتكنولوجيا المعلومات وهو انها المصطلح المعبر عن امتزاج نتائج وخلاصات ثلاث ثورات وهي :ثورة المعلومات ،وثورة وسائط الاتصال وثورة الحواسيب الالكترونية وجوهر ذلك الامتزاج هو تخزين المعلومات بشكل منظم ومنسق يسهل عملية استرجاعها بوساطة اي مستخدم وتوصيلها للمهتمين ومتخذي القرارات في اسرع وقت وباقل جهد .

مع دخول المنظمات مرحلة عمل جديدة تجسد الرؤيه المستقبلية ومع تزامن ذلك لمتغيرات وتحديات يواجهها العمل الاداري بشكل عام فقد ادركت الادارات العليا للمنظمات بان التنظيم المعمول به خلال السنوات الماضية وبالرغم من صياغته سجلاً ناجحاً في تاريخها في تلك المرحلة الزمنية فقد اصبح الان وبفضل تكنولوجيا المعلومات التي اوجدت مجالات جديدة غير قادر بسماته وخصائصه على مواجهة التحديات المرتقبة وان كان ذلك التنظيم ومنذ البداية قد اعتمد التخطيط الاستراتيجي الدائم[٤].

٢. ٢. فوائد تكنولوجيا المعلومات

ان العوامل البيئية والتنظيمية والتقنية يمكن ان تتغير بسرعة وفي بعض الاحيان بطريقة غير متوقعة. وهكذا فان المنظمات بحاجة الى الاستجابة وبشكل متكرر وسريع على المشكلات الناشئة، والفرصة الناتجة عن البيئات الجديدة لمجالات العمل. وفي معظم الحالات يمكن ان

1- united Nation,«The Application of Advanced Information and Communications Technologies in the Transport Sector in the ESCWA Region»,Economic and Social Commission for Western sia, Newyork, 2001,P:6.

2- Laudon,Kenneth C.&Laudon, Jan P.,«Essentials of Management Information Systems :Organization and Technology in the networked nterprise»,U.S.A.,prentice Hall International,INC,2001,P:34.

٣- «استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتمكين المرأة في دول الاسكوا»، الامم المتحدة، نيويورك،٢٠٠٥، ص١٣.

4- Lupton,Robert A.&Court, Birgit, «Strategic Environmental Marketing Management. Managing the Unmanageable:The role of Information Technology», Newmexico State University, 2002, P:82.

تكون ادارة المعلومات تكنولوجياً هي الحل وقلب هذه التكنولوجيا هو مستوى المعلومات[١].

يتيح مفهوم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التفاوض بين القوى الفاعلة حول المبدأ القائل: إنه مهما بدا القرار فردياً فهو قبل كل شيء احد اثار الشبكة الاجتماعية والتصورات التي تكونها القوى الفاعلة تتشكل انطلاقاً من تفاعل المعلومات المتداولة في الشبكات .ويمكن ان نجمل الفوائد المتحققة من توظيف تكنولوجيا المعلومات في انجاز الاعمال بالاتي :[٢]

١. تسريع تطوير آليات فعالة للنمو الاقتصادي: فتشجيع التنمية المستدامة يتم من خلال تحولات اليوم لتكنولوجيا المعلومات في دول العالم. ولادوات تكنولوجيا المعلومات استخدامات مهمه تتراوح بين تحسين نوعية الحياة، وزيادات ضخمه في الانتاجيه الاقتصاديه، وخفض في نفقات التبادلات والمعاملات التجاريه.

٢. تحسين اتخاذ القرارات: فغالبا ما تحسن تكنولوجيا المعلومات عمليات الأعمال وتخلق مناخاً يلبي طموحات كافة الاطراف وتجسد علاقات عمل اكثر ديناميكيه وطويله المدى مبنيه على المصلحة المشتركه وتراعي متطلبات الألفيه الثالثه التي تشهد صناعه المعلومات خلالها المزيد من المنافسه.

٣. ادارة المخاطر: حيث تعمل تكنولوجيا المعلومات على تمكين المنظمة من ادارة العديد من المخاطر المحتملة ،وخفض احتمالاتها من خلال البحث العلمي والتنظيم والقدرات التنظيمية، فحينما تكون هذه القدرات مبنية على اساس معلوماتي قوي تتمكن الدول الى حد بعيد من ضمان ان تصبح تكنولوجيا المعلومات قوة ايجابية من اجل التنمية.

٤. ادارة المستقبليات : يشغل موضوع المستقبليات حيزاً كبيراً من الجهد الفكري والانساني في عالمنا المعاصر وتتنافس الدول والمجتمعات فيما بينها من اجل ابتكار الآليات والتكنولوجيا للمعلومات التي تتيح لها افتراض الصيغ المستقبلية الاكثر قرباً من الواقع والذي سيمكنها من ايجاد موطىء قدم لها في عالم الغد وستكون هناك حاجة ماسة لاسناد دور رئيسي لتراكم المعرفة والابتكار التكنولوجي خلافاً للدور الثانوي الذي كانا يقومان به في ظروف السوق المعزولة.

٥. السيطرة على المعلومات : تحسن تكنولوجيا المعلومات الطريقة التي يمكن البحث فيها عن البيانات، وجمعها، واختيارها، وتصنيفها لزيادة سرعة تعلم المنافسين المحتملين، وقد اصبح باستطاعة تكنولوجيا المعلومات المتقدمة اليوم ان تجعل من الممكن جمع كميات هائلة من المعلومات المستقاة من اماكن شديدة الاختلاف والتباعد.

١- «الشراكة في قياس اثر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من اجل التنمية»،نشرة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات للتنمية في غربي اسيا، الامم المتحدة ،ع٣، ٢٠٠٤ ، ص ٢٧-٢٩.

٢- «نظم معلومات لتحديث عمليات المؤسسات الماليه الريفيه في الدول الاعضاء في اللجنه الاقتصاديه والاجتماعيه لغربي اسيا»،الامم المتحده، نيويورك٢٠٠٢، ص١.

ثالثاً: ادارة المخاطر البيئية وتكنولوجيا المعلومات

٣. ١. تكنولوجيا المعلومات في ادارة المخاطر البيئية

تشكل ادارة المخاطر البيئية احدى ابرز القضايا التي تواجه المنظمات في مصيرها ومصير المحيط الطبيعي المائل الى تدهور مستمر نتيجة التقدم الاقتصادي والاجتماعي الذي وضع التوازن الطبيعي في خطر لعدم الاخذ بالحسبان وبالجدية اللازمة النتائج السلبية المرتقبة من التطور غير المنظم .وقد يكون للضغوط التنظيمية والمالية تأثير على ادارة المخاطر البيئية متمثلاً في العمل على رضوخها لمتطلبات الموائمة او الاذعان بشكل ينعكس سلبياً على دمج الاعتبارات البيئية بفرص الاعمال[١].

لذلك وانطلاقاً من هذا الواقع الحديث الذي يشغل العالم برمته، يمثل استخدام تكنولوجيا المعلومات املاً مضيئاً للمعنيين بالبيئة فلا جدال ان مثل هذا الاستخدام يتيح انتفاعاً افضل للموارد، واقتصاداً في التكاليف ،فضلاً عن سرعة هائلة ودقة كبيرة في انجاز العمل .ويمكن حصر اهم الاضافات التي قدمتها تكنولوجيا المعلومات لادارة المخاطر البيئية :[٢]

١) تستخدم ادوات تكنولوجيا المعلومات في تسهيل وظائف البحث والتطوير من خلال المعالجة الدقيقة والسريعة في مراقبة المعلومات البيئية الضخمة وادارتها بشكل منظم وحيوي مما يسمح لمتخذي القرارات من تقديم قرارات رصينة وفاعلة.

٢) ان الاستخدام الصحيح لتكنولوجيا المعلومات سيمكن المدراء من ان يصبحوا اكثر قدرة على احتواء المخاطر البيئية والانسجام مع التطورات المستجدة في بيئة العمل وذلك بسبب ان الوقت الذي كان يصرف سابقاً على قضايا معالجة المخاطر اصبح يصرف بفضل تكنولوجيا المعلومات على التحليل والبحث والمقارنة والتنبؤ بالمخاطر.

٣) ان تكنولوجيا المعلومات والتقدم في الاتصالات العالمية منحت المنظمات المزيد من المرونة لغرض قيامها بصياغة استراتيجياتها لادارة المخاطر البيئية العالمية ،فضلاً عن مستوياتها التنظيمية وان احد الاسباب هو ان متطلبات ادارة المخاطر قد اصبحت اكثر ديناميكية وسرعة.

٤) ان تكنولوجيا المعلومات يمكن ان تدمج او تؤثر على برامج الحماية من المخاطر البيئية من خلال التأثير على عواملها الاساسية وهي التخطيط والتنظيم، وجمع المعلومات، وتقييمها، وتحليلها ثم التنفيذ.

1- Shrivastave, Paul,«Eccentric Management for A risk Society», Academy of Management Review, N.20 ,Vol. 1 ,1995 ,P:18 .

2- Davidson, Ken & Pfennigstorf ,Werner ,«Insuring Environmental Risks», Witherby &sons Co., Ltd., London ,1999 ,P:29 .

٥) تسمح تكنولوجيا المعلومات للادارة العليا ان تتفاعل مع العاملين وتخلق توجهات مشتركة، وتمكين العاملين ايضاً من ان يشاركوا في ادارة المخاطر البيئية اضافة الى المشاركة في اعداد وتنفيذ البرنامج الخاص بالرصد البيئي والاستفادة من بياناته .

٦) تعد تكنولوجيا المعلومات المسؤولة عن جمع وتبويب وتوثيق المعلومات ونشرها عن المنظمات المستهدفة بالرقابة البيئية وعن المخاطر المسجلة وعن نشاطات البرامج التنفيذية اداة مهمة تتيح ادارة المخاطر البيئية بطريقة فعالة[١].

٣. ٢. الانشطة المعلوماتية في ادارة المخاطر البيئية

العالم يعيش في عصر المعلومات وهذه الحقيقة يلمسها كل فرد يحيا احوال المجتمع الحديث السريع التغيير .ومن يمتلك المعلومات الصحيحة في الوقت المناسب يستطيع التحكم في موارد الطبيعة والسيطرة عليها والحد من المخاطر البيئية لتحقيق صالحه وصالح مجتمعه . ان ادارة المخاطر البيئية تعتمد اساساً على اربعة انشطة مترابطة لادارة معلوماتها وهي :[٢]

١- ادارة المعلومات والمعرفة : وقد كان احد الضغوط الرئيسة على المنظمات هو الكم المفرط للمعلومات ،ولغرض التعامل مع هذا الضغط برزت الحاجة الى بناء بنية اساسية مناسبة لتكنولوجيا المعلومات واستخدام مناهج فعالة لخزن الكميات الكبيرة من المعلومات والدخول اليها وتوجيهها واستخدامها بشكل مناسب .وان ادارة المعلومات اشتملت على المعرفة ايضاً لكون تكنولوجيا المعلومات هي نظم اتصالات مصممة لتسهيل المشاركة في المعرفة والبحث عنها ومراقبة الاطلاق المستمر للمعلومات والمعرفة وتسعى برامج ادارة المخاطر البيئية الى تطوير القدرة على التقييم البيئي عبر اقامة شبكات معلومات عن المخاطر البيئية ومصادرها والهدف من ذلك هو اكتشاف حاجات المنظمات ومساعدتها لتوسيع قدرات شبكاتها المعلوماتية.

٢- خزن المعلومات :لتخزين الكميات المتزايدة باستمرار من المعلومات فان المنظمات تقوم بأنشاء مخازن عملاقة للمعلومات منظمة بشكل تمكن المستخدم من الوصول اليها بسهولة وتتم مكالمة هذه المخازن المعلوماتية مع شبكة الانترنت بحيث يمكن الوصول اليها من أي موقع وفي أي وقت .

٣- تجهيز المعلومات :وتشمل عملية الاختيار، والتصنيف ،والتفسير المناسب للمعلومات المتوافرة في مخازنها .وخلال اغلب عقود القرن العشرين كانت تتم العملية بالعمل اليدوي او اذا ما تمت الاستعانة بالحاسوب فقد كان ذلك من خلال بعض برامجه البسيطة بينما التقنيات

١- «دور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تحقيق الاهداف الانمائية للالفية الثالثة»، نشرة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات للتنمية في غربي اسيا، الامم المتحدة، ع٤، ٢٠٠٥ ، ص٢٠-٢٣.

2- Doherty, Neil A., «Corporate Risk Management», Mc Graw – Hill Co. , 1997 ,P: 94 .

الحديثـة المتعلقة باستخـراج وتجهيز المعلومات تمكن حتى الافـراد ذوي المعرفة المحدودة بالقيام بهذه العملية بصورة جيدة .

٤- الاتصـالات :تعـد المفاهيم الاساسية عن الاتصـالات نقطة انطلاق ضروريـة لتحليل العديد مـن انواع تطبيقـات تكنولوجيا المعلومات .فحينمـا يكون هناك عدم تلاؤم بيـن التكنولوجيا واحتياجـات الموقف قد تعيـق الاتصالات بدلاً من ان تساعد لأنهـا ادوات مسؤولة عن توصيل المعلومـات وتوزيعهـا .وقـد جعل الاستخـدام الواسع للانترنـت العديد مـن المنظمات تطبق مفاهيـم المشاركة بالمعلومات للبرامجيات الجماعية على نطاق واسع عن طريق خلق نوع من نظم الاتصالات وهي الشبكات الداخلية والشبكات الخارجية[١]

المحور الثالث: تحليل وتقويم متغيري البحث

الجهة المسؤولة عن ادارة المخاطر البيئية

تأكـد مـن خلال الاطـلاع على الهيـكل التنظيمي لمصنـع الرشيد وجـود شعبة مختصـة بالبيئة والحوادث والمخاطر تعمل تحـت قسم التفتيش الهندسي والسلامة الصناعية (انظر الشكل ٢). امـا مهام ومسؤوليات المدير المسؤول فانها مقتصرة على التحقق من امتثال المصنع للمحددات الـواردة فـي التشريعـات واللوائح والقرارات عـن انبعاث الملوثـات ومعالجة المخلفـات ودراسة المخاطـر التي تتطلب تدخل القسم ،وبيان المعالجات التي ينبغي اتخاذها. من ناحية اخرى نجد ضعفـاً فـي تأثير هـذه الشعبة نحو تبنـي آليات وامكانيـات ادارة المخاطر البيئيـة، لا بل لا يوجد وعـي او ادراك لمفهوم هذه الادارة لا لدى الادارة العليـا ولا الدنيا بل الخطورة محصورة عندهم بالحوداث التي قد تحصل في اثناء العمل .

مدير المصنع			
شعبة البيئة	الفحص والتفتيش الهندسي	الطبابة	السلامة الصناعية

شكل (٢) :موقع ادارة المخاطر البيئية

المصدر : الهيكل التنظيمي لمصنع الرشيد

التشريعات البيئية الخاضع لها المصنع

تعـد صناعـة الزيوت النباتيـة حسب قانون حماية وتحسيـن البيئة ذو الرقـم(٣) لعام ١٩٩٧ من الصناعـات الملوثة (صنف أ) لانهـا ذات عمليات انتاجية متكاملة تبدأ مـن المواد الاولية مروراً بالمراحل التحويلية وانتهاءً بالتعبئة والتسويق مما فرض عليها وإنتهاءً محددات موقعية ومتطلبات بيئيـة الاطار (١) .زيادة على ذلك يخضع المصنع انشطته الى محددات نظام صيانة الانهار من

١- منى، عامر احمد غازي، «سبل حماية وتحسين بيئة المصانع»، ط ثانية، بغداد، مطبعة دار الحرف العربي،٢٠٠١، ص٢٥، ٣٣، ٥٦.

التلوث رقم ٢٥ لعام ١٩٦٧ والتعليمات الملحقة به الجدول (١) .

الجدول (١)

المحددات الفيزياوية والكيمياوية والبايولوجية المطلوبة للمياه المتخلفة والمصرفة الى المصادر المائية او المجاري العامة (التراكيز المذكورة ادناه محسوبة بالملغم/لتر عدا ماذكر إزاءها)

ت	المادة	ب – ١•	ب- ٢••
١	اللون		
٢	الحرارة	اقل من ٣٥	٤٥
٣	المواد العالقة	٦٠	٧٥
٤	تركيز آيون الهيدروجين	٦-٩,٥	٦-٩,٥
٥	الاوكسجين المذاب		
٦	B.O.D	اقل من ٤٠	١٠٠٠
٧	CO.D.CR	اقل من ١٠٠	
٨	السيانيد	٠,٠٥	٠,٥
٩	الفلور	٥	١٠
١٠	الكلوريدات	٦٠٠	
١١	الفينول	٠,٠١-٠,٠٥	٥-١٠
١٢	الكبريتات	٤٠٠	
١٣	النترات	٥٠	
١٤	الفوسفات	٣	
١٥	الامونيوم		
١٦	الرصاص	٠,١	٠,١
١٧	الهيدروكاربونات	٣-١٠	
١٨	الكبريتيد		٣
١٩	ثاني اوكسيد الكبريت		٧
٢٠	الكحول النفطي		غير مسموح به
٢١	كاربيد الكالسيوم		
٢٢	المذيبات العضوية		

• ب-١ : المياه المصرفة الى المصدر المائي

•• ب-٢ : المياه المصرفة الى المجاري العامة

المصدر : التشريعات االبيئية ،١٩٩٨ ،ص :٢٥-٢٨.

يتابع الامتثال للقوانين والمحددات والمتطلبات البيئية في المصنع لجان تفتيشية تقوم بعملية

التفتيش البيئي فتوجه الاهتمام للمخاطر البيئية التي يحتمل حصولها .ومن خلال الملاحظة اتضح للباحثة ان المصنع لديه جملة من نقاط الضعف منها نقص الوعي البيئي لدى جميع العاملين فيما يتعلق بالمخاطر البيئية للانشطة الانتاجية التي يقوم بها المصنع عامة ،وكذلك ان البنى التحتية للمراقبة والرصد والتفتيش البيئي وتنفيذ الالتزام والمتطلبات البيئية من قبل الجهة المسؤولة عن ادارة المخاطر البيئية هي اما متواضعة او غير كافية أبداً.

الاطار (١) : المحددات الموقعية والمتطلبات البيئية لصناعةالزيوت النباتية وفقاً للتعليمات البيئية للمشاريع الصناعية ١٩٩٠

المحددات الموقعية

١- تخصص مواقع هذه المشاريع خارج التصاميم الاساسية بمسافة لا تقل عن (٣) كم .

٢- يجب ان يتم تصريف مياه الفضلات الصناعية للمصنع بعد تصفيتها الى المصادر المائية الكبيرة او الى شبكات المجاري العامة او الى محطات الضخ او التصفية بموافقة الجهة المعنية من حيث نوعية وكمية التصريف النهائي .

٣- في حالة التصريف الصناعي بعد التصفية الى المصدر المائي يكون هذا التصريف اسفل المدينة بالنسبة الى مجرى التيار مع مراعاة حجم التصريف للمصدر المائي للمصنع .

المتطلبات البيئية

١- انشاء محطة معالجة متكاملة وذات كفاية عالية لمعالجة الفضلات السائلة بما يضمن مطابقتها لنظام صيانة الانهاروتحدد تفاصيل المحطة ونوعية المعالجة مع الدراسات الاولية للمشروع.

٢- تضاف وحدات معالجة الانبعاثات الغازية والذرات الصلبة الى الهواء بما يضمن ومطابقتها لنوعية الهواء خارج حدود المشروع مباشرة للمواصفات المحلية المعتمدة.

٣- معالجة الفضلات الصلبة وشبه الصلبة الناتجة عن العمليات الانتاجية او محطة المعالجة وتمتاز هذه الفضلات بقابليتها على التحلل العضوي وعدم سميتها المباشرة للبيئة وامكان استغلالها كمواد اولية لصناعات اخرى مفيدة ،لذا ينصح بالسعي لاعادة تجهيزها الى مؤسسات صناعية او معامل حرفية اخرى وبعكس ذلك يتم طمرها في مواقع تخصص رسمياً لهذا الغرض ووفق الطرق الاصولية المتبعة.

٣- انواع المتطلبات البيئية في المصنع

يعد نظام السيطرة والتحكم من المتطلبات البيئية الأساسية والخطوة الاولى الى تعزيز الحماية

من المخاطر البيئية .وفيما يلي مناقشة لانواع المتطلبات البيئية المستخدمة في مصنع الرشيد.

- **متطلبات معايير نوعية المحيط:** تعد معايير نوعية المحيط اهدافاً لنوعية البيئة المحيطة يمكن من خلالها وضع الحدود القصوى المسموح بوجودها للملوثات الموجودة في الماء والهواء والتربة .ويلزم ان يكون هناك اتفاق واضح على الاهداف المرجوة وتحديد معايير نوعية يقبل بها المجتمع لايجاد بيئة نوعية جيدة .ولدى مصنع الرشيد هذه المعايير ولا سيما ما يتعلق بالمياه وتركيز اقل على التربة والهواء.

- **متطلبات معايير الاداء:** يشيع استعمال هذه المعايير فيما يتصل بمتطلبات المراقبة والترخيص والتنظيم .فهي تحد من كمية او معدل تصريف المياه العادمة والملوثات من قبل المصنع قي مدة معينة .ويعد اخذ العينات والرصد هما الوسيلتين الوحيدتين لمعرفة الالتزام بمعايير الانبعاث والتصريف .

- **متطلبات ابلاغ المعلومات:** ان هذه المتطلبات تعمل على تقديم المعلومات اللازمة لمتابعة الالتزام بالتشريعات واللوائح البيئية وتقديم التقارير عن نتائج المراجعة للسلطات البيئية المعنية .اما طرق الحصول على المعلومات فيوجد لدى المصنع استمارات مصممة ومفروضة من قبل مجلس حماية وتحسين البيئة .

٤- البنى التحتية للمصنع

للموقع المكاني تأثير واضح في تحديد نوع الصناعة المزمع اقامتها ووقوع المصنع في الجزء الجنوبي الشرقي من مدينة بغداد على الضفة اليسرى لنهر دجلة له مبررات لايزال اثر بعضها ماثلاً حتى الوقت الحاضر فيما كانت مبررات اخرى محدودة الاثر على هذا الاختيار ،ومن اهم المبررات هي :

أ) الحاجة للطاقة والوقود

وتعد من اهم البنى التحتية لصناعة الزيوت النباتية فالمصنع يحتاج الى طاقة تزيد على (١٠) الاف ميغاواط سنوياً وكميات ضخمة من الوقود لتشغيل الالات الموجودة في الاقسام الانتاجية تزيد على (١٤) الف طن من النفط الاسود سنوياً وحوالي (٦٠٠٠) طن من زيت الغاز سنوياً. وهذه الحاجة الضخمة للطاقة والوقود جعلت قرار ادارة المصنع ينصب على ان يكون بجوار المصادر الرئيسية للتجهيز بها (مصفى الدوره ومحطة كهرباء جنوب بغداد في الجهة المقابلة لها).

ب) توافر المياه

تستخدم المياه في صناعة الزيوت النباتية لاغراض عدة منها دخولها في عمليات الانتاج وتمثل

نسبة استهلاك المياه فيها ما يقرب من (٢٠٪) .وعمليات التبريد وتمثل نسبتها القدر الاعظم من استهلاك المياه حيث تصل الى ما يقارب (٧٥٪) واخيراً تستخدم المياه في تنظيف الاقسام الانتاجية وتمثل نسبة استهلاكها (٥٪) من حجم الاستهلاك .

وتقدر الحاجة للمياه الى اكثر من (٩٠٠)م٣ /ساعة وهذه الكمية لا يمكن ضمان الحصول عليها الا عند وقوع المصنع على نهر كبير مثل نهر دجلة .وتطرح يومياً ايضاً كميات كبيرة من المياه العادمة كمعدل (٦٦,٥)م٣/ساعة لابد من ضمان تصريفها الى النهر ثانية .

ج) الاختيار الموقعي

كانت تعد المنطقة التي اقيم فيها المصنع قبل اكثر من نصف قرن من الزمن من المناطق التي تقع على حافة المنطقة الحضرية لمدينة بغداد وتحيطها اراضي زراعية مزروعة خاصة بالبذور الزيتية وبالتالي فان مخاطره البيئية لم تكن بالحجم المؤثر انذاك ،ولكن التوسعات الكبيرة في كل من النمو العمراني لمدينة بغداد والطاقات الانتاجية للمصتع عملت على استفحال المخاطر البيئية والمتمثلة بالملوثات الغازية (كمية كبيرة من الابخرة والغازات وهي عبارة عن مواد كيميائية ودهنية يتعذر تكثيفها) وملوثات سائلة (المياه العادمه) ومخلفات صلبة (التراب القاصر وورق الترشيح والعلب البلاستيكية والمعدنية والكارتونية التالفة).

٥- الوضع التقني لخطوط الانتاج

تصنف خطوط الانتاج الاساسية في مصنع الرشيد الى نمطين هما الانتاج المستمر ويستخدم هذا النمط في حالة ورود وجبات كبيرة من الزيت الخام (تبلغ الوجبة الواحدة من الزيت الخام المستلم ٣٠٠ الف طن يومياً) .اما النمط الثاني فهو الانتاج بالدفعة ويستخدم عندما تكون الوجبة المستلمة تبلغ ٤٥٠ الف طن اسبوعياً التي تصل على مدار الاسبوع بكميات غير متساوية وانواع مختلفة من الزيوت الخام .والمعاينة المباشرة للخطوط الانتاجية أفصحت على حقيقة ان المصنع تمتاز خطوطه الانتاجية بالقدم ويعود تاريخ تاسيسها الى الاربعينيات والخمسينيات ولم يتم منذ ذلك التاريخ تجديداً او تحديثاً للالات الرئيسية ما عدا تجديد بعض الات التعبئة ولصق العلامات التجارية اما سائر الآلات فانها تعاني من كثرة العطلات والعمل على صيانتها بمعدات محلية الصنع التي في احيان كثيرة لا تتوافق مع هذه الالات التي هي سويدية المنشأ .الصيانة هنا لغرض استمرارية تشغيل الخطوط الإنتاجية رغم الاضرار والمخاطر البيئية الناتجة عنها .

٦- تشخيص المخاطر البيئية في المصنع

ان اجهزة الاقسام الانتاجية في الشركة قديمة الصنع وتعاني من التآكل والنضوح والعطلات المستمرة مما يسمح بعضها بتسرب الناتج مسببة التلوث ومخاطر صحية وبيئية .ويحصل المصنع على مياه الاستخدام العام والداخلة في عمليات الانتاج من اسالة الماء ،ولا تخضع هذه المياه لفحوص جرثومية او كيميائية في المصنع قبل استخدامها في الانتاج او في غسل معدات

الانتـاج. وهناك هدر واضـح للمياه في كثير من المواقع وفي نفس الوقـت يتم التخلص من المياه الصناعيـة العادمـة بالقائها في المجاري مباشرة من دون معالجة وهـذه المياه تحتوي على مواد خطـرة كيميائيـة وبيولوجية .كذلك وجـود اكوام المـواد البلاستيكية والكارتونيـة التالفة ،فضلاً عـن اكوام التراب القاصر المستعمل في الصناعـة وورق الترشيح المجمعة في الاقسام الانتاجية فاصبحـت منطقة تجميعهـا محط لتجمع الحشـرات والاوساخ والروائح الكريهـة مسببة مخاطر كبيـرة .ناهيـك عما يطرح من ابخرة في الجو محملة بالمـواد الزيتية المتطايرة والتي لا تمر باي عملية تنقية .

ان الاجـراءات المتعلقة بالحفاظ على البيئة بدائية وتقليديـة ان وجدت فهي لا تتضمن استخدام الاساليب الحديثة في معالجة المخلفات على سبيل المثال.وتفتقر ايضاً ادارة المصنع الى الادارة السليمـة للمـوارد البيئية بشكل عام والى نظام مفاهيمي متكامل يعتمـد مباديء تنموية مستدامة مثـل الانتاج النظيف وحمايـة الموارد البيئية .كذلك هنـاك عدم وضوح لأبعـاد المخاطر البيئية الناجمة عن اشكاليـات الهدر للموارد الطبيعية والتلوث لدى العاملين على المدى القريب والبعيد ممـا يجعـل أياً من اساليب ادارة المخاطر المتبعة في التصدي لهـذه الظواهر قاصرة عن تقديم الحلول وتقييم الخيارات وكذلك صعوبة تحديدالأولويات في أي من المعالجات المتبعة آنياً .

٧- الواقع المعلوماتي الحالي في المصنع المبحوث

رسمت المعايشة الميدانية للباحثة في مصنع الرشيد صورة للمسار المعلوماتي فيه ،وتم تشخيص النقاط التالية :

أ- يـؤدي تسـارع التغييرات البيئية الـى ازدياد الطلب علـى المعلومات مما عكـس عجز الاسلوب التقليـدي (اليدوي) المتبع في المصنـع المبحوث عن تلبية المتطلبات من المعلومات الحديثة والفورية التي هي الاساس في اتخاذ القرارات ذات الاثر الاستراتيجي مما فرض ضرورة التحول الـى الاسلوب الحديث المتمثل بالاستعانة بتكنولوجيا المعلومات (الحواسيب والشبكات) نظراً لمـا تقدمه مـن سرعة في انجاز الأعمـال، ودقة فـي المعلومات ،وقدرة فائقـة على تخزينها، واسترجاعها في الوقت المناسب .

ب- الاداة المتاحة لادارة المعلومات الوحيدة في المصنع هي الاستمارات المعتمدة لجمع وتبويب وتوثيـق المعلومات عن العمليات الانتاجية والفحوصـ البيئية وعن المخالفات المسجلة، وعن المعالجات المستخدمة .لذلـك فانه من الضروري ان يوفر المصنع برنامجاً محوسب لادارة المعلومـات ،ومن الضروري ايضاً العمل على تشجيع تبـادل المعلومات بين المصنع والشركة التابع لها وبقية المصانع التابعة للشركة ايضاً وهذا ما توفره شبكات الاتصال بين الحواسيب، ومن الضروري توزيعها بين الاقسام الانتاجية والادارية في المصنع .

ج- ان المصنـع المبحـوث يعتمـد المحـددات البيئية التي اقرتهـا الجهات المسؤولـة عن حماية

البيئــة ووفق ما تفرضه المحددات العالميــة لتحديد الملوثات وكمياتها التي تطرحها الانشطة الانتاجيــة للمصنع ،وان أي خلل في ادراك اهمية المعلومات الصحيحة التي تعتمد عليها هذه المحددات يولد نتائج ليست في صالح المصنع .

المحور الرابع : الاستنتاجات والتوصيات

اولاً : الاستنتاجات

١- تشــكل انطلاقــة ادارة المخاطــر البيئية في السنــوات الاخيرة ميزة فريدة مــن نوعها ،اذ ان الحاجــة الى تقويم انعكاســات الاعمال الاقتصادية والادارية علــى البيئة بصورة عامة حملت اصحــاب الاختصاص الاداري والتنظيمــي المحلية والدوليه الى الاهتمــام بهذه الادارة ،وهي تشمــل في معظم الاحيــان انشطه متعدده تعود الــى قطاعات ومجالات مختلفــه. ولكن الرؤيه الجديــده المستنده الى البيئه والتنميه، جعلــت المختصين والباحثين والاداريين ينظرون الى هذه الانشطه نظرة جديده ومتجددة.

٢- علــى الرغــم من اهميــة دراسة المخاطــر البيئية في برامــج السلامة وحماية البيئــة إلا انها لــم تحقق تراكماً نظريــاً كافياً لبلورة اطــار مفاهيمي متكامل يستوعــب فلسفة هذه المخاطر واهميتها في قرارات وخيارات العديد من المنظمات .

٣- يــؤدي ادراك المخاطر البيئية دون المستــوى المطلوب الى تعرض المنظمة الى مواقف اخطر اذا ما تم التعامل مع المخاطر بصورة غير مناسبة .

٤- قــد تزايدت المخاطر البيئية لصناعة الزيــوت النباتية نتيجة اعوام طويلة من الاهمال ،فليس هنــاك الا قلة من الخطط تولــي إهتمام اللازم للمخاطر البيئية .وقــد انشغلت هذه الصناعة بموضوعــات الحصص الانتاجية والمكاســب قصيرة الاجل ولم تستثمر الا قليلاً في اجراءات الحمايــة البيئية ،كما ان هنــاك ضعف في الامتثال للنظم البيئية ونــادراً ما تطبق هذه النظم بالطريقة الملائمة

٥- تلمســت الباحثــة اثناء وجودها في االمصنــع المبحوث ضعف الممارســات الادارية في مجال ادارة المخاطــر البيئيــة وضعف الاهتمام فــي الجوانب الفنية عند التعامل مــع المخاطر ،في الوقــت الذي اكــدت فيه معظــم الادبيات على اهميــة ودور برامــج ادارة المخاطــر في تقليل الحــوادث المحتملة وتقليل وازالة اثارها اعتماداً علــى التقنية ،وامكانيات تشخيص المخاطر ،وتحليلها ،ثم استخدام الوسائل الملائمة للسيطرة عليها .

٦- انخفاضــ الوعــي البيئي لدى معظم العاملين فــي الاقسام الانتاجيــة وادى ذلك الى تصريف كميــات من الزيوت الى شبــكات المياه الصناعيــة القديمة دون اكتــراث باستعادتها وجمعها داخــل الاقسام للاستفادة منها والحفــاظ عليها كمادة اولية من جهة ،ولتقليل التلوث من جهة اخرى .

٧- ان المعايير والمحددات البيئية التي يتبعها المصنع وضعت باعتماد التراكيز العظمى المسموح بهـا من قبل منظمة الصحة العالمية ،مما ادى الى حدود غير واقعية للانبعاثات المسموح بها وبالتالـي عدم امكان الالتزام الكامل بتطبيق هـذه المعايير الامر الذي تطلب الحاجة لدراسة الشـروط البيئية ومصـادر المخاطر البيئية واسبابهـا وتكاليف اجـراءات التحكم بالملوثات ونتائجهـا وذلك قبل وضـع معايير فضلاً عن اعتمـاد طريقة مرحلية لتطبيـق المعايير وذلك بالاعتماد على نتائج هذه الدراسات .

٨- يمتـاز تدفق المعلومـات المحددة المخاطر البيئية في مصنع الرشيد بنقص حاد في كثير من الاحيان، وهذا ما يؤدي عادة الى انماط استثمار هي دون النمط الامثل من وجهة نظر محلية .

٩- يفتقـر المصنع الى تكنولوجيا الاتصالات الحديثة كالانترنت وكذلك تقنيات حفظ المعلومات ونشرها .

١٠- خـلال التجـوال في اقسام المصنع وجد ان هناك نقصاً فـي اجهزة قياس انبعاث وتصريف المياه الملوثة التي لها دور كبير في تسجيل المعلومات البيئية الضرورية.

١١- تعانـي الاقسام الانتاجية مـن نقص في المعلومات الموثقة عن اسـس تداول المواد الخطرة علـى البيئة وتصنيفها وتخزينها ونقلها واتلافها والتخلص منهـا وتحديد كمياتها وفقاً لالية معينة .

١٢- نقص الكوادر المؤهلة للعمل في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتشغيلها والاستفادة من خدماتها .

١٣- نقص وتشتت وفقدان المعلومات البيئية يعد ظاهرة واضحة في المصنع مع وجود ضعف في التنسيـق والتعاون فيما بين المصنـع المبحوث والشركة ومصانعها الاخـرى في استمرارية تغذية بعضها بالمعلومات لغرض استخدامها في اعداد الخطط والتقارير .

ثانياً: التوصيات

١- ان المسؤوليـة تحتم على مصنع الرشيد عدم الاكتفاء بوجـود شعبه للسلامة الصناعيه وانما اقامة ادارة للمخاطر البيئيه اسوة بالادارات الاخرى ويفترض الوضع المقترح لادارة المخاطر البيئيه تعزيزهـا بمستلزمات القيام بالدور الفاعل وتبنـي استراتيجيات وسياسات ونشاطات مرتبطه بشكل اساسي بالبيئه والحد من المخاطر التي تتعرض لها.

٢- تحسين تقنيات صناعة الزيوت النباتيه من الوجهة البيئيه وحجم متطلباتها من المياه بصوره خاصه ،ومقدار ما تولده من نفايات ونواتج ثانويه.

٣- ايجاد الوسائل الكفيله برفع الوعي البيئي لدى العاملين والتركيز على طرح المواضيع المتعلقة

بمعالجة المخلفات والملوثات(وبخاصة فيما يتعلق بالمياه) وسبل تطويرها من خلال الوسائل السمعيه والمرئيه والمكتوبه.

٤- التاكيـد وبصوره مشدده علـى العاملين في الاقسام الانتاجيه بالالتـزام بمستلزمات السلامه والحمايه البيئيه في العمل التي هي جزء من المستلزمات البيئيه.

٥- دعـوة مصنع الرشيد لاستخـدام مواد اوليه نظيفه والتأكد تبني سياسة الانتاج النظيف لإدارة البيئـه الداخليه للمصنـع الموجودة حاليا، بهـدف المحافظه على سلامة البيئـه والمشاركة الفعاله في تعزيز الحمايه البيئيه ضمانا للتنميه المستدامه.

٦- توجيـه الاهتمام نحو عملية جمع المعلومات البيئيه لدورها الفعال والكبير، حيث يعكس الواقع ويبين مدى التطابق او الاختلاف للانشطه الانتاجيه ومقارنتها مع المحددات المفروضه ومن خلال الاستمـارات المرافقه لكل عمليه انتاجيه يمكن الاستفاده منها في بناء قاعده معلومات قيمة.

٧- تكثيف جهود ادارة المصنع لبناء شبكة معلومات وتوجيه الجهود لاقامة قواعد للبيانات البيئيه المشتركه مع كافة الاقسام ومع الجهات والمنظمات المحليه والدوليه.

٨- من الضـروري ان توفر ادارة المصنع نظاماً لادارة المعلومـات البيئيه وضرورة تشجيع تبادل المعلومـات بيـن الاجهـزة الرقابيـه علـى المستوى العـام والخاص، ويشمل النظـام: نوعية المعلومـات التي يجب الحصول عليهـا، ومدة حفظ المعلومات في الملفـات ، وانواع التحاليل التي يجب اجراؤها والمعلومات الميدانيه التي يلزم رصدها.

٩- على المصنع احراز تقدم تقني سريع في مجال النظم المعلوماتية الخاصة ببرامج التحكم في العمليـات الانتاجيه النظيفه، فمن الممكن استعمال الحاسـوب الشخصي للتواصل مع اجهزة التحكـم المختلفـه، وكذلـك من الممكن احـداث صلة بين نظـم التحكم فـي العمليات ونظم المعلومات الاداريه والبيئيه والنظم الخاصة بالصيانه.

١٠- لا وجـود لحلـول عجائبية ولا يظهر فـي المدى الطويل بديـل لاستعادة التـوازن بين الموارد والسـكان والبيئـة والعمل من اجـل مجتمع مستقر نسبياً، الخطوة الاولـى نحو الحل هي وعي المخاطـر ،والخطوة التالية هي عمـل مايمكن عمله استعداداً لمواجهتهـا وعلى الحكومة ان تعمل باديء ذي بدء على معالجة المخاطر داخل اراضيها.

١١- استخـدام الانترنـت فـي نشـر الاعلانات البيئيـة للاستفادة مـن المعلومـات الموجودة في المؤسسات العاملة او التي لها علاقة بنشاط المصنع كالصحة والامن الغذائي

١٢- يمكـن ان تـؤدي المعايير البيئية الى زيادة في تكاليف الانتـاج وان تشكل حواجز تعوق النمو، لكـن يمكنهـا ايضـاً ان توفر اطـاراً للتنميـة الاقتصاديـة المستدامـة بيئياً وان تعـزز ادارة

المخاطـر. ويتوقف استيفاء الناتج الايجابي من هذه المعايير على التحديد المناسب لها في المصانـع المحلية والدولية وتطبيقها بفعالية وتنفيذها بوضـوح .وتستند هذه المعايير عادة الى مباديء علمية ترمي الى التخفيف من المخاطر التي قد تلحق بالبيئة والمخاطر التي قد تلحق بالصحة والسلامة العامة .

١٣- اصبـح مـن الضـروري ان تكون لـدى المجتمـع المحيط بالمصنـع دراية بما يجـري داخله وبالمخاطر البيئية التي تنشأ عنه وبالسبل المثلى لمواجهتها .كما يصبح من الضروري ايضاً ان يكون هناك تنسيق جيد ومسبق لجهود الاستجابة من داخل المصنع وخارجه حتى تتكامل هذه الجهود وتزيد فاعليتها في مواجهة المخاطر من دون تناقض او تنازع .

د. كربالي بغداد
جامعة وهران
كلية العلوم الاقتصادية، علوم التسيير والعلوم التجارية
مخبر البحث في الاقتصاد وتسيير المؤسسات (LAREGE)

نظرية الإتفاقيات والمحاسبة
قراءة حالة الجزائر

ملخص :
تعتبـر المحاسبة كنظـام للمعلومات يهدف إلى تزويد المؤسسة والأطـراف المشاركة بالمعلومات لمساعدتهـم علـى اتخاذ قراراتهم. غير أن تصور المعلومـات الناجمة عن هذا النظام، هل تكون هي نفسها بالنسبة إلى جميع المستخدمين؟ وهل هذا التصور يتطور؟

فـي هذه الورقة، نقترح فهم منهجيـة المحاسبة من خلال نظرية الاتفاقيـات. وفي هذا السياق، سنقدم فـي الخطوة الأولى نظرية الاتفاقيات ثم نتطرق إلى مسألة استبدال الاتفاقية، وننتهي مع عرض تطور النظام المحاسبي في الجزائر.

الكلمات الأساسية : المحاسبة، نظام المعلومات المحاسبي، نظرية الاتفاقات.

The theory of the conventions and the accountancy: a reading of the Algerian case

Abstract :

The accountancy is considered as an information system with the purpose of supplying the company and the stakeholders with information to guide their decision-making. However, it is worthwhile knowing whether the information ensuing from this system is equally disclosed to all stakeholders?

In this paper, we suggest approaching the accountancy from the viewpoint of the theory of conventions. First, we shall present the theory of conventions. Then, we shall approach the question of substitution of the conventions, and we will end with a presentation on the evolution of the accountancy system in Algeria.

Keywords: accountancy, accountancy information system, theory of the conventions.

المقدمة:

تعتبـر المحاسبة مـن حيث هي نظام للمعلومات يهدف إلى تزويـد المؤسسة والاطراف المشاركة بالمعلومات لمساعدتهـم على إتخاذ قراراتهم. هذا التصور للمعلومات الناجمة عن هذا النظام، تكون هي نفسها بالنسبة إلى جميع المستخدمين المعنيين؟و هل هذا التصور تطوري؟

في هذه الورقة، فإننا نقترح فهم منهجية المحاسبة من خلال نظرية الاتفاقيات. وفي هذا السياق، سنقدم فـي الخطوة الأولى نظرية الاتفاقيات ثم نتطرق إلى مسألة استبدال الاتفاقية، وننتهي مع عرض تطور النظام المحاسبي في الجزائر.

١- نظرية الاتفاقيات:

إن اقتصـاد الاتفاقيـات هو تيار فكـري ظهر في منتصـف الثمانينيات تحت تأثيـر الاقتصاديين وعلمـاء الاجتماع الذين فكروا في أشكال تنظيم العمل، وسلوكيات الاسواق المالية، والقواعد التي تحكم العلاقات بين المؤسسات.

أخـذاً بعيـن الاعتبار المساهمات فـي التحليل الكلاسيكي الجديد، يقتـرح المؤلفون[١] «بعض التعديـلات الهيكليـة التـي تعيد النظر في بعض الفرضيات التـي كانت تعتبر ضمنيـة من قبل»، ويقترحون إعداد أو إعادة صياغة مفاهيم من خارج إطار النيو كلاسيكية (Favereau,1989).

وقد قام هؤلاء المؤلفون بتحديد هدف يتمثل في بناء «إطار جديد نسبيا للتحليل»، «دون التشكيك

1- Un numéro spécial de la revue économique, 1989, N° 2 était consacré à l'économie des conventions. Les auteurs sont :
Laurent Thévenot, «Équilibre et rationalité dans un univers complexe»; Robert Salais, «L'analyse économique des conventions du travail» ; André Orléan, «Pour une approche cognitive des conventions économiques»; Olivier Favereau, «Marchés internes, marchés externes» ; François Eymard-Duvernay,«Conventions de qualité et formes de coordination»; Jean-Pierre Dupuy, «Convention et Common knowledge »

فـي اقتصاد السوق الـذي أدى إلى تعويض هذه المفاهيم بفئات مستعارة مباشرة من تخصصات أخـرى». إنَّ الإقتصاديـين في الاتفاقيات يعاتبـون الكلاسكيين الجدد بعـدم إعطاء مكانة كافية للمؤسسات، والتركيز أكثر على مبدأ العقلانية.

يعتقد Olivier Favereau إن إقتصاد الاتفاقيات يمكن أن يوصف كخلاصة للتصور النيوكلاسيكي للعقود وفرضية العقلانية المحدودة.

يكتـب Gensse (٢٠٠٣) أن النهـج الإتفاقـي يطمـح إلـى تحسين فهـم الآليـات الاقتصادية والاجتماعية بدراسة عملية الاعتداد؟ والإرتباط وتوضيح معنى القواعد التعاقدية. فإن الإفتراض فـي هذا الإطار النظري هو أن السلوك الفـردي يتأثر «بما يحدث» في تنظيم وليس فقط من نظم الحوافز الفردية في منظور تعاقدي، حيث يمكن أن تتمثل الفرضية المركزية لإقتصاد الإتفاقيات فـي «الاتفاق بين الأفـراد، وحتى عندما تقتصر على عقد التبادل السوقـي، لا يمكن أن تكون دون وجود إطار مشترك، ودون إتفاقية مؤسساتية».

يمكـن أن تعرف الإتفاقية بأنها «نظام التوقعات المتبادلـة حول الكفاءات والسلوكات، والمصممة مـن النفس والعودة إليهـا». وهي أيضا «التنظيم الإجتماعي الذي مـن خلاله يعتمد المجتمع على مرجعية مشتركة، التي تنتج تمثيلاً جماعياً يعتمد على التوقعات الفردية» (André Orléan).

تقـوم نظرية الإتفاقيات على فهم كيفية مواجهة الأفراد حالات عدم اليقين بإتباع سلوك متأقلم، وكيفية تقارب تلك القرارات الفردية المتعددة بالقيام ببعض التعديلات في سلوك بعضها البعض.

١-١ تعريف الإتفاقية:

تهتـم نظرية الإتفاقية بالسلـوكات المتكيفة للأفراد عندما تواجه لحـالات عدم اليقين. ولتحديد السلـوك الواجـب تكييفه عليهـم الإعتماد على عدد مـن المعايير التي تصف تلـك الحالة وتشكل الإتفاقية على وجه التحديد. وتبعا لما تقدم، فإن الإتفاقية هي «مجموعة من المعايير الضمنية أو الواضحة التي من خلالها يرجع إليها الفرد عند إتخاذه للقرار» P.Y. Gomez, 1996

ولذلـك، فـإن مجموع المعاييـر المشتركة تسمـح بإتخاذ الفعل الـذي يحدد السلـوكات العادية، وهـذا يعني، الخيـارات المنفذة من قبل بعض الأفراد من المفترض ان تتم بصورة مماثلة ، .M Bollecker Pierre Mathieu 2008.

نـرى أن هنـاك عـدة معايير يمكـن أن تساهم كل واحـدة بطريقتها الخاصة في القـرار. وبعبارة أخـرى، توفر هذه المعايير معلومات معتبرة، يجب أن تؤخذ في الوقت المحدد عند إتخاذ القرار. نقول أنها تشكل إتفاقية عند كل حالة مطروحة. يمكن أن نمثل ذلك من خلال الشكل التالي:

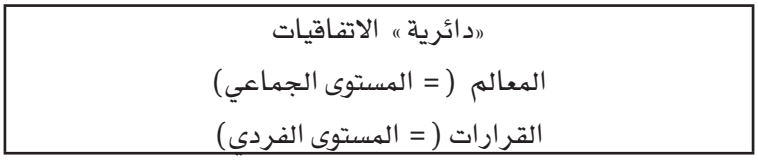

المصدر : Jean Nizet, La théorie des conventions

يبين هذا الشكل، المعالم المكونة للإتفاقية المؤثرة في القرارات الفردية، حيث هذه الأخيرة تؤثر فـي المعالم. يمكن القول أن القـرارات الفردية هي مسببة ونتيجة للإتفاقية في آن واحد وبصورة مجـردة، نتكلم عـن الدائرية (الاستدراة) بيـن المستوى الفردي المكون لعـدة قرارات من جهة، والمستوى الجماعي المتكون عن طريق الاتفاقية.

٢-١ مكونات الإتفاقية :

قـد بينـا فيما سبق، أنه في إطار الإتفاقيات نواجه حالة عدم التأكد، حيث توجد صعوبة في إتخاذ قـرار عقلاني. حيث ان الأفـراد يكونون محتاجين بالضرورة لمعالـم لتأسيس قراراتهم، إذ تكون ذات طبيعـة مختلفة: عبـارات واضحة مع معالم تكون مرتبطة بحضـور بعض الأشخاص مع تبني سلـوكات معينة. وزيادة على ذلك، معالـم مرتبطة بوجود أشياء ذات خصائص بالتنظيم، خاص بالمكان والزمان.

المكونات هي كالتالي:

- العبارات (البيانات)
- الأشخاص
- الأشياء
- المعالم المكانية والزمانية

إن النوع الأول من المعالم والمكون للإتفاقية يتمثل في العبارات المنتجة في إطار المنظمة، حيث نفكر بطبيعة الحال في البيانات الرسمية.

من الضروري في نظرية الإتفاقيات، ومن الوجهة المنهجية، التركيز على البيانات التي من خلالها تبرر الأطراف الفاعلة سلوكاتها المتبناة والأفعال المتخذة.

يعتقـد منظري الإتفاقيات أنـه لا ينبغي إعتبار العقلانية موجودة لدى الأفراد، ولكن يجب الإصغاء بـدلا من ذلك، وتسجيل الأسبـاب التي تأخذ بعين الإعتبار من قبل الأفـراد عند تصرفهم. يفهم مـن ذلك، أنه يجـب ان يؤخذ في عين الإعتبار ترشيد القرارات من قبل الأفراد بدلا من إعتبارها عقلانية.

إنطلاقـا من مختلف البيانات التي تصادفنا فـي وضعية معينة، إنه من الممكن عادة تحديد مبدأ واحـد أو عـدد قليل من المبـادئ الأكثر تجردا، التي يمكـن أن تسمح بأن تكـون ملخصا لإتفاقية خاصة للمنظمة لمؤسسة (من أجل أن تكون أكثر تنافسية، تتحصل على أفضل علاقة بين الجودة والسعـر،...)، ويطلق عليها عـدد كبير من الباحثين بالمبادئ العليـا. بالإضافة إلى التصريحات الشفهية، تتضمن الإتفافية معاييرأخرى تسمى بالضمنية.

أ. الأشخاص:

مـن المكونـات الضمنيـة، علينـا أن نتطرق إلـى المعاييـر التي تكـون مرتبطة تلك التـي ترتبط بالأشخاص. فإن الأفراد الذين أتخذوا قرارات في وضعية عدم التأكد اعتمدوا على معالم بحضور من صنف معين منهم، بحيث تبنوا سلوكات وأنتظموا بطريقة معينة.

أولا، تتميز الإتفاقية بحضور أفراد لهم ميزات كالسن، الجنس، والتأهيل المهني، إلخ.

ثانيـا، هؤلاء الأشخاص يتبنون بطبيعة الحال سلـوكات وتصرفات معينة. هـذه يمكن أن تناسب المبدأ الذي يحكم الوضع، وقد تفترق عنه أو تتناقض معه.

فـي الحالة الأولى، نقـول أن أشخاص يحتكمون إلـى المبدأ الذي يحكم الوضـع يعتبرون «كباراً»، والذين لا يحتكمون إليه و يعتبرون «صغاراً».

وفـي الحالة الثالثة، فـإن الأفراد لا يكونون منعزلين عن بعضهم البعض، وإنما تربطهم علاقات خاصة (حسب الإتفاقيات: روابط الأقدمية أو السلطة أو التكامل في تنفيذ بعض الأنشطة ، الخ.).

ب. الأشيـاء:

هنـاك أصناف أخرى من المعالم الضمنيـة، التي يعتمد عليها الأفراد في إتخاذ قراراتهم لإعداد أشيـاء، وهذا المفهوم يجب أن يفهم بمعناه الواسـع: مثل المبنى المفروش او المزخرف بطريقة معينة، الآلة، برامج الحاسوب، القانون، إلخ.

أولا، أن الإتفاقيـة بوجـود عـدد اكبر أو أقل وفرة مـن الأشياء التي تمثل بعض المميزات الأكثر تخصيصا.

ثانيـاً، بعض هذه الأشيـاء لها ميزات أكثر، كما لهـا إمكانية الوجود بالنسبة للمبـادئ العليا التي تحكـم الوضعيـة، والبعض الأخر لها ميـزات أقل وإمكانية وجـود بدرجة أقل. حيـث الأول جدير بـأن يحقق المبدأ ببساطة، وفي الحالة الثانية يتحقـق المبدأ بدرجة أقل. وتبعا لما تقدم نقول أن الصنف الأول من الأشياء هو الذي يشغل الحيز الأكبر في حين الثاني الحيز الأصغر.

تتمثل الفكرة الثالثة، بأن تلك الأشياء ليست منفصلة عن بعضها البعض، وإنما مندمجة بدرجات

متفاوتـة، حيـث الروابط الموجودة فيما بينها يمكن أن تكون ذات طبيعة مختلفة (إمكانية أن يحل واحد محل الأخر، ويمكن أن يسبق أو يلحق بعضها البعض وما إلى ذلك).

ج. المكان والزمان:

نقوم بمعالجة المكون الأخير للإتفاقية الذي يمكن أن يكون قد أهمل إلى حد ما من قبل الباحثين، حيث أنه مرتبط بالزمان من جهة، وبالمكان من جهة أخرى.

وبالأحـرى، في كل وضعية إجتماعية وحالة تنظيمية تتميـز ببعض الترتيب وبعض التنظيم، وأكثر تجريـدا لتصور معيـن للفضاء الذي يشغله الأفراد. فالفضاء يمكن أن يكـون أكثر إتساعا أو أقل، ويكون منظما حول موقع مركزي أو أكثر تجانسا، مفتوح أو مغلق، إلخ.

وبالتـوازي، يمكن أن نقـول أن كل وضعية إجتماعية تتميز ببعض التنظيـم وبعض التصور للوقت: التركيز على الفورية والآنية، والتوجه نحو الماضي أو المستقبل...

٣-١ تطور الإتفاقيات:

بعـد أن تطرقنا بإختصـار إلى نظرية الإتفاقيات، وقبل النظر في كيفية فهم المحاسبة عن طريق هـذه النظريـة، يجب النظر فـي كيفية تطور هـذه النظرية لدراسـة ديناميكيـة الإتفاقية،. يجب أن نتسائـل فـي البداية عـن العوامل المشجعة لبروز البديـل. اذ ان البديل يعتبـر إتفاقية مغايرة حيـث تماسـك وملائمة الخطاب من شروط إبهار؟ الجمهور (M. Amblard ، 1999). وفي هذا الإتجاه، يجب أن يعتبر كعنصر محرك وفعال لسيرورة تطور الإتفاقيات.

وفـي غيـاب البديـل، لا يمكـن إثارة حالـة عدم اليقيـن إذا لا يجد الفـرد أي خيار. فـي ظل هذه الظـروف، لا يمكن أن نتحدث عـن الإتفاقية ولكن عن الإلتزام. في حين أن البديل هو إجراء ينتج عنـه خطاب غير متوافق مع تلك الإتفاقية، والتشكيك في شرعيتهـا؛ وبالتالي البديل يخلق الشك (M. Amblard). ومنـه وإستطـراداً، فإن البديـل يخلق الشك الذي في حد ذاتـه يعدل السلوك ويعطي القدرة على الإقتناع بالإتفاقية المفترضة.

إذاً لكـي يحق تعديل للإتفاقية يجب أن يكون هناك بديل. فما هي العوامل التي تؤثر على الإتفاقية وتشجع على ظهور البديل؟ عموما، يمكن تحديد هذه العوامل في نوعين: خارجية، داخلية.

أ- العوامل الخارجية:

تعـرف العوامل الخارجية بالعناصـر الخارجية عن الإتفاقية التي تساهم فـي إنتاج البديل. وهنا نستخرج عاملين: الإتصال والتشريع العمومي.

أ-١ الإتصال:

الإتصال هو عامل يساهم بإستمرار في ظهور البديل. وعندما تكون هناك مجموعتان تسعيان إلى التقارب لأي سبب كان تبرز من الممكن أن تتلامس عدة إتفاقات، كل واحدة منها و تصبح بديلا

للأخرى ضمن سلسلة من الإحتكاكات ذات المخارج المختلفة. هكذا عندما تتبنى المجموعة G1 الإتفاقية C1 تدخل فجأة في المنافسة مع المجموعة الثانية G2 المتبنية للإتفاقية C2. المخرج من الصراع يعتمد على نسبة كل مجموعة G1 أو G2 بالنسبة للمجموعة الكلية المعطاة(G1 G2 +). إنطلاقا من مستوى معين، يواجه الأفراد الذين تبنوا الإتفاقية الآن في إنحداراً عدديا،يتحولون تدريجيا من الفرضية C1 إلى C2.

أ-٢ التشريع العمومي:

التشريع العمومي هو العامل الخارجي الثاني. فالنصوص التي يظهرها هذا التظيم تكون ملائمة عادة لتوجه سلوكيات الأفراد نحو الأفضل. فالإتفاقيات التي تم إعدادها عدلت بسبب البديل الناتج. إذا ينبغي علينا أن نفهم جيدا بأن التشريع العمومي يساهم في ظهور البديل، بيد أنه لا يخلق توافقاً. إن التقيد بسلوك معين لا ينجم عن الطاعة العمياء للسلطة العليا، وإنما ينتج عن إيمان بأن هذا السلوك متبنى من قبل جميع مجموع الجمهور. هذا الإيمان يرتكز على عدة عوامل منها:

- القدرة على التنبؤ برد فعل الأخرين في مواجهة متطلبات التنظيم، حيث أن سلوك الأفراد مرتبط بنسبة كبيرة بتوقع سلوكات الأخرين. إن هذا التوقع مرتبط بمعرفة الشركاء والمسافة التي تفصل بينهم.
- شرعية السلطة التي تشرع القانون، حيث فلا تفرض السلطة نفسها على الإطلاق وإنما تستعمل صلاحيتها في سن القوانين، ويلتزم السكان بعفوية وبدرجات متباينة بهذه القوانين، مما يساهم بتوكيد شرعية السلطة.
- كفاءة أداء القانون هي قدرته على إبراز المنفعة الاجتماعية الملائمة المتمثلة في هذا العامل الثالث، الأمر الذي يساهم في تعزيز ثقة الجمهور عند تبنيهم للقانون الصادر.

ب. العوامل الداخلية:

هناك ثلاثة عوامل هي: الانشقاق، التنافر والنية الإستراتيجية.

ب-١ الانشقاق:

وهو العامل الداخلي الأول، ويعرف بأنه «سلوك مجموعة كبيرة من الأفراد (الذين نصفهم بالمنشقين) C2 الذين قرروا عدم التوافق مع الاتفاقية القائمة C1، ومع ذلك نعتبر هذا العمل غير هدام لأنه ليس في نية المجموعة المنشقة إسقاط الاتفاقية المعمول بها، ولكن ببساطة إعتماد إتفاقية أخرى»(M. Amblard ، 1999).

هذه الظاهرة قد تحدث في ظروف معينة وتحت تأثير مفجر ما قد تنتشر بقوة أكثر أو أقل.

والشك يمكن أن يبرز في حال كان هناك إعتقاد بأن الجماعة المتمردة هي مؤثرة بما يكفي لإغراء بقيــة المجتمع G1؛ وبالتالي تصبح الإتفاقية المتفــق عليها في خطر. في الواقع، من المحتمل أن يتســاءل كل واحد عن الموقف الذي أعتمدته بقية المجتمع تجاه الإتفاقية البديلة C2 المستعملة من قبل المجموعة المنشقة. وقد ينتشر الشك حول الإعتماد الدائم على الإتفاقية القائمة.

هنــاك معياريين أساسيين يحددان بنسبة كبيــرة مقاومة أو فشل الإتفاقية C1. من جهة، ملائمة C2 (بالنسبة للمنفعة الإجتماعية أو المهنية) بالمقارنة مع C2؛ ومن جهة أخرى، الجودة والوزن السياسي اللذان يعترف بهما الناس لدى المجموعة الإنفصالية.

ب-٢ التنافر:

وهــو العامل الداخلي الثاني، ويعرف بعدم ملائمة الخطاب الصــادر عن الإتفاقية تجاه التحولات الظرفية (M. Amblard ، 1999). يكون هناك إنشقاق عندما تكون الملائمة مشكوك فيها لعدة أسبــاب. ملائمة إتفاقيــة ما تعرف بمجموعة مــن العوامل التي تعطيها الشرعيــة لدى المتفقين. الإنشقــاق يتــم في نهاية المطاف حسب الظروف، ويساهم من جديــد في ظهور تطبيق جديد هو البديل.

ب-٣ النية الإستراتيجية:

تعرف بالسلوك الواعي والمطلوب من قبل بعض الفاعلين الذين يكون لهم تأثير على واقع الإتفاقية المعمــول بهــا. في هذه الحالــة، هناك سيناريــو إستراتيجي يتعمد بث الشك لــدى المتفقين بنية دفعهم تدريجيا نحو الإتفاقية البديلة. إذا القصد الإستراتيجي يشكل عاملاً آخر من العوامل التي تحفز ولادة الشك، وبالتالي تفتح الطريق أمام ظهور قوانين معاكسة.

٤ -١ ردود الفعل إتجاه البديل :

تساهم مختلف العوامل المذكورة سابقا في ظهور البديل، وهو بدوره يهدد الإتفاقية المعمول بها،. وهذه الأخيرة يمكن أن تقدم نوعين من ردود الأفعال:

- ردود أفعال سلمية، تسمى بردود أفعال تعاونية. وهذه الافعال يمكن أن تأخذ إتجاهين: إعادة التأطير أو التعايش.
- ردود أفعال عدائية، وتدعى ردود أفعال المواجهة التي تؤدي إلى المقاومة أو الإنهيار.

أ – ردود الفعل التعاونية:

يترجــم رد الفعلي التعاونــي بتلطيف وتعديل الخطاب الصادر عن الإتفاقيــة المعمول بها،. وهذه الأخيــرة يمكن أن تعيد تأطيــر محتواها بغية الإستجابة للطلبيات الجديدة، وإبراز بعض إغراءات البديل. ويمكن لها أن تمنح جزء من قوامها إلى الإتفاقية المنافسة.

أ- ١ إعادة التأطير:

تأتـي إعـادة التأطير كرد فعل على التشكيـك الواقع. وهذا يعتبر تحولاً فـي المضمون المعلوماتي الذي تصدره الاتفاقية لأطرافها، وبذلك يصبح التاقلم مع خطاب البديل ممكناً.

أ- ٢ التعايش:

الحالـة الثانيـة، التعايش، يمكن تعريفه كانفصـال الجمهور من G1:. بعـد ذلك تظهر مجموعة جزئية G2 تتبنى الاتفاقية الجديدة C2 على حساب الاتفاقية القديمة C1.

إن الصـورة الثانية مـن ردود الفعل التعاونية تتمثل في التعايش. يمكـن أن تؤدي هذه الأخيرة إلى تقسيـم المجتمع: بعد G1 تظهر مجموعة جزئية G2 تتبنى الاتفاقية الجديدة (C2) على حساب القديمة (C1). في هذه الحالة يحصل تعايش بين G1 وG2 . هذه الوضعية لا تتحقق إلا بشروط: السلوك الجديد تحدده الإتفاقية C2 على أن لا يكون متداخلاً مع ما تمليه الإتفاقية C1. في هذه الحالـة، العوامل الخارجية السلبية الصادرة من الإتفاقيـة C2 تؤدي إلى ردود أفعال مباشرة من قبل المجتمع المجموعة G1.

ب- ردود الأفعال المواجهة:

وفـي المقابـل، فإن ردود الأفعال المواجهـة تتميز بالعداء الذي يغذي الإتفاقيـة المهددة بالنسبة للبديـل فـلا تسعى إلى تعديل هيكلهـا تبعا للخطاب الصادر من الإتفاقيـة الثانية. تنجم عن ذلك وضعيـة نـزاع بين الحالتين، حيـث تحاول كل واحـدة أن تفرض ملائمتها الخاصـة. إن الإتفاقية المعمـول بها يمكن أن تقاوم، ومن المحتمل أن تعزز مكانتها أو تنهار، مما يعطي الحياة للإتفاقية الجديدة.

ب-١ المقاومة:

هنـاك مقاومة عندمـا لا يستطيع البديل البارز C2 إغراء الجمهـور المنتمي لـ C1. وبشكل أدق، فإن المحتوى المعلوماتي للخطاب المنقول بـ C2 لا يسعى بشكل حقيقي لملائمة الخطاب الصادر من قبل الإتفاقية المعمول بها C1.

ب- ٢ الإنهيار:

يقصـد بالإنهيار الوضعية التي تناسـب إختفاء الإتفاقية المعمول بها وإبرام إتفاقية جديدة يظهر فيهـا خطاب أكثر ملائمـة، أي أكثر تجاوباً مع إنتظارات المتعاقديـن، وأكثر إقناعا بالأخص في حالة تبين هذه الإتفاقية الجديدة بشكل أشمل.

- ٢المحاسبة كنظام معلومات:

مـن المسلم بـه أن المحاسبة هي «فن تجميـع وترجمة وتقديم المعلومـات الإقتصادية أو المالية بأشـكال مختلفـة (الجـداول، الحسابات...)». مـا نستنتجه من هـذا التعريف، هـو أن الوظيفة

الأساسية للمحاسبة هي الإعلام عن وضعية المؤسسة. إذن تعتبر المحاسبة نظام معلومات يرتكز على ثلاثة أنظمة فرعية:

- التقييد والتسجيل،
- التخزين والمعالجة،
- الإخراج والتشكيل.

النظام الفرعي الأول «التقييد والتسجيل» يتعلق بتصنيف الوقائع والعناصر المحاسبية والإحتفاظ بها، وكذلك قاعدة تقييمها.

النظـام الفرعي الثانـي " التخزين والمعالجـة " يستعمل تقنيات كأدوات الإعـلام الألي، وكذلك المنهجيـة المتبعـة. وأخيرا النظام الفرعي الثالـث فيتمثل في " الإخـراج والتشكيل " للمعطيات المحصـل عليها على شـكل وثائق محاسبية مثـل: ميزانية المؤسسة، حسـاب النتائج، الملاحق، اليومية، أو الوثائق الأخرى.

كذلـك، فإن نظام المعلومـات المحاسبية يجب أن يقـوم بعدة مهام أهمها إقامـة محاسبة مالية موجهة للجهات الخارجية، ومحاسبـة التسيير الموجهة نحو تسيير الإحتياجات الداخلية. وهاتان المهمتان الأساسيتان تهدفان إلى الإجابة على متطلبات المحاسبة بغية إحترام القواعد المعيارية، إعداد وتقديم الحسابات من جهة، وإعداد نموذج محاسبي يستجيب لإحتياجات تسيير المحاسبة من جهة أخرى.

٣- تنظيم نظام المعلومات المحاسبية:

يـدور نظام المعلومات المحاسبي داخل المؤسسة حـول التنظيم المادي، بمعنى الوسائل والطرق المحاسبيـة لتسجيل العمليات وفق المبـدأ المحاسبي لـ " صورة صادقة ووافية" للوضعية المالية، الإقتصادية، والمحاسبية للمؤسسة. نظام المعلومات هذا يجب ان يتضمن:

- التقييد الكامل للوثائق الأساسية،
- الإحتفاظ بها،
- توفير كل المعلومات الضرورية لإعداد الوثائق الإجمالية،
- التحقق من صحة البيانات والإجراءات الداخلية.

إن النقـاط الثلاثة الأساسية الواجب الإحتفاظ بها فيما يتعلق بنظام المعلومات المحاسبية تتمثل في:

- إختيار الدعائم المتمثلة في الوثائق، الكتب وتجهيزات الإعلام الألي،

- تبني مخطط محاسبي ملائم لطبيعة عمليات وأنشطة المؤسسة،
- تحديد إجراءات المعالجة مع إحترام محتوى الحسابات وإثبات الوضعيات.

- ٤ النظام المحاسبي في الجزائر:

ورثت الجزائر المخطط المحاسبي العام الفرنسي (PCG) لسنة ١٩٥٧. وبعد الإستقلال في العام ١٩٦٢، واصلت الجزائر العمل بالقانون ٦٢-١٥٧ الصادر في٣١ ديسمبر، الفرنسي المنشأ، بإستثناء النصوص والبنود التي تتعارض مع السيادة الوطنية.

٤ -١ الإصلاح المحاسبي:

أسندت وزارة المالية مهمة إعداد مخطط محاسبي جديد للمجلس الأعلى للمحاسبة بعد إنشائه رسمياً سنة ١٩٧٢. صدر المخطط المحاسبي الجديد، الذي عرف بالمخطط الوطني للمحاسبة (PCN)، في سنة ١٩٧٥، وبدأ تنفيذه في سنة ١٩٧٦ .

أ.المخطط المحاسبي الوطني ١٩٧٥:

بدأت الجزائر منذ ١٩٦٩ أول محاولة لتغيير للمخطط المحاسبي العام (P.C.G). وفي العام ١٩٧٢ جرت محاولة ثانية لتغيير هذا المخطط. وفي سنة ١٩٧٥ تم إعداد أول مخطط محاسبي وطني في إطار الإستراتيجية العامة للتنمية. تم إنجاز هذا المخطط من قبل المؤسسة الوطنية للمحاسبة (S.N.C) بمعاونة خبراء محاسبة فرنسيين من المجلس الوطني للمحاسبة والمعهد الوطني للإحصاء و الدراسات الاقتصادية الفرنسيين و جامعة براق (Prague). هذا، وقد قام واضعو المخطط المحاسبي الجديد في إطار عملهم بدراسة واستلهام المخططات المحاسبية المشتركة للمنظمة الإفريقية، مالقاش(Malgache)، وموريسيان (Mauricienne) وشيكوسولفاكيا (Tchécoslovaquie).

أ-١ : موجهات الوطني للمحاسبة ١٩٧٥ (PCN) وإرشاداته:

كان المخطط المحاسبي العام لـ ١٩٥٧ يستجيب لاحتياجات تنظيم إقتصاد السوق الحر. هذه المنهجية لم تعد تلبي إحتياجات المعلومات لسياسة الإقتصاد المخطط. فمن منظور الإختيارات الإقتصادية المتخذة من قبل الجزائر، فإن المخطط للمحاسبي العام يتضمن نقائص كان يصعب معها الحصول على المعلومات القابلة للإستغلال من قبل المسيرين، والمؤسسات المالية والمخططين.

الموجهات المتعلقة بإعداد المخطط المحاسبي الوطني تتلخص في النقاط التالية:

- الأخذ بعين الإعتبار إحتياجات مستعملي المعلومات المحاسبية : المؤسسات البنكية والهيئات المركزية للتخطيط.

- تحديد وتبسيط المصطلحات المحاسبية وتحديد معايير إنتاج الوثائق.
- إعداد مخطط محاسبي يمثل أداة ملائمة لإحتياجات التخطيط الجزائري، وكذا إحتياجات التسيير للمؤسسات.
- توفير معلومات للمحاسبة الوطنية سهلة الإعتماد، وذات معنى واضح من أجل هدف إحصائي وتقديري. هذه المعلومات يجب الحصول عليها دون إعادة تصنيف ودونما حاجة لخبراء محاسبة.
- المخطط المحاسبي يجب أن يكون أداة تسيير لمسؤولي المؤسسات. هذه الأداة يجب أن تسمح بإتخاذ القرار ومراقبة تطبيقه من أجل القيام بالتصحيح في الوقت المناسب، وبالتالي توفير قاعدة للتقديرات الجديدة من أجل تمكين المؤسسات من معرفة التكاليف وتكلفة الخدمات والسلع المنتجة من قبل المؤسسة، وقياس مستوى المخزونات في أي وقت كان.

في سياق تجديد أدوات السياسة الإقتصادية والمالية، تسجل المهمة التي أسندت إلى المجلس الأعلى للمحاسبة (CSC)، والتي تتمثل في مراجعة المخطط الوطني الموجود، من أجل منح الدولة أدوات تسيير ملائمة لسيرورة التخطيط الإقتصادي والمالي.

إذن، فنحن بصدد البحث عن بديل وطني (PCN) للإتفاقية الفرنسية المنشأ (P.C.G) وتنفيذ هذا البديل الذي يستجيب للوضع المستجد غداة الإستقلال.

أ-٢ الإطار القانوني للمخطط الوطني للمحاسبة :

صدر المخطط الوطني للمحاسبة بموجب مرسوم تنفيذي، وملاحق ذات طابع توضيحي.

أ-٢-١ المرسوم التنفيذي ٧٥-٣٥ :

صدر المرسوم التنفيذي ٧٥-٣٥ في ٢٩ أفريل ١٩٧٥، وهو يتضمن نص المخطط الوطني للمحاسبة الذي يتحدث عن مجال تطبيق ال(PCN) من قبل المؤسسات العمومية ذات الطابع الصناعي والتجاري، والمؤسسات الإقتصادية المختلطة، والمؤسسات الخاضعة لنظام الضريبة مهما كان شكل هذه المؤسسات.

يتضمن أيضا المخططات المحاسبية القطاعية المعدة وذلك بتكييف ال(PCN) بشكل يلائم مختلف أنشطة القطاعات والمحاسبة التحليلية. بالاضافة الى قائمة الحسابات.

أ-٢-٢ الملاحق التطبيقية :

صدرت في ٢٣ جوان١٩٧٥ ملاحق تطبيقية تتعلق بطرق تطبيق المخطط الوطني، وتتحدث عن التنظيم وتسيير المحاسبة، وتقييم الإستثمارات، والمخزونات، والوثائق التركيبية.

إصدار البديل (PCN) بموجب تشريع قانوني.

١-٣ إضافات للمخطط الوطني للمحاسبة:

شهد المخطط الوطني للمحاسبة أربعة إضافات منذ ١٩٧٥. صدر المرسوم F/DC//185 047/CE/89 بتاريخ ٢٤ ماي/أيار ١٩٨٩، وهو يتعلق بحساب العمليات المرتبطة بإستقلالية المؤسسات ويعالج:

- الفصل بين المساهمات للإكتتاب العام وغير العام، وحساب «الشركاء» بالتفرقة، والتفريق بين الشركاء بالمساهمة النقدية وشركاء بالمساهمة العينية وشركاء العاجزين؟؛
- الموثق؟ الذي له حساب فرعي من حساب السيولة فيه تسجل الأموال المودعة لديه؛
- السلفيات السندية التي هي حساب فرعي من حساب دائني الإستثمار.
- عمليات سندات المساهمة بتقسيمها إلى حسابات متعددة بحسب طبيعتها؛
- قيد الأرباح الموزعة بتوقع في حسابات فرعية تخصص لقسائم الدفع وأرباح الأسهم، وحصص الربح المتعلقة بالمستخدمين، ومساهمة العمال في أرباح المؤسسة، علاوة الحضور والإتاوات المستحقة.

وفي ١١ مارس١٩٩٠ صدر المرسوم 046/635F/DC/CE/90 المتعلق بحساب مشاركة العمال في أرباح المؤسسة، وفيه توضيح للسجلات اللازمة لهذه العملية.

وفي ٢ أكتوبر ١٩٩٥صدرت التعليمة رقم ٩٥/٠٠١ المتعلقة بتوفيق؟ محاسبة شركات المساهمة ، وهي تعالج طرق التسجيل المحاسبي للعمليات الخاصة بشركات المساهمة[١]، والتي تشمل:

- الأسهم المتحصل عليها من المؤسسات العمومية الاقتصادية.
- الأموال المتحصل عليها من الدولة للتدخل في المؤسسات : نفقات لتنمية المؤسسات العمومية الاقتصادية ولتطهيرها ماليا.
- الأرباح الناتجة عن الاسهم.
- النواتج المالية للأموال المودعة (مساهمات الدولة و الأرباح)،
- الحسابات الجارية للشركاء.

وأخيراً، صدرت التعليمة MF/DGC/518 في ٢١ أفريل ١٩٩٧، وهي تتعلق بحساب إعادة دمج فروقات إعادة التقييم، وتوضح الحسابات الفرعية للحساب ١٥: «فرق إعادة التقييم والإجراءات المحاسبية».

١- هي شركات أسندت لها مهمة تسيير أموال الدولة في الشركات العمومية.

يجب التنويه إلى انه تم إصدار خمسة (٥) مخططات محاسبية للقطاعات الآتية :

- الفلاحي (١٩٨٧)
- التأمين (١٩٨٧)
- البناء و الأشغال العمومية (١٩٨٨)
- السياحة (١٩٨٩)
- البنوك (١٩٩٢).

هـذه المخططـات المحاسبيـة الخمسة تقـدم بصورة عامـة قائمـة الحسابـات، المصطلحات التفسيريـة، وقواعد عمل الحسابات والوثائق الشاملـة، غير أن أي واحد منها لم يعالج المحاسبة التحليلية.

هنـا، نحن أمـام تعديـل للإتفاقية الخاصة بـ (PCN) عن طريـق تفريع المخطـط المحاسبي (PCN) وتطويعها لملائمة الاحتياجات القطاعية المختلفة.

ب- خصائص المخطط الوطني للمحاسبة PCN 1975 :

ب-١ على المستوى التصوري:

يسمـح الإطـار التصوري بتحديـد المبادئ التي قامـت عليها القواعـد المحاسبيـة وقواعد نشر الحسابات، والأهداف التي تتوخى تحقيقها.

ب-١-١ مرجعية الإطار التصوري:

إن غيـاب الإطـار التصوري، حتـى وإن كان ضمنياً، يسبب ركود فـي المحاسبة،. وبدون مرجعية، تظهـر المشـاكل الجديدة والوضعيـات غير المنتظرة التـي لم يكن المخطط الوطنـي للمحاسبة (PCN) يتوقعهـا، حيث وهذه لا يمكن حلها بإجتهادات شخصيـة من قبل المهنيين، فالتفسيرات لا تتفق بالضرورة.

ب-١-٢ الأهداف ومستعملي المعلومات المحاسبية :

تشـكل المعلومـات الخاصة بالإقتصـاد الكلـي والإحصائيات أولويـة للتصور للمخطـط الوطني للمحاسبـة. وتنتـج هذه المعلومات من خـلال تصنيف الأعباء حسب طبيعتهـا وإعدادها. ويمكن أن تـؤدي الأهـداف الإقتصاديـة الكلية المخصصـة للمحاسبة إلى معلومات لا تهـم المستعملين الآخرين أو المؤسسة نفسها.

ب-٢ على المستوى التقني:

يتعلـق بالإطـار المحاسبي، تصنيف الحسابـات، الوثائق الشاملة، قواعـد التقييم، معالجة بعض العمليات، الدعائم، والوثائق المحاسبية.

ب-٢-١ الإطار المحاسبي:

يلاحظ أن قائمة الحسابات للمخطط الوطني للمحاسبة لا تتضمن حسابات بعينها.

ب-٢-٢ تصنيف الحسابات:

تصنف الديون والذمم حسب طبيعتها وليس حسب السيولة، مما لا يسهل التحليل المالي.

تعريـف أقسام الإستثمـار(٢)، المخزون (٣) والذمـم (٤) يستند على تصـور قانوني للمؤسسة (ممتلـكات المؤسسـة) لا يسمـح بتقديـم أداة الإنتـاج، ولا يميـز بيـن أصول الإستغـلال وخارج الإستغلال، ولا تقديم الممتلكات المستعملة غير المملوكة للمؤسسة.

ب-٢-٣ الوثائق الشاملة:

الوثائـق الشاملـة عديدة منها سبعة عشرة جدولاً؛ وهذه الجـدول هي هي نفسها مهما كانت حجم المؤسسة ونشاطها.

ب-٢-٤ طرق التقييم:

لا توجـد أي طريقة معتمدة لتقييم مدخلات ومخرجات المخزون.وقـد أعطيت المؤسسات حرية إختيار طرق تثمين أكثر ملائمة مع خصوصية المخزونات.

ب-٢-٥ معالجة بعض العمليات:

المخطط الوطني للمحاسبة لا يعالج بعض العمليات، نذكر منها مثلا: القرض الإيجاري، العمليات بالعملة الأجنبية...إلخ.

ب-٢-٦ الدعائم والوثائق المحاسبية:

لـم يكن ممكنـاً للمخطط الوطنـي للمحاسبـة أن يتوقع التطـور المتمثل بمكننـة المحاسبة، كما ولم يلحـظ تنظيم مسك الدفاتر المحاسبيـة، وإعداد دليل لإجـراءات المحاسبة ودعائم ووثائق محاسبية، فترك أمر التنظيم المحاسبي لتقدير المؤسسة.

٢-٤ إصلاح المخطط الوطني للمحاسبة:

بـدأت أعمال إعادة النظـر بالمخطط الوطني للمحاسبة في سنة ١٩٩٨. فـي بداية الأمر أسندت

هده المهمة إلى هيئة وطنية، ثم كلفت هيئة خارجية بهذا العمل.

أ- أعمال لجنة المخطط الوطني للمحاسبة :

فـي إطـار الإصلاحات المحاسبيـة، حددت للهيئـة الرسمية للمعاييـر المحاسبيـة، المتمثلة في المجلس الوطني للمحاسبة (CNC)، مهمة أولية هي مراجعة المخطط الوطني للمحاسبة وتعديله بما يتلاءم مع التغيرات الحاصلة في الإقتصاد الوطني بإعتباره أداة ملائمة للتسيير.

إعتمدت اللجنة المذكورة المنهجية التالية:

- تقييم وضعية التطبيق ونقائص المخطط الوطني للمحاسبة (PCN) من خلال أداة التقييم؛
- إعداد مشروع مخطط محاسبي؛
- جمع ملاحظات وتوصيات المهنيين والمستعملين حول المشروع.
- إعداد مخطط جديد للمحاسبة مع أخذ الملاحظات المجمعة بعين الإعتبار.
- تقديم المشروع إلى المجلس للفحص.

أ-١ التقييم:

فـي إطار أعمالها، قامت اللجنة بإعداد إستبيانين لتقييـم المخطط الوطني للمحاسبة (PCN). يتكـون الإستبيان الأول من قسميـن: القسم الأول مخصص للإعتبـارات العامة، ويعالج المبادئ المحاسبيـة، المعاييـر والمرجعيـات. ويهتـم القسـم الثانـي بأحـكام PCN (التنظيـم ومسك الحسابات، المصطلحات، قواعد العمل، والتقييم).

أمـا الإستبيـان الثاني، فقد احتوى على أسئلـة مفتوحة تتعلق بالمصطلحـات، الإطار المحاسبي، تقديم الميزانية، تقديم جدول حساب النتائج (TCR)، ملاحق الوثائق الشاملة، وطرق التقييم.

توصلت اللجنة في تقريرها التقييمي للمخطط الوطني للمحاسبة الى النتائج التالية:

- تخصيص فصول خاصة للمبادئ، قواعد التقييم، والمصطلحات المحاسبية؛
- إعادة النظر في عدد، شكل و محتوى الوثائق الملحقة .
- إعادة النظر بقائمة الحسابات وإثرائها للإستجابة بشكل أفضل لإحتياجات المستعملين.

أ-٢ خيارات اللجنة:

إحتفظت اللجنة بخيار مراجعة المخطط الوطني للمحاسبة وبمبادئ المراجعة.

أ-٢-١ مراجعة المخطط الوطني للمحاسبة:

أخذت اللجنة إجابات الإستبيان الأول بعين الإعتبار، وأختارت مراجعة المخطط الوطني للمحاسبة

PCN واستبعدت خيار الاستبدال. ومن الدوافع التي حفزت اللجنة على تبني هذا الإختيار تسهيل الاستخدام من قبل المطبقية والتكلفة المرتفعة الناجمة عن الإصلاح. كذلك، فإن اللجنة ترى أن استبدال المخطط الوطني للمحاسبة PCN يضر بالمهنيين.

أ- ٢-١-٢ المبادئ التوجيهية للمراجعة:

حددت اللجنة المبادئ التوجيهية التالية:

- المبادئ المحاسبية، قواعد التقييم وعمل الحسابات يجب أن تشغل مكانة مهمة داخل المخطط المحاسبي؛
- يجب أن تكون المصطلحات كاملة، واضحة، و معدة بطريقة أفضل من أجل تلبية إحتياجات المستعملين؛
- البيانات الموجزة يجب أن تحسن، وتبسط، وتكمل تماشيا مع متطلبات القانونية والمعالجة المعلوماتية؛
- الملاحق يجب أن تكون مبسطة وغنية وتلعب دورا مكملا بالنسبة للميزانية ولجدول حساب النتائج (TCR)، وأن لا تكرر ما جاء في هذه الأخيرة ؛
- المحاسبة التحليلية يجب ألا أن تكون مدونة في المخطط المحاسبي الجديد وستترك لمبادرة المؤسسة.

ب- الإقتراحات التي قدمها المجلس الوطني (الفرنسي) للمحاسبة إلى الجزائر:

تم وقف أنشطة لجنة المخطط الوطني للمحاسبة سنة ٢٠٠١ وأسندت مهمة تغيير المخطط المحاسبي إلى المجلس الوطني الفرنسي للمحاسبة بعد ما فاز بالمناقصة التي جرى تمويلها من قبل البنك العالمي.

بعد دراسة المخطط الوطني للمحاسبة في الجزائر، قدم المجلس الوطني (الفرنسي) للمحاسبة ثلاثة خيارات:

ب-١ السيناريو الأول: تعديل بسيط للمخطط الوطني المحاسبي

بحسب هذا السيناريو، يتم الإحتفاظ بالهيكل الحالي للمخطط الوطني المحاسبي PCN ، ويقتصر الإصلاح على التحسينات التقنية مع الأخذ بعين الإعتبار تغيرات المحيط الإقتصادي الجزائري.

ب-٢ السيناريو الثاني: تكييف المخطط الوطني للمحاسبة والإنفتاح على الحلول الدولية

في هذا السيناريو، يبقى هيكل للمخطط الوطني المحاسبي PCN على حاله مع إدخال بعض الحلول التقنية المطوّرة حسب المعايير المحاسبية الدولية. فإن هذا السيناريو يسمح للمؤسسات

بتقديـم حسابـات مفهومة من قبـل المستثمرين الأجانب كمـا ويتيح الإطلاع علـى معلومات عن الشركات بشفافية أكبر انسجاماً مع متطلبات الحوكمة.

ب- ٣ السيناريو الثالث: إعداد نظام محاسبي مطابق للمقاييس المحاسبية الدولية

يرمـي هـذا السيناريو إلى إنتـاج نسخة جديدة محدثة مـن المخطط الوطنـي للمحاسبة بحسب المفاهيـم، المبادئ، القواعد، والحلول المستنبطة من المعاييـر المحاسبية الدولية (مع إحترام الخصوصية الجزائريـة). في هذه الصيغة الجديدة للمخطط الوطني المحاسبي PCN، ستكون المعالجـات بالنسبـة للأهـداف المنسوبـة للمحاسبة، وسيجـد المستثمرون الأجانـب سيجدون المعالجات المستعملة على المستوى الدولي.

٤- ٣ الخيار الجزائري من أجل الإصلاح المحاسبي:

بعـد تقديـم السيناريوهات الثلاثـة المقترحة من قبل المجلـس الوطني (الفرنسـي) للمحاسبة (CNC)، فضّل المجلس الوطني (الجزائري) للمحاسبة تبني الإختيار الثالث. ينبغي التأكيد على أن البنـك الدولـي والصندوق النقـدي الدولي يفضـلان أن تطبّق الدول التي تلجـأ إليهما لتمويل مشاريعهـا المعاييـر المحاسبية الدولية. وحيـث أن إصلاح المخطط الوطنـي المحاسبي PCN تـم بتمويل من البنـك الدولي، فربما أثر ذلك على تبني الجزائـر للسيناريو الثالث؛ وهو ما يفسر التوجـه نحـو التغيير الجذري. يشمل هذا المرجع المحاسبي الجديـد للمؤسسة جزءاً معتبراً من المعاييـر IAS-IFRSالتي تم إصدارها في إطـار تقديم الوثائق المالية. وفي الواقع، فقد حصل تغييـر في الثقافـة المحاسبية يتجاوز مجال المحاسبـة نحو السعي لتقريـب القواعد المحاسبية المطبقة من قبل المؤسسات الجزائرية من معايير IFRS.

التغييـر فـي الإتفاقية تم تحت تأثير الإتصـال والنية الإستراتيجية؛ فتعزيـز الإتصال مع مختلف الشركاء تم نتيجة تحرير الإقتصاد، في حين نتجت النية الإستراتيجية عن الدور الذي لعبه البنك الدولي والصندوق النقدي الدولي في الدفع بإتجاه هذا الخيار، وخاصة على مستوى قرار التمويل.

الخاتمة:

انفتـاح الاقتصـاد الجزائري على العولمـة هو كذلك فرصة لإصلاح أو تعديـل المجال المحاسبي الموجـود بعمـق. وللإشـارة، فإن المخطـط الوطني المحاسبـي PCN طبق منـذ ١٩٧٥ واستمر حتـى العـام ٢٠٠٩، وكان ملائمـا للاقتصـاد المركزي إلا أنـه أصبح لا يلبي انشغـالات المهنيين والمستثمرين، وذلك للأسباب التالية:

- المقاربة من حيث الملكية وليس من الناحية الاقتصادية.
- كان مناسبا لانشغالات إدارة الضرائب والإدارات الأخرى.

- عـدم اخـذ المعطيات الجديدة وبعض المفاهيم المستحدثـة (مثل القيمة الحقيقية، القيمة النفعية...) بعين الاعتبار

من خلال التفكير وإعداد المرجع المحاسبي، دخلت الجزائر في مرحلة تطبيق المعايير الأساسية لـ IAS-IFRS. إن الإطار التصوري حدد المبادئ والفرضيات التي تسمح بإعداد الوثائق المالية للمؤسسـات: الميزانية وحساب النتائج وغيرها من الوثائق والمعلومات التي بات إعلانها ونشرها مطلوبـاً بموجب المخطط الوطني المحاسبي PCN المحدّث. يسمح ذلك بإعطاء الأولية للجانب الإقتصـادي والمالي للعمليات بدلا من المظاهر القانونيـة، كما يسمح بوجود نظام معلومات جداً مبسط معتمداً على محاسبة الخزينة بالنسبة للمؤسسات الصغيرة. إن النظام المحاسبي الجديد للمؤسسـات يجـب أن يتكيف مع التحولات في المحيط البيئي للمؤسسـة، والذي يستعمل حاليا في إطار الإقتصاد ليبرالي حيث توجد عمليات وتبادلات خاصة.

عـلاوة على ذلك، وخـلال التطور التاريخـي للإصلاحـات المحاسبية فـي الجزائر (التحول من P.C.G إلـى PCN، والتحـول مـن PCN إلى SCF، النظام المحاسبي والمالـي الجديد)، فإننا نلاحظ بوضوح مكانة الإتفاقيات في التحولات.

محمد أحمد العثمان

مدرس لمادة التربية الإسلامية في ثانويات حلب

استثمار أوقاف الجمعيات الخيرية الإسلامية
أحكام وضوابط

المقدمة:

الحمـد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه والتابعين، والأئمة الأربعة المتبوعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعدُ:

تعـد الجمعيات الخيريـة الإسلامية المتوزعة في أصقاع بلدان الـدول الإسلامية من أهم الروافد التـي تغذي الفقراء وذوي الحاجات وكذا المرضى وأهل الإعاقة، ولكن الأمر الوحيد الذي يضمن لهـا دوام بقائهـا واستمرار عطاءاتهـا هو تنامي مواردهـا، ولا يكون ذلك إلا عـن طريق استثمار مواردها القابلة للاستثمار، والبحث يهتم بجانب من موارد الجمعيات الخيرية ألا وهو الأوقاف.

أهميـة البحث: إن أهم ما يطرق أبواب الجمعيات الخيرية الإسلامية هو عملية استثمار الأوقاف الموقوفـة عليهـا أو على غاياتها، وهي بدورهـا أيضاً قد أقلقت القائمين علـى الجمعيات لأسباب كثيـرة: منها اختلاف ألفاظ الواقفين الأمر الذي يوجـب العمل بألفاظهم وصيغ وقفياتهم، ومنها أيضـاً تحديد صيغ الاستثمار الصحيحة والنافعة شرعاً واقتصاداً، وأخيراً كثرة الاحتياج للنفقات من قبل المستحقين، ومن هنا يكتسب هذا الموضوع أهمية خاصة.

الغرضـ من البحـث: إن الغرض من البحث هو إيضاح المسائل المشكلة التي تؤثر في الاستثمار مـن قريـب أو بعيد هذا مـن جهة، ومن جهة أخرى بيـان الضوابط الشرعيـة ممزوجة بالضوابط الاقتصادية التي تكفل الاستثمار الآمن لأوقاف الجمعيات الخيرية الإسلامية.

مشكلة البحث: تكمن المشكلة في تنوع الأحكام المؤثرة في عملية الاستثمار، وفي غياب الضوابط الشرعيـة والاقتصادية التي تحدد للقائمين على الجمعيات الخيرية مسارهم الاستثماري لأوقاف الجمعية.

منهج البحث: لقد سلكت في بحثي منهج المقارنة بين المذاهب الأربعة قدر الإمكان، كما اعتمدت

فـي تصحيح الأحاديث على مظانها، فإن كان الحديث مخرجاً في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإن كان مخرجاً في غيرهما ذكرت حكمه عند المعتمدين من أهل هذا الفن.

الدراسـات السابقـة: لم اظفر على بحـث تناول هذا الموضوع بالخصوص، إلا ما كان مكتوباً في بعض الكتب التي تتناول أحكام الوقف عموماً، وهي لا تغني المقام، ولا تأتي بالمرام.

خطة البحث: تتجلى الخطة فيما يلي:

مطلب تمهيدي:

الفرع الأول: تعريف استثمار الأوقاف لغة واصطلاحاً.

الفرع الثاني: مشروعية الأوقاف على السبل المختلفة.

الفرع الثالث: حكم الاستثمار لأموال الأوقاف من قبل القائمين على الجمعيات الخيرية الإسلامية.

المطلب الأول: الأحكام الفقهية المؤثرة في عملية الاستثمار:

الفرع الأول: أقسام الأوقاف من حيث إمكانية استثمارها.

الفرع الثاني: حكم شرط الواقف.

الفرع الثالث: دور المصلحة في مخالفة شرط الواقف.

الفرع الرابع: ضابط سلطة الدولة في التصرف بالموقوف.

الفرع الخامس: أثر الغبطة الظاهرة في جواز التصرف بالموقوف من قبل القائمين على الجمعية الخيرية.

المطلب الثاني: ضوابط استثمار الأوقاف من قبل الجمعيات الخيرية:

الضابط الأول: ضابط الحلال والحرام.

الضابط الثاني: تكييف نوع الاستثمار حسب الحاجة في الأموال الموقوفة للاستعمال.

الضابـط الثالـث: ترتيـب الاستثمـارات حسـب الأكثر تحقيقـاً للمصلحـة في الأمـوال الموقوفة للاستغلال.

الضابط الرابع: البعد عن المخاطرة في الاستثمار.

الضابط الخامس: مراعاة شرط الواقف ما أمكن.

الضابط السادس: دراسة الجدوى الاقتصادية للمشروع الاستثماري.

الضابط السابع: الاعتماد على الإدارة الصالحة للمشروع الاستثماري.

مطلب تمهيدي:

الفرع الأول: تعريف استثمار الأوقاف لغة واصطلاحاً:

أولاً: معنى الاستثمار في اللغة: مصدر استثمر يستثمر، وهو للطلب، وأصله من الثمر، ويقال ثَمر الشجر ثموراً: أي أظهر ثمره، وثمر الشيء: أي نضج وكمل، ويقال ثمر ماله: أي كثر، وأثمر الشجر: أي بلغ أوان الإثمار، ويقال استثمر المال وثمّره: أي استخدمه في الإنتاج[١].

ثانياً: معنى الوقف في اللغة: الوقف في أصل اللغة هو سوار من عاج، يقال وقّفت المرأة توقيفاً، إذا جعلت في يديها الوقف، يعني أن السوار حبس يدها.

ويقال: فرسٌ موقَّف، إذا أصاب الأوظفة منه بياض في موضع الوقف ولم يعدها إلى أسفل ولا فوق، فذلك التوقيف، أي احتبس البياض في ذلك الموضع ولم ينتشر.

ووقف الدار للمساكين أو على المساكين إذا حبّسها.

ثالثاً: الاستثمار في الاصطلاح الشرعي هو: تنمية المال بكل الطرق المشروعة[٢].

وعُـرّف أيضـاً: بأنه جهد وراع رشيد يبـذل في الموارد المالية والقـدرات البشرية بهدف تكثيرها وتنميتها والحصول على منافعها وثمارها[٣].

رابعاً: تنوعت تعاريف الفقهاء للوقف، وذلك بسبب اختلافهم في أحكام الوقف عموماً، وقد اخترت تعريفين من مجموعها، وهما واحد للحنفية والآخر للمالكية.

حيث عرفه الصاحبان من الحنفية بأنه:«حبس العين على حكم ملك الله تعالى»[٤].

وعرفه المالكية بأنه:« إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازماً بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديراً»[٥].

خامسـاً: والمراد باستثمار الأوقاف في الاصطلاح الفقهي: هـو إحداث النماء والزيادة فيها، عن

١- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي/بيروت، ط/١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، مادة«ثمر». فيروز آبادي، القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي/بيروت، ط/١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧. في «ثمر».

٢- حماد، أساليب استثمار الأوقاف وأسس إدارتها بحث الدكتور نزيه حماد، ضمن أبحاث ندوة نحو دور تنموي للوقف، ثلة من المشاركين، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، ١٩٩٣م، ص١٧٣. المطوع، مشروع قانون الوقف الكويتي في إطار استثمار وتنمية الموارد الوقفية، الدكتورة: إقبال عبد العزيز المطوع، طبعة الأمانة العامة للأوقاف في الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م. ص٣٧٨-٣٧٩.

٣- دنيا، تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي، دراسة مقارنة، د.شوقي أحمد دنيا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٨٤م. ص٩٠.

٤- الزيلعي، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي رحمه الله، وبهامشه حاشية الشيخ شهاب الدين أحمد الشلبي على هذا الشرح الجليل، تصوير دار المعرفة /بيروت عن المطبعة الكبرى الأميرية، الطبعة الأولى١٣١٣هـ.٣/٣٢٥، ابن الهمام، شرح فتح القدير للعاجز الفقير، الامام كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي ثم السكندري المعروف بابن الهمام الحنفي، طبع دار إحياء التراث العربي /بيروت.٥/٤١٦.

٥- الحطاب، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل لأبي عبد الله محمد بن محمد المغربي المعروف بالحطاب المتوفى ٩٥٤هـ، دار الفكر /بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.٦/١٨.

طريق وضع صيغ تنموية شرعية مخصوصة. وهو الذي يعبر عنه بعملية التنمية.

ويمكن أن نعرفه أيضاً بأنه عملية تنمية أموال الوقف أو تنمية ريعها بكافة الصيغ الشرعية المتاحة مع الحفاظ على رأس مال الوقف ومراعاة الشروط المخصوصة ما أمكن.

سادساً: والجمعيات الخيرية الإسلامية هي: كل جماعة ذات تنظيم مستمرٍّ لمدة غير معينة، تتألف من أشخاص طبيعية أو اعتبارية لغرض غير الحصول على ربح مادي، بل لتحقيق غرض أو أكثر من أغراض البر أو الرعاية الاجتماعية قَصُرَ نفعها على أعضائها أو لم يقصُر عليهم، وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية.

الفرع الثاني: مشروعية الأوقاف على السبل المختلفة:

لقد عرف المسلمون الوقف قديماً منذ الرعيل الأول، وتعددت أنواعها بتعدد غاياتها وأهدافها، حيث وقف عدد من الصحابة رضوان الله عليهم بيوتات لأبنائهم وبناتهم ضمن شروط مخصوصة، كما روى البخاري[1] معلقاً[2] ووصله غيره قال: وقف أنس داراً فكان إذا قدم نزلها[3].

وتصدق الزبير بدوره قال للمردودة من بناته: أن تسكن غير مضرة ولا مضّر بها فإن استغنت بزوج فليس لها حق[4].

وجعل ابن عمر نصيبه من دار عمر سكني لذوي الحاجات من آل عبد الله[5].

١- الإمام البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم البخاري، صاحب الصحيح والتصانيف، مولده في شوال سنة«١٩٤هـ»، عكف على حفظ الحديث وهو صبي، ونشأ يتيماً، وكان رأساً في الذكاء ورأساً في العلم، ورأساً في الورع والعبادة، توفي ليلة عيد الفطر سنة«٢٥٦هـ». (الذهبي، تذكرة الحفاظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ، دار إحياء التراث العربي /بيروت.١/٥٥٥).

٢- رواه البخاري معلقاً في كتاب الوصايا، باب: إذا وقف أرضاً أو بئراً أو اشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين . (البخاري، الجامع الصحيح للإمام البخاري، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا، دار العلوم الإنسانية /دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.)

٣- ذكره البخاري في صحيحه معلقاً، في الوصايا، باب إذا وقف أرضاً أو بئراً.

وصله البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الوقف، باب الصدقات المحرمات، ١٦١/٦.(البيهقي، السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى ٤٥٨هـ، دار المعرفة /بيروت.)

٤- ذكره البخاري في صحيحه معلقاً، في الوصايا، باب إذا وقف أرضاً أو بئراً. وصله الدارمي في كتاب الوصايا، باب في الوقف (ح٣٣٤٣). ولفظه : عن هشام عن أبيه، أن الزبير جعل دوره صدقة على بنيه، لا تباع ولا تورث، وأن للمردودة من بناته أن تسكن غير مضرَّة ولا مضار بها، فإن استغنت بزوج فلا حق لها. (الدارمي، المسند للحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي المتوفى ٢٥٥هـ، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني /السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م). ورواه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب البيوع والأقضية، باب من كان يريد أن يوقف الدار والمسكن، ٢٥١/٦. (ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار للحافظ أبي بكر ابن أبي شيبة، تحقيق: مختار أحمد الندوي، الدار السلفية، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.) والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الوقف، باب الصدقة على ما شرط الواقف من الأثرة والتقدمة والتسوية، ١٦٦/٦.

٥- رواه البخاري معلقاً في الوصايا، باب إذا وقف أرضاً أو بئراً، فتح الباري ٤٨١/٥، وصله ابن سعد في طبقاته قال: أخبرنا خالد بن مخلد قال: حدثنا عبد الله بن عمر عن نافع قال: .. الحديث. (ابن سعد، الطبقات الكبرى لابن سعد، دار صادر/ بيروت.١٦٢/٤).

هـذا كله فضلاً عن الأوقاف التي أرصدت للفقـراء والمساكين في عهد النبي r، فكان هو الموجه لهم والمرشد لأبواب الخير.

أ - عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما[١] قال: «أصاب عمر[٢] أرضاً فأتى النبي صلى الله عليه وسلـم تأمره فيها، فقال: «يا رسول الله إني أصبت أرضاً بخيبر لم أصب قط مالاً أنفس عندي منـه فما تأمرنـي فيها؟ فقال: «إن شئت حبَّسـت أصلها وتصدقت بها، غير أنـه لا يباع أصلها ولا يبتـاع ولا يوهب ولا يورث، قال: «فتصدق بها عمـر في الفقراء وذوي القربى والرقاب وابن السبيـل والضعيف، لا جناح على من وليها أن يـأكل منها، أو يطعم صديقاً بمعروف غير متأثل فيه[٣] أو غير متموِّل فيه[٤]».

وجـه الاستدلال: الاستدلال بالحديث ظاهر على المقصـود إذ قوله صلى الله عليه وسلم «حبَّست أصلهـا» بمعنـى وقفت وهو ظاهر في الدلالة، وهذا الحديث هـو الأصل في هذا الباب، وقد اشتهر هذا الوقف بأنه أول وقف في الإسلام.

ب - وعن أنسٍ رضي الله عنه[٥] قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة نخلاً، وكان أحب أمواله إليه بيرحـاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيهـا طيب، فلما نزلـت ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٦] قال أبو طلحة:

١- عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر قبل أبيه، لم يشهد بدراً لأن النبي صلى الله عليه وسلم رده لصغر سنه، كان كثير الاتباع لآثار النبي صلى الله عليه وسلم وكثير الحج والصدقة ربما تصدق بالمجلس الواحد بثلاثين ألفاً، وقال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: إن عبد الله رجل صالح، توفي سنة«٧٣هـ». (ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، دار إحياء التراث العربي /بيروت.٢٢٧/٣، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، تحقيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر /بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.٣٤٧/٢)

٢- عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص، أمير المؤمنين، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، كان إسلامه بعد أربعين رجلاً، وشهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، مات شهيداً طعنه أبو لؤلؤة المجوسي سنة «٢٣هـ» ودفن مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه.(ابن الأثير، أسد الغابة٥٢/٤، ابن حجر، الإصابة٥١٨/٢)

٣- أخرجه البخاري في الوصايا، باب الوقف كيف يكتب، (ح٢٦٢٠). ومسلم في الوصية، باب الوقف، (ح١٦٣٢). (مسلم، الجامع الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي /بيروت)

٤- قوله صلى الله عليه وسلم:«غير متأثل فيه أو غير متمول فيه» روايتان، والمتأثل هو الجامع، يقال: مال مؤثّل ومجد مؤثل، أي مجموع ذو أصل. والتأثل: اتخاذ أصل المال حتى كأنه عنده قديم. وقوله «غير متمول فيه» أي غير متخذ منها مالاً أي ملكاً. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري الشهير بابن الأثير ٥٤٤هـ/ ٦٠٦هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء التراث العربي /بيروت.٢٣/١ و ٣٧٣/٤، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر، اعتنى به: محمود بن الجميل، ط/مكتبة الصفا، ط/١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.٤٧٥/٥).

٥- أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، أبو حمزة خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمه أم سليم بنت ملحان، خدم النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنوات، فدعا له بكثرة المال والولد، وهو من المكثرين في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي سنة «٩٣هـ»، وكان عمره مائة وثلاث سنوات. (ابن الأثير، أسد الغابة ١٢٧/١، ابن حجر، الإصابة٧١/١).

٦- آل عمران: ٩٢

يارسـول الله، إن الله تبارك وتعالى يقـول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وأن أحـب أموالي إليَّ بيرحاء وإنها صدقة لله، أرجو برَّها وذخرها عند الله، فضعها يارسول الله حيـث أراك الله، فقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بـخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقـد سمعـت ما قلـت: إنـي أرى أن تجعلها في الأقربين، فقـال أبو طلحة: أفعـل يارسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه[1].

وجـه الاستـدلال بالحديث: هو قوله (وإنها صدقة لله)، والتصدق هنـا بمعنى الوقف، لأنهم كانوا يطلقـون لفظ الصدقة على الوقف، والصدقـة بالحائط هي وقف، ويزيد الاستدلال وضوحاً إقرار النبي صلى الله عليه وسلم له بقوله: بخ.

وقـال ابـن حجر رحمه الله[2] في فتـح الباري: «واستُدلّ به على مشروعيـة الحبس والوقف خلافاً لمن منع ذلك وأبطله»[3].

الفـرع الثالـث: حكم الاستثمـار لأموال الأوقاف مـن قبل القائمين علـى الجمعيات الخيرية الإسلامية:

إن الفكـرة التي بني عليها الوقف الإسلامي عموماً، ووقـف الجمعيات الخيرية خصوصاً، هي سد حاجـات المحتاجيـن، وإكفاء المعوزيـن، ولا يتكامل مثل هـذا العمل إلا عن طريـق ضمان موارد يشترط لها ما يلي:

أ - أن يكـون المـورد دائماً: ويكون ذلـك باستغلال فكرة الوقـف المؤبد على مصالـح الجمعيات الخيرية.

ب - أن يكون المورد مستقراً: ويمكن تأمين ذلك عن طريق الاستثمار في صيغ آمنة وخصوصاً في مجـال العقارات من أراض وبيوت ودكاكين، ومن أفضل سبل تحقيق ذلك هو دراسة الجدوى الاقتصادية لأي مشروع استثماري يراد إقامته.

ج - أن يكـون المورد نامياً: حيث يعد هذا الشرط مكملاً لأفضل أنواع النجاح في عمليات استثمار أموال الأوقاف للجمعيات الخيرية الإسلامية.

١- أخرجه البخاري في الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، (ح ١٤١٦). ومسلم في الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج. (ح ٩٩٨).

٢- ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي أبو الفضل الكناني العسقلاني المصري ثم القاهري الشافعي، الشهاب إمام الأئمة، ويعرف بابن حجر وهو لقب لبعض آبائه، ولد سنة ٧٧٣هـ صاحب المصنفات، انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر، ومنها فتح الباري شرح صحيح البخاري، وبلوغ المرام من أدلة الأحكام، وإنباء الغمر بأبناء العمر وغيرها، توفي رحمه الله سنة ٨٥٢هـ، ودفن بالقرافة تجاه تربة الديلمي. (السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة /بيروت.٣٦/٢، الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشيخ محمد بن علي الشوكاني المتوفى ١٢٥٠هـ، تحقيق: د.حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر /دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.ص١٠٣، الزركلي، الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط/٨، ١٩٨٩م،١/١٧٨).

٣- ابن حجر، فتح الباري، كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضاً، ٤٦٥/٥.

ومـن هنا يتبين لنا استحباب الاستثمـار لأموال الأوقاف من قبل الجمعيـات الخيرية الإسلامية، وعدم تركها للزمان ليأكلها. والله تعالى أعلم.

المطلب الأول: الأحكام الفقهية المؤثرة في عملية الاستثمار:

تتأثـر عملية استثمار الأوقاف من قبـل الجمعيات الخيرية الإسلامية بأحـكام كثيرة، الأمر الذي يعيـق عملية الاستثمار أو يسـرع عجلته، مما يلزمنا في بحثنا هذا أن نقف على جملة هذه الأحكام شرحاً وتفصيلاً لآراء الفقهاء رحمهم الله تعالى، وذلك في الفروع الآتية:

الفرع الأول: أقسام الأوقاف من حيث إمكانية استثمارها:

القسم الأول: أوقاف لا يمكن استثمارها مطلقاً:

ويشمـل هذا القسـم المسجد والمقبرة، حيث لا يجوز استثمار المسجـد أبداً، لا في حال الاختيار ولا فـي حـال الضرورة، ومهما كان نـوع الاستثمار، ويمكن التمثيل لحالات الضـرورة بما يلي: كما إذا تهـدم مسجد ما حيث يحتاج إلى أموال لإصلاحـه، ولا يوجد ما يسد حاجة المسجد ويتصدى لنفقـات ترميمـه إلا بتأجيره، فلا يصح تأجيره. والحكم ذاته فيما لـو غادر أهله المقيمون حوله، فلـم يبـق حاجة للمسجد، لأن المسجدية باقية لا تزول عنه، وكذلك الحكم بالنسبة للمقبرة، لأنها تلحق به.

إلا أن محمداً من الحنفية والحنابلة أجازوا بيع المسجد في حال ذهاب أهله المقيمين حوله، على أن ينقل ثمنه إلى بناء مسجد آخر، وأهله أولى بالثمن لبناء مسجد في محلتهم الجديدة[1].

القسم الثاني: أوقاف يمكن استثمارها عند الحاجة:

هـي الأوقاف التي وقفها أصحابها لاستعمالها، كالدور الموقوفة على الطلاب أو الفقراء، وكالبناء الموقـوف لأعمال الجمعيـات الخيرية، فهذا القسم يعد وقفاً غير إنتاجـي، فلا نتاج له لأن طبيعة وقفه لأجل استعماله في الوجوه التي جعل لأجلها، فهو إذاً غير مخصص للإنتاج والاستثمار، وعليه فـلا يصح استثماره لمانـع شرعي، إلا في حالات الضرورة التي قدرها الفقهاء في حدود إصلاحه وعمارتـه إن أبى الموقوف عليه ذلك، حيث يقوم القاضـي بتأجيره لمدة لا تزيد عن حاجة الوقف الإصلاحية.

القسم الثالث: أوقاف موقوفة للاستثمار:

وهـذا القسم هـو موقوف على الجمعية الخيريـة لأجل استثماره ومن ثم صـرف ريعه في مصالح الجمعية ومصارفها، كالدور والدكاكين والبساتين الموقوفة عليها، وكذلك كالفنادق والعمائر التي تستثمر بأنواع من صيغ الاستثمار.

١- البابرتي، شرح العناية على الهداية لأكمل الدين محمد بن محمود البابرتي المتوفى ٧٨٦هـ على هامش فتح القدير.٥/٤٤٦، البهوتي، كشاف القناع لمنصور بن يونس البهوتي، تحقيق: الشيخ محمد عدنان ياسين درويش، دار إحياء التراث العربي / بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.٤/٢٨٦.

الفرع الثاني: حكم شرط الواقف:

ذكـر الفقهاء قاعـدةً وهي: «شرط الواقف كنصـ الشارع»، كناية عن الالتـزام بشرط الواقف ما أمكن.

وتتعلق بهذه القاعدة مسألتان: الأولى: طريقة فهم المراد من الشرط.

الثانية: وجوب العمل به وعدم مخالفته.

الأولى: طريقة فهم المراد من الشرط:

اتفقت المذاهب الأربعة على أنه يراعى شرط الواقف ما أمكن حتى قالوا: يجب الالتزام بشرطه، ولكن وفق ضوابط وقيود.

ولكنهـم اختلفـوا وراء ذلك في درجة الالتزام بدلالة الشرط ومفهومـه، فذهب أصحاب المذاهب الثلاثة غير الحنفية إلى اعتبار دلالة الشرط ومفهومه دون التفريق بينهما[1].

وأما الحنفية فقد ذهبوا إلى عدم اعتبار مفهوم المخالفة في شرط الواقف حيث نقل ابن عابدين : رحمـه الله : عن الإمام الخصاف[2] والعلامة البيري[3] والعلامة قاسم[4] وعن الفتاوى الخيرية القـول بعدم العبرة بالمفهوم حيث نقل عن الخيرية قوله: «أي فإذا قال: وقفت على أولادي الذكور يصرف إلى الذكور منهم بحكم المنطوق، وأما الإناث فلا يعطى لهن لعدم ما يدل على الإعطاء إلا إذا دل في كلامه دليل على إعطائهن فيكون مثبتاً لإعطائهن ابتداءً لا بحكم المعارضة».

وهنـاك قول آخر عند الحنفيـة: نقله ابن عابدين عن المتأخرين : يقـول باعتبار المفهوم كما هو

١- عليش، منح الجليل شرح على مختصر سيدي خليل للشيخ محمد عليش، دار الفكر /بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.٨/١٤٧، الشربيني، مغني المحتاج للخطيب الشربيني، دار المعرفة /بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.٢/٤٩٧، البهوتي، كشاف القناع ٤/٢٥٨.

٢- الخصّاف: أحمد بن عمر بن مهير الخصاف، أخذ عن أبيه عن الحسن عن أبي حنيفة رحمه الله، كان فرضياً حاسباً عارفاً بمذهب أبي حنيفة، له كتاب الحيل وكتاب الوصايا، وكتاب الشروط الكبير والصغير، وكتاب الرضاع وكتاب أحكام الوقف وغيرها من الكتب، وكان ورعاً زاهداً يأكل من كسب يده، مات سنة ٢٦١هـ وقد قارب الثمانين. (اللكنوي، الفوائد البهية في تراجم الحنفية للشيخ محمد عبد الحيّ اللكنوي الهندي، تحقيق: أحمد الزعبي، دار الأرقم /بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.ص٥٦، الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تقي الدين عبد القادر التميمي الداري الغزي المصري الحنفي المتوفى ١٠٠٥هـ، تحقيق: د.عبد الفتاح محمد الحلو، دار الرفاعي /الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.١/٤١٨، ابن قطلوبغا، تاج التراجم، أبو الفداء زين الدين قاسم بن قطلوبغا السودوني المتوفى ٨٧٩هـ، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم /دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.ص٩٧).

٣- البيري: علي بن عبد الله بن يوسف البيري ثم الحلبي، علاء الدين، نشأ واشتهر بحلب، واستكتبه السلاطين، وولي كتابة السرّ للأمير يلبغا الناصري نائب حلب، توفي سنة «٧٩٤هـ». (الزركلي، الأعلام ٤/٣٠٦).

٤- العلامة قاسم بن قطلوبغا، زين الدين، أبو العدل، فقيه حنفي مؤرخ باحث مولده ووفاته بالقاهرة، له تاج التراجم، غريب القرآن، والفتاوى وشرح مختصر المنار، وهو تلميذ الكمال ابن الهمام، ولد سنة «٨٠٢هـ» وتوفي سنة «٨٧٩»هـ. (اللكنوي، الفوائد البهية، ص ١٦٧، الزركلي، الأعلام ٥/١٨٠).

عليه أهل المذاهب الأخرى[1].

الثانية: وجوب العمل به وعدم مخالفته:

اتفقوا أيضاً على أنه يجب العمل بالشرط ولا تجوز مخالفته إلا إذا دعت الضرورة والمصلحة لها، سواء قُدِّرت من قبل الواقف أو الموقوف عليهم أو الناظر أو القاضي، وذلك بحسب الشرط أو حسب الضرورة والمصلحة القائمة بالعين الموقوفة[2].

وعموماً إن قاعدة «شرط الواقف كنص الشارع» ليست على إطلاقها[3]، لأن من الشروط ما لا تصح، ومنها ما يبطل العقد ويفسده، فما هي إذاً ضوابط شروط الواقف؟

أ - أن لا يخالف الشرط المبادئ العامة للشريعة الإسلامية.

ب - أن لا يخالف الشرط مقتضى الوقف أو مضمونه.

ج - أن لا يضرّ الشرط بمصلحة الوقف أو غايته.

د - أن لا يكون الشرط مما يؤدي إلى تعطيل الانتفاع بالوقف أو تقليله.

هـ - أن لا يضر بمصلحة الموقوف عليه وحقوقه[4].

- الفرع الثالث: دور المصلحة في مخالفة شرط الواقف:

- الأصل في شروط الواقف وجوب العمل بها وفق الضوابط التي ذكرناها، ولكن قد يضر شرط الواقف: مع مرور الأزمان والعصور: بمصلحة الوقف أو الموقوف عليه أو بمصلحة المسلمين العامة، فهل يجوز عندئذٍ مخالفة هذه الشروط؟

وذلك كما في مسألة من اشترط عدم بيع الموقوف، إلا أن الموقوف وصل إلى درجة لا يمكن الانتفاع به إلا ببيعه أو استبداله بآخر.

فهل يجوز في هذه الحالة البيع أو الاستبدال أم لا؟

وما هو دور المصلحة في مخالفة شرط الواقف؟

أولاً: معنى المصلحة:

المصلحة المرادة في الوقف ما يقابل المفسدة، فإذا كان وجود شرط الواقف يؤدي إلى مفسدة،

١- ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، لخاتمة المحققين محمد ابن عابدين، تحقيق:محمد صبحي، حسن الحلاق، عامر حسين، دار إحياء التراث العربي /بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.٤/٦٣٤.

٢- ابن نجيم، الأشباه والنظائر، مع نزهة النواظر على الأشباه والنظائر لابن عابدين، تحقيق مطيع الحافظ، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.٢/٢٢٨، داماد أفندي، مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر، لعبد الله بن محمد بن سليمان المعروف بداماد أفندي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي /بيروت.١/٨٥٤، الحطاب، مواهب الجليل ٦/٣٦، الشربيني، مغني المحتاج ٢/٤٩٧، البهوتي، كشاف القناع ٤/٢٥٨، وهذا هو الصحيح من مذهب الحنابلة أنه يراعى شرطه في وجوب العمل به.

٣- داماد أفندي، مجمع الأنهر ١/٧٥٣+٧٥٤.

٤- المطوع، مشروع قانون الوقف الكويتي ص ١٧٧.

فمخالفة الشرط فيها مصلحة.

والمصلحة التي تؤثر في مخالفة شرط الواقف، تتعلق بأحد أربعة أطراف:

أولاً: مصلحة الموقوف: فإن كانت مصلحة الموقوف تتأثر بشرط الواقف جازت مخالفته، كأن يشترط الواقف منع بيع الموقوف حتى في حال تعطل جميع منافعه أو أكثرها.

ثانياً: مصلحة الموقوف عليه: فإن كانت مصلحة الموقوف عليه تتأثر بشرط الواقف جازت مخالفته أيضاً، كأن يشترط الواقف أن نفقة الموقوف على الموقوف عليه.

ثالثاً: مصلحة المسلمين العامة: فإذا تعارضت مصلحة المسلمين العامة مع شرط الواقف قدمت المصلحة العامة، كالدكان الموقوف الذي اشترط واقفه عدم هدمه أو تغيير مواصفاته وضاق الطريق على المسلمين ولا مناص إلا بهدمه جاز هدمه بإذن القاضي.

رابعاً: مصلحة القائمين على الموقوف: كما إذا شرط مرتباً للقائمين على الموقوف من ناظر أو إمام أو مؤذن أو غيرهم، وكان المرتب لا يكفيهم جاز للقاضي أن يزيد مرتبهم من الموقوف.

فالمصلحة التي تؤثر في تغيير شرط الواقف تتعلق بواحد من هذه الأطراف الأربعة.

ثانياً:آراء الفقهاء في المسألة:

اتفق الفقهاء على أن للمصلحة دوراً في مخالفة شروط الواقف من حيث الجملة، إلا أنهم اختلفوا في تقدير المصلحة الراجحة في كل طرف ما أدى ذلك إلى اختلافهم في الفروع الفقهية، وهذا تفصيل مذاهبهم:

مذهب الحنفية:

ذكر الحنفية العديد من المسائل التي تجوز فيها مخالفة شرط الواقف، وقد اشتهرت هذه المسائل بالمسائل السبعة، وهي كالتالي:

الأولى: شرط الواقف أن القاضي لا يعزل الناظر، فله عزل غير الأهل.

الثانية: شرط أن لا يؤجر وقفه أكثر من سنة، والناس لا يرغبون في استئجار سنة، أو كان في الزيادة نفع للفقراء، فللقاضي المخالفة دون الناظر.

الثالثة: لو شرط أن يقرأ على قبره، فالتعيين باطل على القول بكراهة القراءة على القبر، ولكن الفتوى على قول محمد رحمه الله في جواز القراءة[٥].

الرابعة: شرط أن يتصدق بفاضل الغلة على من يسأل في مسجد كذا كل يوم، لم يراع شرطه، فللقيم التصدق على سائل غير ذلك المسجد أو خارجه أو على من لا يسأل.

الخامسة: لو شرط للمستحقين خبزاً أو لحماً معيناً كل يوم، فللقيّم أن يدفع القيمة من النقد، والراجح أن الخيار لهم دلالة، أي إما طلب العين أو أخذ القيمة.

٥- في هذه المسألة ليس السبب في مخالفة شرط الواقف هو المصلحة، وإنما هو مخالفة الشرط لمبدأ من مبادئ الشريعة العامة.

السادسة: تجوز الزيادة من القاضي على معلوم الإمام، إذا كان لا يكفيه وكان عالماً تقياً.

السابعة: شرط الوقف عدم الاستبدال، فللقاضي الاستبدال إذا كان أصلح[١].

ويمكـن أن تستخلـص من هذه المسائل القواعد التي يكون بهـا مخالفة شرط الواقف، وقد ضبط هذه القواعد الأستاذ الشيخ مصطفى الزرقا رحمه الله فقال:

فيما يجوز من الشروط وتجوز مخالفته عند الحاجة:

أ - كل شرط قد يؤول إلى تعطيل استثمار الوقف أو قلة الثمرة.

ب - كل شرط في مصارف الوقف قد يؤول إلى التعذر.

ج - كل شرط قد يؤول إلى غبن القائمين بأعمال الوقف الضرورية في أجورهم.

د - كل شرط تكون مخالفته أسهل تنفيذاً، دون إخلال بالمقصود من غرض الواقف[٢].

مذهب المالكية:

ذكر المالكية القواعد التي تضبط المصلحة التي يجوز بها مخالفة شروط الواقف، وهي:

الأولـى: كل شرط يخالف قصد الواقف وغرضه لأنـه يراعى قصد الواقف لا لفظه، فيجوز لناظر الوقف أن يفعل في الوقف ما كان قريباً لغرضه، وإن خالف شرطه[٣].

ومثلوا لها: بأنه لو وقف الواقف ماءً على الغسل والوضوء، فيجوز للناظر أن يمكن العطشان ليشرب منه، لأنه لو كان حياً لما منع من ذلك.

ولـو وقـف الكتب واشتـرط عدم إخراجها مـن المدرسة، فاحتـاج الطالب إلـى إخراجها، كان له إخراجها: إن كان مأموناً معروفاً: وإلا فلا، لأن غرض الواقف أن لا يضيع[٤].

الثانية: كل شرط يؤخر أو يلغي صلاح الموقوف ومن ثم بقاءه واستمراريته.

كمـا لـو شرط الواقف أنه يبدأ من غلته بمنافع أهله، ويترك إصلاح ما تهدم منه، أو يترك الإنفاق عليه إذا كان حيواناً، بطل شرطه ويجب البدء بعمارته والنفقة عليه من غلته لبقاء عينه[٥].

وإذا انهدم الوقف يجوز إجارته بما يبنى به، ولو طال الزمن كأربعين عاماً أو أزيد، بقدر ما تقتضي

١- الحموي، غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر، لأحمد بن محمد الحموي، دار الكتب العلمية /بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.وابن نجيم، الأشباه والنظائر، ٢/٢٢٨+٢٢٩+٢٣٠، الزحيلي، الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي، أ.د.وهبة الزحيلي، دار الفكر/ دمشق، ط/١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.ص ١٨١.

٢- الزرقا، أحكام الأوقاف للشيخ مصطفى الزرقا، ط/٢، ط/الجامعة السورية، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.ص١٢٣.

٣- ابن غنيم، الفواكه الدواني لرسالة أبي زيد القيرواني، للشيخ أحمد بن غنيم النفراوي، المكتبة الثقافية /بيروت.٢/٢٢٥، الحطاب، مواهب الجليل ٦/٣٦.

٤- ابن غنيم، الفواكه الدواني ٢/٢٢٥، الحطاب، مواهب الجليل ٦/٣٦.

٥- الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، لشمس الدين الشيخ محمد عرفة الدسوقي على الشرح الكبير لأبي البركات سيدي أحمد الدردير، مع تقريرات للعلامة المحقق سيدي الشيخ محمد عليش، دار الفكر /بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.٤/١٣٩، عليش، منح الجليل ٨/١٥١.

الضرورة، وهو خير من ضياعه واندراسه[1]، لأن شرط عدم الإطالة في الإجارة مشروط ضمناً.

الثالثة: كل شرط يؤدي إلى الضرر العام بالمنتفعين:

كما إذا كان الوقف مسجداً وفيه ميضأة، جاز للناظر تغيير الميضأة ونقلها لمحل آخر، وتحويل باب مثلاً بالأولى من مكانٍ لمكان آخر مع بقاء المكان ذي البناء على حاله[2]، وهذا التغيير يكون لمصلحة، والمصلحة مفسّرة بوجود الضرر على المصلين، وإلا لم يجز.

الرابعة: كل شرط لا يفي بغرض الموقوف ولا يخدم مصلحته

كما لو وقف دواباً في سبيل الله، واشترط جعلها في الجهاد، فضعفت هذه الدواب حتى لا يكون فيها قوة على الغزو، بيعت واشتري بثمنها ما ينتفع به من الخيل ويجعل في سبيل الله أيضاً[3].

مذهب الشافعية:

وافق الشافعية غيرهم في تقديم مصلحة الوقف، وإن كان المشروط خلافها، فذكروا جملةً من المسائل التي تدل على تقديم مصلحة الوقف على شرط الواقف، وهذا بيان للقواعد التي تضبط المسائل مع فروعها الفقهية:

الأولى: كل شرط يضر بقاء العين الموقوفة وديمومتها:

كما إذا شرط أن لا يؤجر أكثر من سنة ثم انهدمت، وليس لها جهة عمارة إلا أن تؤجر سنين، يجوز ذلك في عقود مستأنفة، وإن شرط الواقف أن لا يستأنف، لأن شرطه في هذه الحالة مخالف لمصلحة الوقف، فلا يلتفت إليه[4].

الثانية: كل شرط يضر باستثمار العين الموقوفة:

كما إذا عين الواقف ناظراً غير أمين، واشترط عدم عزله كان للحاكم عزله وتعيين غيره، وذلك عملاً بمصلحة الوقف.

مذهب الحنابلة:

وافق الحنابلة الذين قبلهم في تقديم مصلحة الوقف على شروط الواقف عند التعارض، فذكروا أيضاً عدداً من المسائل التي تنضبط تحت قواعد، نستخلصها من استقصاء هذه المسائل:

الأولى: كل شرط يضر بأصل الوقف ويعيق ديمومته واستمراريته:

إذا شرط الواقف تقديم الجهة الموقوف عليها على عمارة الوقف عُمِلَ به ما لم يؤدِ إلى تعطيل

١- الدردير، الشرح الكبير لأبي البركات سيدي أحمد الدردير، مع تقريرات للعلامة المحقق سيدي الشيخ محمد عليش، دار الفكر/ بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م، مطبوع مع حاشية الدسوقي.٤/١٤٩.

٢- الدسوقي، حاشية الدسوقي ٤/١٣٩.

٣- عليش، منح الجليل ٨/١٥٢.

٤- ابن الصلاح، فتاوى ومسائل ابن الصلاح، تحقيق د.عبد المعطي أمين قلعجي، دار المعرفة /بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م،٢/٦٣٥ حيث أشار للمسألة إشارة فقط في مسائل باب الوقف من فتاواه، الشربيني، مغني المحتاج ٢/٤٩٧.

الموقوف، فإذا أدى إليه قدمت العمارة حفظاً لأصل الوقف[1].

الثانية: كل شرط يؤول إلى تعطيل استثمار العين الموقوفة:

إذا شـرط الواقـف أن لا يؤجر الوقف أكثر من سنة، ولكن النـاس لا يرغبون في هذه المدة، فجاز هنا الإخلال بشرط الواقف وتجويز الاستئجار أكثر من سنة، وذلك تماشياً مع مصلحة الوقف[2].

الثالثة: كل شرط يخالف قصد الواقف، وكان العمل بخلافه أولى:

كمن وقف ماءً للوضوء فالشرب منه يجوز، بل هو أولى وإن كان يخالف شرط الواقف، لأنه لا ينافي قصده وغرضه من الوقف[3].

فالحاصـل أنـه يجوز للقائميـن مخالفة شـرط الواقف إن أعـاق شرطه عملية الاستثمـار لأموال الأوقـاف، حيـث إن الاستثمار الآمن للوقف يعـود عليه بالديمومة والاستمـرار، وعلى المستحقين بالنفع والخير، وهل يريد الواقف غير هذا.

الفرع الرابع: ضابط سلطة الدولة في التصرف بالموقوف:

لا خـلاف بيـن الفقهاء في اعتبار القائمين على الجمعية الخيرية نظاراً على الأوقاف العائدة لها، ومما لا خلاف فيه أيضاً أن مرجعهم في اتخاذ القرارات التي تؤثر على الموقوف هو الجهة الإدارية المختصة، وهذا يدل على أن سلطة الدولة هي أرجح من سلطة القائمين على الموقوف، ولكن حق القائـم كالناظر محفوظ فلا يملك القاضي إبطال تصرفاتـه الدائرة ضمن مهامه ووظيفته، لأن ولايتـه أخص وولاية القاضي أعم، وفي حال تجاوز القائمون هذا الحد كان للقاضي حق الإشراف والمحاسبة لمقتضى المصلحة[4].

وعلـى كلٍّ فـإن القائميـن لا يستطيعـون أن يتصرفوا بالموقوف تصرفاً فـوق وظيفتهم إلا بإذن القاضـي أو مـن يمثلـه اليوم، لأن نظـر القاضي أعـم وأوسع وحكمـه أقطع وكمـا إن حكمه يرفع الخلاف[5] كما نصّ عليها الأئمة الفقهاء رحمهم الله تعالى.

فـإذا كانت سلطـة الدولة على الموقوف أعم مـن سلطة القائمين، فليس للدولـة إلا وأن تتصرف بالمصلحـة، وقـد نص الفقهاء على قاعدة تضبط تصرفات الدولة فـي أي شأن من شؤون الناس

١- البهوتي، كشاف القناع ٤/٢٦١.

٢- البهوتي، كشاف القناع ٤/٢٥٥.

٣- البهوتي، كشاف القناع ٤/٢٥٩.

٤- ابن عابدين، رد المحتار ٤/٥٧١.

٥- الزركشي، المنثور في القواعد، بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي المتوفى سنة «٧٩٤هـ»، تحقيق د.تيسير فائق أحمد محمود، راجعه د.عبد الستار أبو غدة، طبعة الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.٢/٦٩. ولفظه:» قالوا: حكم الحاكم في المسائل المختلف فيها يرفع الخلاف، وهذا مقيد بما لا ينقض فيه حكم الحاكم، أما ما ينقض فيه فلا». قال الباحث: المسائل التي ينقض فيها حكم الحاكم غير مسائل الباب، والله أعلم.

وخاصةً أموال الأوقاف والقاعدة هي: «التصرف على الرعية منوط بالمصلحة»[١].

فهـذه القاعدة هي الضابـط لتصرفات الدولة لأن السياسة الشرعيـة أساسها المصلحة والعدل، فالدولة تتدخل لحماية المصلحة العامة، وتقدير الظروف التي تستدعي تدخلها محكومٌ بالقواعد الفقهية العامة المعروفة[٢].

إذاً فالمصلحة المرادة هنا المصلحة التي تخص الجماعة وتهدف إلى خيرها[٣].

وقال العزُّ بن عبد السلام[٤] رحمه الله: «يتصرف الولاة ونوابهم بما ذكرنا من التصرفات[٥] بما هو الأصح للمولى عليه درءاً للضرر والفساد وجلباً للنفع والرشاد، ولا يقتصر أحدهم على الصلاح مـع القدرة على الأصلح إلا أن يؤدي إلـى مشقة شديدة، ولا يتخيرون في التصرف حسب تخيرهم في حقوق أنفسهم»[٦].

هذه هي القاعدة العامة في رعاية المصالح، وأما المصلحة المطلوبة بخصوص أموال الأوقاف فهي كالتالي:

أ - أن لا يخالف في تصرفه الشارع الحكيم لأن ما نهى عنه الشارع هو المصلحة.

ب - أن ينفذ شروط الواقف الصحيحة ما أمكن.

ج - أن يشتـري مـن غلات الموقوف أموالاً ثـم يقفها لمصالح الموقوف حفظـاً للموقوف وضماناً للغلات من الضياع، وذلك بعد رعاية قيمة الإعمار والإصلاح.

د - أن يحافظ على عين الموقوف ما أمكن، وإن أدى ذلك إلى إقالة الناظر أو إجبار الموقوف عليه على إصلاحه أو إخلائه لتأجيره من أجل عمارته وإصلاحه.

هـ - أن لا يولـي غير أمين أو غير كفءٍ لقولـه صلى الله عليه وسلم: «ما من عبدٍ يسترعيه الله عز وجل رعية يموت وهو غاش رعيته إلا حرم الله تعالى عليه الجنة»[٧].

١- السيوطي، الأشباه والنظائر للإمام السيوطي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي / القاهرة، الطبعة الأخيرة، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م.ص١٢١.

٢- الدريني، الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده، د.فتحي الدريني، ط/١، مؤسسة الرسالة/بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.ص٢٢ +١٦٩.

٣- الزرقا، المدخل الفقهي العام للشيخ مصطفى الزرقا، دار القلم/ دمشق، ط/١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.٢/١٠٥٠ القاعدة ٣٤.

٤- عبد العزيز بن عبد السلام السلمي المغربي أصلاً، الدمشقي مولداً، المصري داراً ووفاةً، الملقب بسلطان العلماء، والملقِب له هو الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، كان شيخ الإسلام علماً وعملاً وورعاً وزهداً، ولد بدمشق سنة «٥٧٨هـ» له كتاب قواعد الأحكام وغيره، توفي سنة «٦٦٠هـ».

ملحوظة: ذكر الأسنوي في طبقاته أن اسمه عز الدين، إلا أن السبكي ذكر أن اسمه عبد العزيز، ولقبه العزّ. (الأسنوي، طبقات الشافعية، جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي المتوفى ٧٧٢هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية /بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.٢/٨٤، ابن السبكي، طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى ٧٧١هـ، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، د.محمود محمد الطناجي، دار هجر، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.٨/٢٠٩).

٥- حيث ذكر أنواع التصرفات في قاعدة بيان حقائق التصرفات وهي: نقل وإسقاط وقبض وإذن ورهن وخلط وتملك واختصاص وإتلاف وتأديب خاص وعام. (العز ابن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، سلطان العلماء أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام المتوفى سنة «٦٦٠هـ» دار المعرفة، بيروت، ٢/٦٩).

٦- العز ابن عبد السلام، قواعد الأحكام ٢/٧٥.

٧- أخرجه البخاري في الأحكام، باب من استرعي رعية فلم ينصح، (ح ٦٧٣١).

الفرع الخامس: أثر الغبطة الظاهرة في جواز التصرف بالموقوف من قبل القائمين على الجمعية الخيرية:

معنى الغبطة الظاهرة:

الغبطة في اللغة: هي حسن الحال، وفي الحديث:» اللهم غَبْطاً لا هبطاً» يعني نسألك الغبطة ونعوذ بك أن نهبط عن حالنا.

وأغبط النبات: غطى الأرض وكثف وتدانى حتى كأنه من حبة واحدة، وأرض مغبطة إذا كانت كذلك[1].

الغبطة الظاهرة في الاصطلاح: هي حصول حالة للوقف أفضل من التي هو عليها.

اختلفت آراء الفقهاء في اعتبار الغبطة الظاهرة سبباً مجيزاً للتصرف بالموقوف، ومنشأ اختلافهم هو مقدار الأخذ بقاعدة إطلاق تصرفات القائمين ضيقاً وسعة، فلكل مذهب من المذاهب الأربعة رأي في تكييف المسألة ومن ثم تطبيقها، وهذه آراؤهم:

مذهب الحنفية: ذهبوا إلى عدم اعتبار الغبطة الظاهرة سبباً مجوزاً للتصرف بالموقوف لا من قبل القائم ولا من قبل القاضي، ما دام منافع الموقوف قائمة ولم تتعطل بالكلية، وهذا هو الأصح المختار عندهم، قال الكمال ابن الهمام في فتح القدير: «وإن كان لا لذلك بل اتفق أنه أمكن أن يؤخذ بثمن الوقف ما هو خير منه مع كونه منتفعاً به فينبغي أن لا يجوز، لأن الواجب إبقاء الوقف على ما كان عليه دون زيادة أخرى، ولأنه لا موجب لتجويزه»[2].

وذهب أبو يوسف رحمه الله إلى أنه إذا رغب إنسان في الوقف ببدل أكثر غلة وأحسن صقعاً جاز استبداله، ويشترط لهذا الاستبدال أن لا يكون بالدراهم بل لابد بالعقار.

والراجح هو رأي جمهور الحنفية خلافاً لأبي يوسف رحمه الله كما حقق ذلك العلامة البيري والعلامة قنالي زاده[3]، وإن نص قارئ الهداية[4] على كون الفتوى على رأي أبي يوسف رحمه الله في هذه المسألة[5].

١- ابن منظور، لسان العرب في باب «غبط»، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٣٣٩/٣.

٢- ابن الهمام، فتح القدير ٤٤٣/٥.

٣- قنالي زاده: علي بن اسرافيل قنالي زاده، فاضل ولد في قصبة اسبارة من لواء حميد، من آثاره: رسالة سيفية، توفي سنة «٩٧٩هـ». (ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد عبد الحيّ بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي، إشراف عبد القادر الأرناؤوط، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير /دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م. ٣٨٨/٨، كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي /بيروت.٣٤/٧).

٤- قارئ الهداية: عمر بن علي بن فارس الكناني القاهري الحسيني، أبو جعفر سراج الدين المعروف بقارئ الهداية، كان يستحضر الهداية في فروع الحنفية، توفي سنة «٨٢٩هـ». (الزركلي، الأعلام ٥٧/٥).

٥- ابن عابدين، رد المحتار٥٨٥/٤+٥٨٦.، وانظر رد المحتار فإنه نقل تحرير هذه المسألة عن العلامة قنالي زاده في رسالته الموضوعة في الاستبدال ونقل في الصفحة ٥٨٦ كلاماً لصدر الشريعة قوله: (نحن لا نفتي به). وانظر نظام، الفتاوى الهندية، تأليف العلامة نظام وجماعة من علماء الهند، المعروف بالفتاوى العالمكيرية، دار إحياء التراث العربي /بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.٤٠١/٢.

مذهب المالكية: لا عبرة بالغبطة الظاهرة لجواز تصرف القائم أو غيره بالوقف، إذ لا يجوز للواقف اشتراط البيع إذا وجدت الغبطة، فلأنه لا يجوز للقائم أو القاضي البيع أو الاستبدال للغبطة الظاهرة فمن باب أولى[١].

مذهب الشافعية: قالوا: لا عبرة بالغبطة الظاهرة لأجل التصرف بالوقف سواء كان الوقف عقاراً أم منقولاً، حتى ذهبوا إلى القول بعدم جواز بيع العقار مطلقاً في الأصح عندهم خلافاً للإمام النووي[٢]، حتى مع وجود الغبطة الظاهرة.

مذهب الحنابلة: ذهبوا إلى عدم اعتبار الغبطة الظاهرة لجواز البيع أو الاستبدال وهذا هو المنصوص عندهم كما في الفروع وكشاف القناع، قال صاحب الفروع[٣]: «ويحرم بيعه وكذا المناقلة، لا يستبدل به ولا يبيعه إلا أن يكون بحال لا ينتفع به»[٤].

وقال الإمام البهوتي رحمه الله في كشافه: «ويحرم ولا يصح بيعه ولا هبته ولا المناقلة به، أي إبداله ولو بخيرٍ منه نصاً للحديث السابق»[٥]، إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يباع أصلها ولا توهب ولا تورث».

وذهب القاضي[٦] وأصحابه والشيخ تقي الدين بن تيميّة[٧] رحمه الله: إلى جواز بيع أو تبديل أو

١- الحطاب، مواهب الجليل ٣٣/٦ عند قوله: (و اتبع شرطه إن جاز.....الخ).

٢- النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية /بيروت.٤١٩/٤، وانظر في توجيه المسألة وتصحيحها الشرواني، حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي على تحفة المحتاج، دار الكتب العلمية /بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.٢٨٣/٦.

٣- ابن مفلح: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي ثم الصالحي، الشيخ العلامة، أقضى القضاة، شمس الدين أبو عبد الله، أحد الأئمة الأعلام، تفقه في مذهب الحنابلة حتى برع فيه، ودرّس وأفتى، وكان غاية في نقل مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه، صاحب كتاب الفروع في الفقه وله حاشية على المقنع وغيرهما من الكتب، توفي رحمه الله في دمشق سنة «٧٦٣هـ». (العليمي، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، لعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي المقدسي الحنبلي المتوفى ٩٢٨هـ، إشراف عبد القادر الأرناؤوط، تحقيق: إبراهيم صالح، دار صادر (بيروت)، دار البشائر (دمشق)، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.١١٨/٥، ابن العماد، شذرات الذهب ٣٤٠/٨).

٤- ابن مفلح، الفروع للعلامة شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي المتوفى سنة «٧٦٣هـ» تحقيق د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٦٢٢/٤.

٥- البهوتي، كشاف القناع ٢٨٥/٤.

٦- القاضي: هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء، القاضي الكبير أبو يعلى، إمام الحنابلة، كان عالم زمانه، ولد سنة «٣٨٠هـ» وعنه انتشر مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه، وكان له في الأصول والفروع القدم العالي، وأصحاب الإمام أحمد له يتبعون، وله مصنفات كثيرة في الفروع وغيرهما، توفي سنة «٤٥٨هـ»، ودفن في مقبرة الإمام أحمد رضي الله عنه في بغداد. (العليمي، المنهج الأحمد ٣٥٤/٢، ابن العماد، شذرات الذهب ٢٥٢/٥).

٧- أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبي محمد عبد الله ابن تيمية الحراني، تقي الدين، نزيل دمشق ولد سنة «٦٦١هـ» بحران، وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير، وسمع فيها الشيخ من جماعة من العلماء، ومهر في كثير من فنون العلم، وتأهل للفتوى والتدريس وله دون العشرين سنة، وله الكثير من المصنفات كالإيمان، والاستقامة، ومنهاج السنة، واقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم وغيرها، توفي سنة «٧٢٨هـ». (العليمي، المنهج الأحمد ٢٤/٥، ابن العماد، شذرات الذهب ١٤٢/٨).

نقـل الموقوف بلا حاجـة، ولكن بخيرٍ منه لظهـور المصلحة ولا يجوز بمثله لعـدم وجود مصلحة راجحة مبرِّرة لذلك[1].

الترجيح:

قبـل أن نسوق الـرأي الراجح ومسوغات الترجيح لا بد من بيان الأقـوال وتقسيمها، والحاصل من أقـوال الفقهاء هو رأيان، الأول: هـو للمانعين وهم جماهير الفقهاء والثانـي: هو للمجيزين، وهم أبـو يوسف رحمه الله من الحنفية والقاضي وأصحابـه والشيخ تقي الدين بن تيميّة رحمه الله من الحنابلة.

إن سبـب الاختـلاف بيـن الطرفين هو اعتبـار المصلحة : الغبطـة الظاهرة : سببـاً مجيزاً للبيع والاستبدال، عن طريق إلحاقها بالضرورة أو الحاجة المبيحتين للتصرف بالموقوف.

فالذيـن ألحقوا هـذه المصلحة بالحاجة أجـازوا التصرف بالموقوف للغبطـة الظاهرة، ومن لم يعتبر هذه المصلحة من قبيل الحاجة أهملها فلم يجز هذا التصرف.

والمتأمـل للرأي الثاني يـرى أنه يمكن أن يكون مقبولاً ولو في بعض الأحيـان، وبخاصةً إذا عضده حكـم حاكم، كما هو الحال بالنسبة للأراضي الموقوفـة منذ زمن بعيد في المدن الكبرى والتي لا يعـرف واقفوهـا ولا شرائطهم، فيدفع ثمنُ الأرض من قبل الأغنياء أكثـر مما هو عليه في الواقع، للانتفـاع بها والاستفـادة من مكانها الاستراتيجـي، وعليه فيستغلّ هذا الثمن فـي مشاريع أخرى تكون أكثر نفعاً وأعظم ريعاً، فيعم خيرها للواقف وللموقوف عليه.

فالراجح من القولين هو الرأي الأول، حتى لا تكون أوقاف المسلمين ألعوبة بيد القضاة، وخصوصاً فـي هذا الزمن الذي خفت الرقابة الدينية في نفوسهـم، وغاب الخوف من الله عن قلوبهم، حتى تراهم يَحلّون الأوقاف بأدنى شبهة المصلحة، فاختفت ثمار هذه الحضارة العريقة للمسلمين.

وبالنتيجة درء المفاسد أولى من جلب المصالح.

ولكـن لا ننسـى العمل بالرأي الثانـي في ظروفٍ ضيقة وشـروطٍ مخصوصة تحـت رعاية القضاة المتخصصيـن، على أن تكفل هذه الشروط للوقف البقـاء والاستمرار ولو في أنواع مختلفة، وعلى هذا يجب سنّ القوانين اللازمة والكفيلة لحسن سير عملية تطوير وإثمار ممتلكات الأوقاف بالشكل الأفضل وبالطرق الأنسب. والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: ضوابط استثمار الأوقاف من قبل الجمعيات الخيرية

الضابط الأول: ضابط الحلال والحرام:

الحـرام مفسدة والحلال مصلحة، فيجب على المستثمر سواء كان قائماً أم قاضياً ترك ما حرمه

١- ابن مفلح، الفروع ٦٢٥/٤، المرداوي، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للإمام علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي /بيروت، الطبعة الأولى.١٠٤/٧.

الله تعالى، وفعل ما أحله الله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم: «الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»[1].

والقواعد التي تضبط الاستثمار في كلا طرفيه الحرام والحلال على الشكل التالي:

١ - إن كل معاملة محرَّمة تورث استثماراً، يعدّ هذا الاستثمار محرَّماً، كجعل الربا المحرم وسيلة من وسائل الاستثمار الحديثة، تحت دعوى أنها وسيلة مفروضة مع التداخلات الاقتصادية الكبيرة للأنظمة العالمية.

٢ - وكل تصرف (معاملة) مكروه يورث استثماراً، يعدّ مكروهاً، وذلك مثل أن تودع أموال الأوقاف النقدية في مصارف ربوية، دون قبض فوائد عليها، فمجرد إيداع هذه الأموال في تلك المصارف فهو مكروه.

٣ - وكل تصرف (معاملة) مباح يورث استثماراً، يعدّ مباحاً، كما الحال في استغلال الأوقاف لزيادة ريعها وغلّاتها، لتعود بالخير والفائدة على المجتمع الإسلامي من جهة، ولتكون هذه الغلّات سبباً في ديمومة الأوقاف سليمة معطاءة، على مدى الدهور والعصور.

٤ - وكل تصرف واجب يورث استثماراً، يعدّ واجباً، ويمكن أن نمثل لهذه القاعدة بالاستثمار الحاصل لصالح عمارة الأوقاف وترميمها، من خلال إجارة الوقف أو المشاركة عليه لضرورة إصلاح الوقف، فضرورة بقاء الأوقاف قائمة توجب هذا التصرف الاستثماري، فكان هذا الاستثمار واجباً.

إذاً فالقاعدتان الأوليتان تضبطان التصرفات الاستثمارية المحرَّمة، وأما الأخيرتان فتردان على التصرفات الاستثمارية الجائزة التي تخدم أموال الأوقاف.

الضابط الثاني: تكييف نوع الاستثمار حسب الحاجة في الأموال الموقوفة للاستعمال:

تقسم الأموال الموقوفة باعتبار خضوعها للاستثمار إلى ثلاثة أقسام:

أ - أموال لا يجوز استثمارها أبداً.

ب - أموال وقفت للاستثمار أصالةً.

ج - أموال وقفت للاستعمال إلا أنها قد تستثمر للحاجة.

ويجري هذا الضابط على القسم الثالث حيث لا يجوز تقديم صيغة استثمارية فيها إجهاد للوقف والموقوف عليه على صيغة هي أقل من السابقة إجهاداً لأطراف عقد الوقف.

واستثمار الوقف في هذا القسم هو بمنزلة وسيلة إسعافية لإصلاح الوقف وتشييد بنائه على النحو الذي أراده الواقف.

---

١ - أخرجه البخاري في الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، (ح ٥٢). ومسلم في المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، (ح ١٥٩٩).

وهذا الضابط يجري في شكلين:

الأول: تقديم صيغة على أخرى.

الثاني: تقديم العقد ذي الأجل الأقرب على الأبعد.

الشكل الأول: ويمثل له تقديم الإجارة بعقد واحدٍ على الإجارة ذات العقود المتعددة إذا لم تكن هناك حاجة للإجارة ذات العقود المتعددة.

وعموماً ترتب العقود التي قد ترد على الأوقاف حسب أولويتها على الشكل التالي:

١ - تأجير الوقف: إذا كان الوقف يصلح للإجارة، ويمكن التفاضل أيضاً بين مستأجرين أحدهما قصير الأمد والآخر طويل الأمد، فيقع الاختيار على الأصلح الذي يحقق مصلحة الوقف.

٢- إجراء عقد المشاركة على العقار الموقوف سواء مشاركة منتهية بالتمليك أو المشاركة التي على شكل الإجارة المسمى بالكدك أو الكردار.

٣ - الاقتراض للوقف.

٤ - الاستبدال: وله طريقتان: المقايضة أو البيع، وتقدم المقايضة على البيع.

الشكل الثاني: ويكون بتقديم من يستأجر بأجل أقصر على من يستأجر بأجل أطول، لذا نص الفقهاء في أحكام إجارة العقار الموقوف للسكنى أنه لا يجوز زيادة الأجل على القدر الذي يفي إصلاح الموقوف أو عمارته.

ويستثنى من هذا القيد ما إذا لا يرغب الناس في الأجل الذي يفي بالحاجة، فعند ذلك يستطيع القاضي بزيادة الأجل لهذا السبب.

الضابط الثالث: ترتيب الاستثمارات حسب الأكثر تحقيقاً للمصلحة في الأموال الموقوفة للاستغلال:

يشترط في صحة الاستثمار الوقفي، أن تكون الصيغة الاستثمارية المطبقة على الوقف هي المعقل الأول والأصلح التي لا يمكن تجاوزها إلى غيرها.

ومعناه: أن لا يلجأ المستثمر أياً كان إلى طريقة استثماريةٍ أبعد من الطرق الأخرى التي تحقق مصلحة الوقف، فلا يجوز تجاوز الأقرب إلى الأبعد.

ويمكن التمثيل لذلك، بأنه لا يمكن إبرام عقد المشاركة مع توفر عقد الإجارة بالشكل المناسب، وهكذا يقال في سائر العقود، ويرجع تقدير ذلك إلى القائمين على الجمعية أو إلى القاضي (المتمثل بالجهة الإدارية) في أدق حالاته.

الضابط الرابع: البعد عن المخاطرة في الاستثمار:

إن كل صيغةٍ من صيغ الاستثمار تكمن في داخلها المخاطرة، ولكنّ نسبة المخاطرة تختلف من صيغةٍ لأخرى.

والمـراد بالمخاطـرة هنا: : إمـا المجازفة فـي تقدير الربح والخسـارة - أي تقديـر نسبة نجاح المشروع - وإما المخاطرة التي تتعلق بالحوادث السماوية.

وهنا يمكن أن نمثل للضابط بما يلي:

أن يقـوم صندوق الوقف بتمويل شركة مـا، إلا أن هذه الشركة لا تحقق سوى ربح ضئيل فضلاً عن تزاحم أسباب خسارتها، بسبب كثرة العرض من الإنتاج ذاته مع بخس الأسعار فضلاً عن التكاليف الباهظـة التي تتعلق بالإنتـاج، والتي تتجلى في بعد مكان الإنتاج عن مـكان التسويق وغيرهما من الأسباب التي ترجع إلى سوء التقدير، وضعف دراسة الجدوى الاقتصادية لهذا المشروع، لذا يجب ترك هذه الشركة والابتعاد عن تمويلها.

ويمكـن أن نمثـل أيضاً بإقامة مصنع في وادٍ يعد مجمعاً لمياه السيول الجارفة، فلا يجوز للأوقاف قبول مثل هذا المشروع، لكونه معرضاً للخطر في أكثر الاحتمالات.

الضابط الخامس: مراعاة شرط الواقف ما أمكن:

وينبغي مراعاة شرط الواقف في عمليات الاستثمار، سواء كان شرطه في القائم أو الموقوف أو في توزيـع غلاته على المستحقين، وأما ما عدا ذلك، فيحق للمستثمر أن يتصرف بما يشاء في حدود صلاحياته أو إذن القاضي.

إلا أنـه يجـوز مخالفة شرطه فـي بعض الحالات الخاصـة التي نص عليها الفقهـاء، كما في حال الضرورة والمصلحة الراجحة، أو في حال الغبطة الظاهرة المحققة.

ويظهـر تأثيـر الشرط فيما لو قال هذا الوقف على الفقراء، فهل يدخل في شرطه الإنفاق منه على مصالح الجمعية الخيرية الأخرى؟ الظاهر ، لا يجوز إلا في حالات الضرورة.

الضابط السادس: دراسة الجدوى الاقتصادية للمشروع الاستثماري:

ويسمـى أيضاً التخطيط الاقتصـادي، وفائدة هذه الدراسة هي البعد التام عن العشوائية وبالتالي تحقيق ربح مادي (عائد) مجزٍ يعود على المستحقين في الجمعية الخيرية الإسلامية.

الضابط السابع: الاعتماد على الإدارة الصالحة للمشروع الاستثماري:

هـذا الضابط هـو فرع عن شروط القائمين، حيـث لا يجوز قبول عضويـة المنتسب للجمعية في مجلس الإدارة إلا بناء على شروط، وهي:

أ - الإسلام، ب - العدالة، ج - الكفاءة والخبرة التامتين، د - السلامة من العاهات المانعة له من القيام بعمله المنوط به، هـ - الأهلية التامة (بالغاً عاقلاً).

الخاتمة:

- وبعـد أن وقفنـا على أهـم المسائل التـي تؤثر في عمليـة استثمـار أوقاف الجمعيـات الخيرية الإسلاميـة أدركنا الحاجة الملحة التي تصيب عمل القائمين على الجمعيات الخيرية، فهم بين

أمرين ضروريين:

الأول: تأمين حاجات المستحقين عن طريق الموارد المتنوعة.

الثاني: الحفاظ على أصول الأوقاف العقارية، وذلك عن طريق إعمال شرط الواقف وأخذ الاحتياطات اللازمة في الاستثمار.

وبناءً على ما مضى يمكن أن نستنبط القواعد التي تضبط عملية الاستثمار لأوقاف الجمعيات الخيرية الإسلامية من قبل القائمين عليها فيما يلي:

أ - يجب إعمال شرط الواقف، مهما كان شرطه ما لم يتعارض مع مصلحة الوقف والموقوف عليه، فإن تعارض شرطه مع مصلحة الوقف عمل بمصلحة الوقف وأهمل الشرط، كما إذا اشترط الواقف منع استثمار الوقف فلا يعمل بشرطه.

ب - يجب أن تكون المصلحة راجحة لجواز إعمالها، ويمكن أن نعتمد الضوابط التالية في اعتبار المصلحة مع إهمال شرط الواقف:

١- كل شرط قد يؤول إلى تعطيل استثمار الوقف أو قلة الثمرة.

٢- كل شرط في مصارف الوقف قد يؤول إلى التعذر.

٣- كل شرط قد يؤول إلى غبن القائمين بأعمال الوقف الضرورية في أجورهم.

٤- كل شرط تكون مخالفته أسهل تنفيذاً، دون إخلال بالمقصود من غرض الواقف.

ج- تنحصر وظيفة ولي الأمر في اختيار الأكفأ والأفضل لتسيير الاستثمار الوقفي، وفي إهمال شرط الواقف إن اقتضت الضرورة ذلك، وتتلخص الضرورة - فيما يخص البحث - في تأمين موارد ثابتة ودائمة للمحتاجين، وهذه من أهم الغايات التي تتبناها الشريعة الإسلامية.

د إن نجاح عملية الاستثمار المنشودة مرهون بتحقيق الانضباط من نواحٍ مختلفة، وتتلخص في الضوابط الشرعية والاقتصادية والإدارية، فإذا تحققت هذه الضوابط كان النجاح رهين الاستثمار لأوقاف الجمعيات الخيرية الإسلامية.

وأخيراً أسأل الله تعالى أن يوفقني في عملي وأن يكلأه بالنجاح والقبول، إنه نعم المجيب، والحمد لله رب العالمين.

د عبد الوهاب صديقي
طالب باحث في اللسانيات العربية الحديثة
طانطان– المملكة المغربية

لسانيات الخطاب:
من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص
دراسة في بعض مؤلفات مشروع أحمد المتوكل الوظيفي

تمهيد:

تدخل هذه الدراسة في إطار الدراسات اللسانية العربية الحديثة التي تروم قراءة التراث اللغوي والنحوي والبلاغي العربي القديم ،وفق مستجدات الدرس اللساني الغربي الذي تطور مع فريدنان دوسوسير وتلامذته ،لاسيما أفكار حلقة براغ ومدرسة جنيف، وسيمون ديك ،ونعوم تشومسكي فيما بعد .وتعمد هذا النوع من الدراسات اللسانية العربية، إلى قراءة أفكار ونظريات اللغويين والنحويين والبلاغيين العرب القدامى بغية إماطة اللثام عنها ،والاستفادة منها لخدمة ومعالجة قضايا اللغة العربية تركيبا ومعجما ودلالة وصوتا،مع الانفتاح على ما تخوله الدراسات اللسانية الغربية من أفكار ونظريات لمعالجة قضايا اللغة العربية.

وقد برزت في الإطار كتابات عربية لسانية حديثة[1] تؤكد غنى التراث العربي، وروعته وفي هذه الدراسة سنركز على لسانيات الخطاب متبعين نفس المنهج السالف الذكر –المنهج التوفيقي بين

١- أنظر في هذا الصدد عبد السلام المسدي التفكير اللساني في الحضارة العربية ١٩٨١،الدار العربية للنشر و عبد القادر الفاسي الفهري اللسانيات واللغة العربية في جزأين، الطبعة١٩٩٣،٣،دار توبقال للنشر و المعجم العربي الطبعة الأولى ١٩٨٦ دار توبقال والبناء الموازي نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، ط١، دار توبقال واحمد المتوكل : الوظائف التداولية في اللغة العربية، الطبعة الأولى ١٩٨١،دار الثقافة البيضاء. آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط – سلسلة بحوث ودراسات رقم٥ ،١٩٩٣ قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان الرباط١٩٩٥ ،الخ و أحمد بودرع من ظواهر الأشباه والنظائر بين اللغويات العربية والدرس اللساني المعاصر الترادف حوليات الآداب والعلوم الإنسانية،الرسالة ٢٧ ،٢٠٠٥.

التراث العربي اللغوي النحوي والبلاغي ومستجدات الدرس اللساني الحديث في دراسة لسانيات الخطاب فـي التراث اللساني العربي القديم وفي الدرس اللسانـي الغربي الحديث ،مركزين على تجليات هذا المنهج الائتلافي- التوفيقي عند اللساني الوظيفي أحمد المتوكل.

لقـد كان السـؤال الـذي ظل يـؤرق هذا الدراسـة هو كيف تم الانتقـال من لسانيـات الجملة إلى لسانيات النص/ الخطاب؟

ويكتسـي الخطـاب في العصـر الحالي أهمية كبـرى لارتباطـه بالتواصل الإنسانـي ،و بالوسائط السمعية البصرية كالخطاب الإشهاري، والخطاب السياسي،والخطاب الحجاجي مثلا .

وكان دافع تناولنا لهذه الدراسة تكمن في جدة البحوث اللسانية فيه ،بالإضافة إلى الرغبة في فهم الخطـاب وأنماطه التواصلية، لجدة البحـوث فيه،ويكتسي الخطاب أهمية كبرى في مشروع احمد المتوكل الوظيفي وقد أفرد له مجموعة من المؤلفات.[١]

مـن لسانيـات الجملة إلـى لسانيات الجملة من خلال كتاب قضايـا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص لأحمد المتوكل

١-١- النحو الوظيفي وأحمد المتوكل

ارتبـط النحو الوظيفي الغربـي باسم الهولندي سيمون ديك، وهكذا ارتبط النحو الوظيفي العربي بأحمد المتوكل، من خلال كتاباته في معالجة كثير من قضايا اللغة العربية، وفقا للمقاربة الوظيفية التواصلية. وكثيرة هي الدراسات التي تناولت مشروع أحمد المتوكل الوظيفي بالدراسة والتحليل، غير أننا سنكتفي بإيراد بعضها فقط[٢]

ويتميـز مشروع أحمد المتـوكل بتعدد جوانب تحليلاتـه لقضايا اللغة العربيـة، معجميا وتركيبيا، وتداوليـا ونصيا. ولقد كان للاحتكاك مع كتاباته تأثيـرا عميقا، حيث تناولناه في إطار بحث لنيل الإجـازة في اللغة العربية وآدابها بعنوان «فصل المقال فيما بين اللسانيات والنحو من الاتصال»، أدرجـت فيـه موقـف أحمد المتوكل مـن الإشكاليـة (إشكالية علاقـة النحو القديـم باللسانيات الحديثـة) ضمن المواقف الطفرية الاستمرارية[٣]. وإن كان ذلك بشكل مقتضب. إذ أن مشروعه

١- أنظر في هذا الصدد، أحمد المتوكل قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط ، منشورات الاختلاف ودار الأمان الرباط ٢٠١٠

٢- أنظر في هذا الصدد مصطفى غلفان،اللسانيات العربية الحديثة فصل خاص عن اللسانيات الوظيفية عند أحمد المتوكل ص٢٧٠، وأنظر أيضا حافيظ اسماعيلي علوي :قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، عالم الفكر ديسمبر ٢٠٠٤ ع ٣٣، وفصل خاص عن اللسانيات الوظيفية في أطروحته للدكتوراه «تجليات تلقي اللسانيات في الثقافة العربية»

٣- المواقف الطفرية :اللسانيات المنخرطة دفعة واحدة في إطار ما تقترحه النظريات اللسانية المعاصرة عن نماذج لسانية بجميع حيثياتها المنهجية والتقنية وبكل أبعادها العلمية وحدودها التطبيقية ،اللسانيات العربية الحديثة ،مصطفى غلفان ص ٣٨.

- المواقف الاستمرارية : تحاول إذابة الفوارق بين الخطاب اللساني العربي ونظيره العام بكيفية تدريجية انطلاقا من رصد شامل ودقيق لمظاهر التمايز بين الخطابين شكلا ومضمونا «ص٤٤

استفـاد ممـا جاءت بـه تحليـلات «لسانيات التراث» مـن أفـكار ونظريات ونركز هنـا على فكرة الاستلـزام التخاطبـي، التي جاء بها السكاكـي (المتوكل١٩٨١)؛ محـاولا استثمارها مقوما إياها يقول (المتوكل ١٩٨١): «سنخصص القسم الثالث لفحص اقتراحات السكاكي موازنين بينه وبين اقتراحات الفلاسفـة واللغويين المحدثين قصد تقويمها والوقوف عنـد إمكانات استثمارها»[١]. لا يقـف أحمـد المتـوكل عند هذا الحد بـل يعتبر اقتراحـات السكاكي جديرة ومهمـة، بل وتعادل اقتراحات اللسانيين الوظيفيين المعاصرين كغرايس وسورل وغيرهم، وتمتاز بدقتها أولا وقدرتها التنبؤية ثانيا.

ولقـد كان هدف مشروع أحمـد المتوكل الوظيفي هو عقد حوار بين الفكـر اللغوي القديم والنحو الوظيفي الحديث مما سيمكن من :

أ- إغنـاء النحو الوظيفي بتحليلات ومفاهيم يستلزمهـا وصف الوظائف الخمس في اللغة العربية خاصـة دون أن يمسـ افتراض هذه التحليـلات، والمفاهيم بالمبادئ المنهجيـة المعتمدة في النحو الوظيفي ولا بنية النحو المقترح.

ب- تقويـم مجموعة مـن الأوصاف المقترحة في النحو العربي أو البلاغـي أو وظيفة البدل التابع بصفة أعم وظواهر التخصيص والحصر والعناية والتوكيد وغيرها[٢].

وغنـي عن البيان أن غاية مشروع أحمد المتـوكل هو استثمار ما يزخر به الفكر اللغوي العربي من نظريات، وأفكار مهمة لتطوير اللسانيات العربية، مع الانفتاح على مستجدات المقاربة، الوظيفية الحديثة.

ويأتـي تبني أحمد المتوكل لنظرية النحـو الوظيفي، واتخاذها إطارا منهجيا لمعالجة قضايا اللغة العربية، لأنها النظرية التداولية الأكثر استجابة لشروط التنظير من جهة ولمقتضيات «النمذجة» مـن جهة أخرى، كما تتميز المقاربـة الوظيفية أيضا بنوعية المصادر فهـي محاولة لصهر بعض مـن مقترحات نظريات لغوية النحـو العلاقي، Relationnel grammaire نحـو الأحوال، case grammaire، الوظيفيـة fonctionnalisme ، ونظريات فلسفية نظرية الأفعال اللغوية speech acts theory خاصـة التـي أثبتت قيمتها في نموذج صوري مصـوغ حسب مقتضيات النمذجة في التنظير اللساني الحديث[٣].

ومـن هنـا فإن النحو الوظيفي، يستجيـب لمجموعة من الشروط المنهجية فـي التنظير بالإضافة

١- المتوكل :اقتراحات من الفكر العربي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي،البحث اللساني والسيميائي منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،الرباط ١٩٨١ ،ص١٩

٢- أحمد المتوكل :الوظائف التداولية في اللغة العربية ط ١ ،١٩٨٥ ،دار الثقافة ،ص١٠

٣- نفسه ص ٩

إلى مقتضيـات النمذجة وآلياتها ومفاهيمها الإجرائية مما يجعل مشروع أحمد المتوكل «مشروعا معتدا به ليس بالنسبة إلى اللسانيات الوظيفية العربية فقط، بل إلى النظريات اللسانية الوظيفية بوجه عام»[١].

إن نظريـة النحـو الوظيفـي نظرية تساير التطـورات اللغوية فهـي لم تبق ثابتة بـل تعرضت لعدة تغييـرات فديـك (١٩٧٨) يختلف عن (ديـك ١٩٨٩)، وبحسـب أحمد المتوكل يختلـف الأول عن الثاني أولا: أصبـح الجهاز الواصف باعتباره نموذج لمستعملي اللغة الطبيعية جهازا مركبا متعدد القوالـب: القالب المعرفي القالب الإدراكي القالـب النحوي، القالب المنطقي، القالب الاجتماعي وهي التي تضطلع برصد الملكات[٢].

ثانيـا انتقـل التمثيل التحتي للعبـارات من بنية بسيطة إلـى بنية متعددة الطبقـات تتضمن حملا وقضية وجملة، على اعتبار أن طبقة الجملة تعلو طبقة القضية وأن طبقة القضية تعلو الحمل[٣].

نموذج مستعمل اللغة الطبيعية	
قالب معرفي	قالب منطقي
قالب نحوي	
قالب إدراكي	قالب اجتماعي
قالب شعري	

هـذا بالإضافـة إلى سعي أحمد المتـوكل إلى تطوير النحو الوظيفي باقتراحاتـه كاقتراحه إضافة وظيفـة المنادى إلى الوظائف التداولية الأربع: البؤرة والمحـور والمبتدأ أو الذيل، يقول (المتوكل ١٩٨٥) في هذا الصدد: «ونرى أن الوارد أن تضاف إلى الوظائف الأربع المقترحة، في إطار النحو الوظيفي، وظيفة خامسة وظيفة المنادى» [٤]

واقتـرح المتوكل أيضا بصـدد وظيفة البؤرة أن يميز بين «بؤرة جديـد» و«بؤرة مقابلة، ومن حيث تنوعية البؤرة المكون، وبؤرة الحمل من حيث مجال التبئير»[٥]

إن مشـروع أحمد المتـوكل الوظيفي، مشروع قائم بذاته يساير التطـورات والمستجدات، ويضيف اقتراحات تغني قضايا اللغة العربية جملة ونصا، وبذلك تحقق هدف النظرية الوظيفية في تجاوز حـدود الجملة إلى الخطاب، على اعتبار أن مستعملي اللغـة الطبيعية لا يتواصلون بقطع جملية بل بخطابـات متكاملة، ومنـه فالنحو الوظيفي إذا أراد أن يظل منسجما مع مبادئه ومزاعمه مضطر إلى وصف قدرة مستعملي الطبيعية باعتبارها قدرة خطابية.

١- حافيظ اسماعيلي علوي، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، عالم الفكر ،ع ٣٣ ،٢٠٠٤ ، ص١٠

٢- أحمد المتوكل، الوظائف التداولية، ص ١٣

٣- أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ،بنية الخطاب، ص ٣٩-٣٨

٤- احمد المتوكل، الوظائف التداولية ، ص١٦٠

٥- أحمد المتوكل ،نفسه ص١٧

وهذا ما سنشير إليه لاحقا بصدد دراستنا لكتاب (المتوكل ٢٠٠١).

ممـا يجعلنا لا نبالـغ إن قلنا مشروع أحمد المتـوكل ومن خلال مؤلفاته، يعكـس روحا علمية تقوم علـى المناقشة والنقد البناء، والأخـذ بأورد الافتراضات والاقتراحـات، على حد تعبير مصطفى غلفان[١].

فكيف انتقل النحو الوظيفي من نحو الجملة إلى نحو النص، من خلال كتاب أحمد المتوكل قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص؟

١-٢- النحو الوظيفي المتوكلي، بنية الخطاب من الجملة إلى النص

تمهيد:

يحتل النحو الوظيفي مكانة هامة، في مقاربة قضايا اللغات الطبيعية في مستويات متعددة تركيبية ومعجمية، وتداولية، ونصية أو بلغة أخرى تحليل قضايا الجملة والخطاب.

فمنـذ ديك ١٩٩٨ إلا والنظرية الوظيفية تسعى إلى تجاوز قضايا الجملة إلى قضايا الخطاب حتى تصبـح نظريـة متكاملة صالحـة لمعالجة قضايا الجملـة، والنص/ الخطاب أي مـا أسماه أحمد المتوكل «باللسانيات الحق»[٢] ؛ لسانيات تفترض التماثل بين بنية الجملة، وبنية الخطاب.

وتكتسـي دراسة الخطـاب وظيفيا، أهمية كبرى فـي تحليل الخطاب التواصلـي وبمختلف أنماطه لاسيما، والتطور التكنولوجي والحاسوبي المعاصر.

مـن هذه الزاوية يكتسي النحو الوظيفي أهميته في كونه يحاول إيجاد نحو متكامل لدراسة الجملة والخطـاب، ويأتي «كتاب أحمد المتوكل ٢٠٠١، قضايا اللغـة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطـاب من الجملـة إلى النص، دار الأمان للتأسيس وترسيخ ما دعـا إليه (ديك ١٩٩٨) من أنه إذا أرادت نظريـة النحو الوظيفي أن ترقى إلى مستوى معايير الكفاية التي اشترطتها على نفسها، تحتم عليها على المدى البعيد أن تضع نحوا وظيفيا للخطاب»[٣]

علـى اعتبـار أن ثمة تشاكلا وتماثلا، بين بنية الجملة وبينـة النص، وفي هذا الصدد، يؤكد أحمد المتـوكل ٢٠٠١ أن غاية النحو الوظيفي هـي معرفة مدى إمكان استكمال وضع نحو وظيفي موحد، يكفـل وصف وتفسير، ظواهر اللغة العربية (من ضمـن اللغات الطبيعية) الجملية منها والنصية، مستخدمـا نفس المبادئ ونفس الأوليات، نحو وظيفي يمد الجسور بين الجملة والنص، مستخدما نفس المبادئ، ونفس الجملة ولسانيات النص، الذي يكمن وراء الفصل بين اللسانيات الحق.

١- مصطفى غلفان ،اللسانيات العربية الحديثة ، ص٢٧٦

٢- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ،بنية الخطاب ،ص١٠

٣- نقلا عن حافظ اسماعيلي علوي،قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ،عالم الفكر م ٢٠٠٤،٣٣، ص٢٠٨

مـن هذا المنطلق يمكن القول بأن مشروع (المتـوكل٢٠٠١) يرمي تجاوز حدود الجملة إلى ما هو أعمق الخطاب. وبذلك يكون قد أسس لنحو يفي بتحقيق هدفين أساسين:

- أولا: استكشاف ما يوحد بين بنية الكلمة وبنية المركب، وبنية الجملة وبنية النص.
- ثانيـا: الاقتصـار علـى نفـس المبـادئ والإواليـات في وصف بنيـة كل من هـذه المستويات الأربعة[١].

هـذا بالإضافة إلى التركيز على الوظيفـة التواصلية والإفهامية، والإقناعيـة للخطاب، وقليلة هي الدراسات التي تناولت الخطاب عند أحمد المتوكل لجدة الخطاب، وتعدد مشاربه ومضانه الأدبية والسيميائيـة والشعرية واللسانيـة وغيرها، إذا استثنينا ما أشار إليه حافـظ إسماعيلي علوي في بحث قيـم بعنوان «قضايا اللغة العربية فـي اللسانيات الوظيفية[٢]، وسمـاه بالتحليلات النصية، ومـا أشار إليـه نبيل موميد وعنونـه ب» حد الخطاب بيـن النسقية والوظيفية[٣]، يقـارن فيه بين الخطاب فـي المقاربة النسقية التواصلية الاقتصادية عند الفرنسي دومنيك ما نكوكو، والخطاب في المقاربة الوظيفية مع أحمد المتوكل.

١-٢-١ نحو الجملة ونحو النص من الاختلاف إلى الائتلاف:

يتبنـى أحمد المتوكل في مشروعه الوظيفي، الرؤية الائتلافية التماثلية التي ترى أن آليات معالجة قضايا الجملة صالحة أن تعالج قضايا الخطاب، على اعتبار أن هناك تماثلا بين بنية الجملة وبنية الخطاب، وأن ما يمكن أن يرصد للأولى (الجملة) يمكن أن يكيف فيرصد للثانية (الخطاب).

١-٢-٢- مفهوم الخطاب عند أحمد المتوكل:

يعتبـر أحمد المتـوكل الخطاب كل تجـاوز للجملة كمجرد سلسلـة لفظية تحكمهـا آليات الاتساق الشكلية إلى كل تعبير لغوي أيا كان حجمه أنتج في مقام معين قصد القيام بغرض تواصلي معين.

ومعنى هذا الكلام:

- أولا : الخطاب تعبير قد يكون شفويا أو مكتوبا.
- ثانيا: الخطاب إنتاج مقامي: أي ينتج في مقام معين وسياق يحيط به.
- ثالثا: غاية وغرض الخطاب هو تحقيق التواصل بين ذاتين على الأقل (متكلم ومخاطب).

وغنـى عن البيان أن نظريـة النحو الوظيفي، تعتبر الوظيفة الأساس للغـة هي اتاحة التواصل بين

١- أحمد المتوكل ،بنية الخطاب ،ص١٠

٢- حافيظ اسماعيلي علوي ،قضايا اللغة العربية في اللسانيات العربية ،عالم الفكر ،م ٣٣، ديسمبر٢٠٠٤

٣- نبيل موميد ،حد الخطاب بين النسقية والوظيفية ،فكر ونقد ،ع ٨٩-٩٠ مايو يونيو ٢٠٠٧

مستعمليهـا فإذا كان تشومسكي يركز على مفهومي «القـدرة» و «الإنجاز» فإن الوظيفيين يركزون على مفهوم «القدرة التواصلية» للغات الطبيعية .

وكل تواصل لغوي بين ذاتين ، لابد له من متكلم/مرسل، يرسل رسالةMessage للمرسل إليه/ المخاطـب، لتحقيـق غرض تواصلي معين، ولضمان تواصل ناجح لابـد للمتكلم أن يراعي مخزون المخاطب المعلوماتي.

ويتضمن مخزون المتكلم والمخاطب بحسب (المتوكل ٢٠٠١) المعارف الآتية[١]:

• أولا : معارف مقامية، مشتقة من عناصر المقام الذي تتم فيه عملية التواصل، على اعتبار أن لـكل مقام مقال، ولكل مقـال مقام، فمقام الأستاذية ليس هو مقـام الفلاح... وهكذا (لا نعني بذلـك المقام الاجتماعي وإنما المقام بالمفهوم التداولي)، ومقـال السياسي والسياسة، ليس هو مقال الاقتصادي وغيره.

• ثانيـا : معـارف عامة تتعلق بمدركات المتخاطبين، علـى اعتبار أن لكل فرد قدرات إدراكية حول العالم، فمعارف الأمي عن عالم التكنولوجيا قليلة، عكس الإعلامي أو المعلوماتي...

معـارف سياقيـة: يوفرهـا للمتخاطبين ما تم إيـراده في قطعـة خطابية سابقة، وهـذه المعارف يشترطها سياق التخاطب بين المتخاطبين.

١-٢-٣- أنماط الخطاب[٢]:

وعلـى اعتبار أن لكل خطاب مستلزماته المعرفية عامة وسياقية ومقامية، يمكن تصنيف الخطاب تبعا للمعايير الآتية:

أ - غرض المخاطب إلى: خطاب سردي، حجاجي ، وصفي، تعليمي، ترفيهي.

ب - نوع المشاركة إلى خطاب ثنائي، خطاب جماعي، فردي (مونولوج).

ج - طريقـة المشاركة في الخطاب إلـى مباشرة أي التباشر بين متخاطبيـن في الخطاب أو غير مباشرة كأن يكون الخطاب مكتوبا كالجريدة والكتاب، أو شبه مباشرة خطاب هاتفي، خطاب تلفزي أو إذاعي...

د - نوع القناة إلى قناة شفوية مباشرة، أو قناة مكتوبة غير مباشرة.

هـ - وجهـه إلى خطاب موضوعي خاليا من تدخل ذات المتكلـم، وخطاب ذاتي تتدخل فيه الذات

١- أحمد المتوكل ، بنية الخطاب ،ص ١٩

٢- نفسه ، ص ٢٠ وما بعدها

المنتجة للخطاب.

هكـذا صنـف أحمد المتوكل الخطاب إلى أنواع متعددة، تبعـا لمعايير متعددة، مما يدل على تعدد الأنماط الخطابية، و معايير تصنيفها.

٢-٣-١نحو الجملة grammaire de phrase:

لقـد كان النحو الوظيفي، منذ بدايته نحو خطاب، وإن كان البحث الوظيفي انصب بداية لمعالجة قضايا الجملة، وظواهرها ونمثل هنا بالمتوكل ١٩٨١، ١٩٨٥ ،١٩٩٣، ١٩٩٥، ١٩٩٦.

وفـي هذه الكتابـات تناولت كتب المتـوكل قضايا الجملة بتحليـلات معجمية، تركيبيـة وتداولية، اعتمادا على نموذج (ديك ١٩٧٨).

ولقد كان موضوع نظرية النحو الوظيفي منذ (ديك ١٩٧٨) هو وصف القدرة التواصلية التي تمكن مستعملي اللغة الطبيعية من التواصل فيما بينهم.

- نموذج مستعملي اللغة الطبيعية ونحو القوالب:

إذا كان هـم نظريـة النحـو الوظيفي هو وصف « القدرة التواصلية، جـاءت أبحاث (سيمون ديك ١٩٨٩) لوصف هذه القدرة لارتباطها بالملكات الخمس[١] وهي :

١- الملكـة اللغوية: وهي الملكة التي تمكن مستعمل اللغـة الطبيعية من إنتاج وتأويل عبارات لغوية معقدة ومتباينة في عدد كبير من المواقف التواصلية المختلفة.

٢- الملكـة المعرفيـة: وهي ملكة تتيـح لمستعمـل اللغة الطبيعيـة تكوين مخـزون معرفي منظم، والاحتفـاظ به وتوظيفه حيـن الحاجة، وهي ملكة تمكنه كذلك من اشتقاق معارف من عبارات لغوية واختزالها ثم استعمالها في تأويل عبارات لغوية أخرى.

٣- الملكـة المنطقية: وهي ملكة التي يتسنى لمستعمل اللغة الطبيعية، بواسطتها أن يشتق معارف إضافية من معارف أخرى، مستخدما قواعد استدلالية تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي.

٤- الملكة الإدراكية: وهي ملكة تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من توظيف المعارف التي يستخلصها من إدراك لمحيطه في إنتاج وفهم العبارات اللغوية.

٥- الملكة الاجتماعية: فهي مجموعة من القواعد والمبادئ الاجتماعية التي تمكن مستعملي اللغة الطبيعيـة من استعمال اللغة المناسبـة بالنظر إلى وضع مخاطبه وإلى الموقف التواصلي وإلى الغرض المروم تحقيقه. وانطلاقا من هذا التصور للقدرة التواصلية باعتبارها مشكلة ومكونة من الملـكات المشار إليها بني التصـور» نموذج لمستعملي اللغة الطبيعيـة: باعتباره مجموعة

١- نفسه ص ٣٦-٣٧

مـن القوالب الخمس : القالـب النحوي، القالب المنطقي والقالـب الإدراكي، القالب المعرفي والقالب الاجتماعي.

واقتـرح (المتوكل ١٩٩٥) إضافة «قالـب شعري» لفهم الخطاب الشعـري والمقصود به الخطاب الفني الذي يستدعي التذوق الفني من المتلقي (المستمع للخطاب).

٢-٣-١ الجملة في النحو الوظيفي:

أ- الجملة البسيطة:

الجملة في النحو الوظيفي وحدة تركيبية، تتركب من مستويين:

- أولا : مستـوى دلالي تداولي وهو البنية التحتية للجملة، وتتشكل من بين قوامها: نواة ومخصص إنجازي ولاحق.

- ثانيا : مستوى صرفي-تركيبي وهو البنية المكونية للجملة وتتحكم فيها ثلاثة أنساق من القواعد وهـي ما يطلق عليها قواعد التعبيـر، وترتبط هذه القواعد بقيود منها: قيـد إسناد النبر والتنغيم الذي يستدعي قوة إنجازية أمرية أو استفهامية طلبية.

نحو : ألم يحضر الأستاذ اليوم؟!

وتتحكـم في ترتيب مكونات الجملة العربية في النحو الوظيفي حسب (المتوكل ١٩٩٦)[١] مبدأين هما :

١- مبدأ الاستقرار الوظيفي: تنزع المكونات التي تحمل نفس الوظائف إلى أن تحتل نفس الموقع.

٢- مبدأ الإبراز التداولي: «تنزع المكونات الحاملة لوظائف تداولية (محور جديد). محور معطى، بؤرة جديدة، بؤرة مقابلة إلى أن تحتل مواقع خاصة من بينها الموقع الصدر في الجملة».

نحو: الكتابَ أخذ الأستاذُ.

ويطرح الانتقال من البنية التحتية إلى البنية التركيبية إشكالات عالقة بحسب (المتوكل ٢٠٠١).

ب- الجملة المركبة:

يعرف (المتوكل ٢٠٠١) الجملة المركبة باعتبارها: «كل جملة كان أحد حدودها جملة أو كان أحد حدودها يتضمن جملة»[٢].

ومعنـى هذا الكلام أن الجملة البسيطة ما تضمنت حدا مثل: قام محمد، كتب الدرس. أما الجملة المركبة فهي ما كان أحد حدودها جملة: نحو قام محمد أبوه أو أخوه.

١- نفسه ص ٥٦

٢- نفسه ص ٧٣

-جاء الأستاذُ الذي كتبَ كتابا في اللسانيات اليوم.

وتختلف تصورات نظرية النحو الوظيفي بصدد الجملة، فقد كان ينظر إليها مع نموذج (ديك ١٩٧٨) باعتبارها مكونة من ركنين: حمل وإنجاز، أما النموذج الحالي (ديك ١٩٨٩) (ديك١٩٩٨) (المتوكل ١٩٩٦) (المتوكل٢٠٠١) فالجملة مكونة من حمل مركزي، وحمل موسع، وقضية وإنجاز، كما اختلفت تصورات نظرية النحو الوظيفي أيضا بصدد مكونات الجملة الخارجية في عددها، ووظائفها:

فمن حيث مكوناتها لم تعد مقتصرة على المكونات الثلاثة، المبتدأ، الديل، المنادى، بل أضيفت مكونات أخرى كالفواتح، والخواتم، والنواقل، أما من حيث الوظائف فقد صنعت بحسب معيار الدور الذي تقوم به كل فئة منها.

إن إعادة النظر في مكونات الجملة داخليا وخارجيا، كان بحسب (المتوكل ٢٠٠١) بمثابة مخاض انتقل فيه النحو الوظيفي من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص/الخطاب.

٢-٤- نحو الجملة، ونحو الخطاب نحو أم نحو واحد ؟

٢-٤-١- مفهوم الخطاب :

جاء في لسان العرب المجلد الخامس في مادة خطب: «الخطب الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال... والخطابة والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا والخُطبة كلام الخَطيب...[١]

والخطاب في هذا المعجم كلام بين ذاتين لتحقيق التواصل والإقناع والإفهام ويعرفه (المتوكل ٢٠٠١)» الخطاب إنتاج لغوي يكون في مجموعه وحدة تواصلية، وسبق أن أشرنا أن الخطاب عند (المتوكل ٢٠٠١) ينتج في سياق، ومقام وغرض معين.

والخطاب «إنتاج لغوي» ولاتهمنا بصدده حجم الإنتاج فقد يكون جملة بسيطة، نحو:

- صليت العصر.

أو جملة معقدة نحو: جاء الأستاذ الذي زار أمريكا لإلقاء محاضرة في النحو العربي إلى القسم منشرح الصدر.

أو نصا نحو: «أثارني في ملف مجلة فكر ونقد،موضوع حول الخطاب، فاشتريت العدد، وقرأت مواضيعه بإمعان شديد، فخرجت بخلاصة: الخطاب تتداخل فيه عدد من المقاربات لمعالجته».

وقد يكون الخطاب مركبا اسميا كاسم الفعل نحو:

- هيهات!

١- لسان العرب لابن منظور ،مجلد ٥ ،دار صادر ،بيروت مادة خطب ،ص٩٧ وما بعدها

أو مركب اسمي نحو:

- السيارات!

٢-٤-٢- الخطاب والنص:

النصــ وحدة بنيويــة تتكون من متواليات من الجمــل، تربطها علاقات شكليــة (آليات الاتساق)، وعلاقات معنوية (آليات الانسجام)

فالنص إذن يتقيد بعدد الجمل، بحيث يصعب أن نطلق مثلا على الجملة الآتية نحو: قام الأستاذ؛ نصا.

أما الخطاب فهو وحدة تواصلية أنتجت في مقام وسياق معينين ولا يهمنا حجمه سواء كان نصا أو جملة بسيطة أو جملة مركبة، بل حتى الشعار «ممنوع التدخين» أو ممنوع رمي الأزبال إذا وجدت في سياق صوب مدرسة أو قرب مستشفى؛ خطاب.

وهنا يكمن الفرق بين النص والخطاب، فالنص يتقيد بعدد الجمل، عكس الخطاب ومنه فالخطاب أعم من النص.

٢-٤-٣- النحو الوظيفي: من الجملة إلى النص:

لقــد كان النحــو الوظيفي منذ بدايتــه نحو خطاب، وإن كانت الأبحــاث منحصرة في البداية حول الجملة وقضاياها، وكان التفكير في إنشاء نحو الخطاب النصي يسير في اتجاهين.

١- موقف يرى أن هناك اختلافا بنية الجملة، وبنية الخطاب النص، بالتالي فآليات معالجة قضايا الجملــة، غير صالحة لمعالجة قضايا النص، بالتالي لابــد من البحث عن نحو جديد لمعالجة الخطــاب (النصــ، ويمثل هذا الاتجاه كــروان ١٩٩٧)، التي تقترح مقاربــة قالبية لخصائص الجملة، وخصائص النص في قالبين مختلفين متعالقين، قالب جملي، قالب نصي[١].

٢- موقف يرى أن هناك تماثلا بنية النص، وبنية الجملة، وأن آليات معالجة قضايا الجملة صالح أن يكيف لمعالجــة قضايا النص الخطاب، ويتبنى هذا الموقف (المتوكل ٢٠٠١، ١٩٩٨) ديك ١٩٩٧، هنخفلــد ١٩٩٧، وهــو الموقف الذي تؤطره الأطروحــة التالية نموذج بنية الجملة يمكن أن يعــد جزئيــا للنص ككل[٢]، مما يــدل على التماثل بين بنية الجملة وبنيــة الخطاب، بالتالي فنحوهما نحو واحد، لا نحوان.

١- أحمد المتوكل، بنية الخطاب، ص٨٤

٢- نفسه ص ٨٤

خاتمة:

إن نظريــة النحو الوظيفي La théorie de grammaire fonctionnel، نظرية خطاب تجاوزت قضايــا الجملة صوتــا، وتركيبا إلى قضايا الخطــاب، كإنتاج لغوي تواصلي مرتبــط بمقام وسياق معينيــن، وبهــذا يكون النحــو الوظيفي، نحوا متكامــلا يعالج القضايــا الخطابية علــى اعتبار أن مستعملــي اللغــة الطبيعيــة، لايتواصلون بجمل بقدر مــا يتواصلون بوحدات خطابيــة بالتالي يكون (المتــوكل ٢٠٠١) قــد أسس للسانيات «الحق»، وتلافى التمييــز «الزائف»[١] بين لسانيات الجملة ولسانيات النص (الخطاب)، وبذلك تحقق لنظرية النحو الوظيفي هدفين[٢]:

- أولا: الانسجــام الكامــل مــع مزاعمها ومطامحها الأساسية فتصبــح فعلا نظرية خطاب في مختلف أحجامه ومختلف أنماطه.
- ثانيا: الشمولية: أي في معالجة قضايا الجملة، وقضايا النص بأقل كلفة.

وبذلــك تحقــق مــا دعا إليــه سيمون ديــك ١٩٩٨ مــن أن نظرية «النحــو الوظيفي يجــب أن ترقى لمعالجــة قضايــا الخطاب/ النص، وبذلــك انتقل النحو الوظيفي مع أحمــد المتوكل من لسانيات الجملــة (المتــوكل ١٩٨٥، ١٩٨٦، ١٩٩٣، ١٩٩٧، ١٩٩٥، ١٩٩٦) إلــى لسانيات الخطاب (المتوكل ٢٠٠١)، (المتوكل ٢٠٠٨) (المتوكل٢٠١٠)»

١- نفسه ص ٢٧٨

٢- نفسه ص ٢٧٨

الدكتور اسحق رحماني
أستاذ مساعد بجامعة شيراز

دراسة أسس ومبادئ
إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية

الملخص:
لا يمكننـا أن نقـول أن تأليف معجم تاريخـي أمر سهل، ولو تتوفّر الميزانيـة المطلوبة لذلك. فقد استغـرق إعداد معجم مثـل أكسفورد وغيره من المعاجم عشرة عامـاً. ولكن نحن في هذه الفترة الزمنية كيف يمكننا أنّ ننجز هذا العمل الكبير في زمن قصير مع أن في أمامنا أنواع من المعوقات منهـا: قـدم تاريخ نشأة اللغـة العربية الّتي يرجع إلى زمن سيدنا نـوح و الحصول على المصادر و الوثائـق العلمية الّتي تثبت ذلك، وأيضـاً قلة المتخصصين في الدراسـات التأصيلية الّتي ترتبط بصناعـة المعجم اللغـوي. ولذلك يتطلب إعداد المدونـة اللغوية النموذجية جهـداً متواصلاً من قبـل المتخصصين ودعم الحكومات العربية. وتهدف هذه المقالة إلى دراسة المبادىء الأساسية لوضع المعجم التاريخي المثالي للغة العربية بإذن الله تعالى.

الكلمات الرئيسية: المبادئ، الإنجاز، المعجم، التاريخي

المقدمة:

إنّ اللغة هي واسطة لنقل الأفكار والمكتسبات من الأسلاف إلى الأخلاف. وهي فكر الأمة وهويتها وتربـط بين أفـراد الأمّة وتعبّر عن أحلامهم وآمالهم وعن أفراحهـم وآلامهم، وهي الخزينة الّتي ترسم فيها الأمة عناصر ماضيها وتُسطّرُ بها حوادث تاريخها و ثمرات نتاجها في العلم، السياسة، الأدب، أو الفنّ وهي الواسطة الّتي يتمّ بها انتشار الأفكار و المشاعر فتنتقل من فرد إلى آخر ومن مجموعـة إلى أخـرى. فاللغة ليست مجموعةً مـن الألفاظ و العبارات الجامدة، بـل هي أحاسيس ومشاعر ونوازع كامنة، و أفكارٌ وميولٌ حيّة مطويّة تقومُ بمثابة طابعٍ قوميٍّ يشدُّ من روابط الاتحاد والألفة بين جميع أفرادها، فيشعُرُ هؤلاءِ وكأنّهم أسرة واحدة.

لاشـكَّ أنَّ اللّغةَ هي أداة الاتّصال والتّفاهُم بين أبناء البشر، وهي آيةٌ من آيات الله العظمى. يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾[1] لأنّ الإنسانَ هو المخلوق الوحيد الذي ينطقُ ويعبِّرُ عمَّا في ضميرِهِ.

إنّ جميـع الأمـم المتقدّمة، تهتمّ بلغاتها، فتقيـم جامعاتها ومؤسساتها العلميـة لخدمتها، خاصة للبحـوث والدراسات اللغوية. وقد حققـت الدراسات المعجمية واللغوية الحديثة، في الغرب تقدمًا كبيرًا، باعتبارها علمًا ترتبط بالعلوم الأخرى وتبحث عن قانون النشوء والارتقاء، وانحلال اللغات و تاريـخ إيجادها. ونتيجـة ذلك ظهرت المعاجـم التاريخية، بحيث يُعنى بدراسـة أصل الكلمات واشتقاقها وتطور دلالاتها.

مفهوم اللغة:

لقـد لعبت اللغةُ دوراً هامـاً في تحقيق المنزلة العليـا للإنسان بين الكائنـات الأخرى وإن الرموز اللغويـة خدمت الإنسان والوجود الإنساني وأصبح الإنسان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بها في سير أمور حياته اليومية.

لقـد انشغـل العلمـاء قديماً وحديثـاً بالبحث عن جوهر اللغة، وقديماً عرَّف ابـن جني اللغة بقوله: إنّهـا «أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهـم»[2]. وحديثاً فقد ذهب سوسير أن اللغة في أساسها مجموعة من الصور اللفظية الّتي تخزن في أذهان الأفراد كما يستخدمونها في التفاهم والاتصال السماعـي[3]. وعرّفهـا أنيس فريحة بأنّهـا ظاهرة سيكولوجية اجتماعية ثقافيـة مكتسبة، لاصفة بيولوجية ملازمة للفرد، تتألّف من مجموعة رموز صوتية لغوية اكتسبت عن طريق الاختبار معاني مقررة في الذهن. وبهذا النظام الرمزي الصوتي تستطيع جماعة ما أن تتفاهم وتتفاعل[4].

هناك تعريفات كثيرة أوردها العلماء تكشف عن ارتباط علم اللغة بعلوم عدة، أهمها: علم النفس، علم الاجتماع، علم المنطق، علم الفلسفة وعلم البيولوجيا، وتشير إلى أن كل عالم منهم كان ينظر إلى اللغة من زاوية العلم الذي يعمل في ميدانه.

وظيفة اللغة:

يرتبـط الرمز اللغوي ببيئة محددة يطلق عليها الجماعة اللغوية، فعندما يسمع شخص لغة أجنبية لا يعرفهـا بل يسمعها أصواتاً غيرمتميزة، وليس لها تصنيف واضح عنده وليست لها دلالة رمزية، إنـه يسمـع سلسلة صوتية ليسـت لها وحدات متميزة ولكـن ابن اللغة أو العارف بهـا لا يسمع هذه السلسلة الصوتية فحسب، بل يميّز بين مكوناتها ويفهم محتواها الدلالي.

١- سورة الروم، الآية: ٢٢.

٢- بن جني، الخصائص، دار الهدى، بيروت، ط/٢، ج/١ ص ٣٢

٣- محمود أبو زيد، اللغة في الثقافة والمجتمع، دار الكتاب، الزيتون، ص ٨٢

٤- أنيس فريحة، نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٣م، ص١٤

واللغـة كاصطلاح بعد ما خرجت إلى سوق الحياة العامة أصبحت تعمل فيها كعنصر من عناصر التفاهم وسبيل النجاح في التعبير عما تجيش في صدور الناس.

ليس هناك أحد يعترض على تنوع وظائف اللغة في السلوك الإنساني وإن اختلف العلماء في ترتيب هـذه الوظائف حسـب أولوياتها وأهميتهـا. لأن الوظيفـة الأساسية للغة هي الاتصـال أو النقل أو التعبير عن طريق الأصوات الكلامية وأن ما توصله اللغة أو تنقله أو تعبر عنه هو الأفكار والمعاني والانفعـالات والرغبـات، أو الفكر بوجه عام[١]. ويأتي جون فيـرث (John Rupert First) الذي يتكـون محيـط الكلام عنده من مجموعـة العلاقات بين الأشخاص الذيـن يقومون بدور معين في المجتمع، ومن مجموعة الكلمات الّتي ينطقون بها والأحداث الّتي يرتبطون بها. واللغة عنده ليست إشـارات اصطلاحية وذلك لأنّ دلالات اللغة تحدّد من خلال الاستعمالات المتنوعة في المجتمع[٢] يرى أندرية مارتينة (Andre Martinet) أنّ وظيفة اللغة الأساسية هي التواصل في إطار المجتمع الذي تنتمي إليه، فاللغة مؤسسة إنسانية يرتد كيانها إلى المجتمع الذي يتكلمها وهي الوسيلة الّتي تتيح للإنسان بصورة أساسية القيام بعملية التواصل بينه وبين أفراد بيئته[٣].

وكذلـك يقول جون ديوي: إنّ اللغـة لا توجد إلا عندما يستمع إليها ويتحدث بها، فالسامع شريك لا غنى عنه في هذه العملية المؤلفة من المتحدث وموضوع القول ومن يتحدث إليه[٤].

ومـن هذا العرض يمكن القول بأن معظم هؤلاء العلماء قـد أجمعوا على أن وظيفة اللغة الأساسية هـي التواصل بين أفراد مجتمع ما وإن كانت هـذه الآراء في تطورها في فهم هذه الوظيفة تتفاوت قليلاً بعضها عن بعض.

فقـد حـاول هاليداى (Halliday)[٥] تقديـم حصر بأهم وظائف اللغة فـي المواقف الّتي يحتاج الفرد إلى استعمال اللغة للاتصال بها، على ما يلي:

١- الوظيفـة النفعيـة: (Instrumental Function) ، وهـذه الوظيفة هي التـي يطلق عليها «أنا أريـد» فاللغة تسمح لمستخدميهـا منذ طفولتهم المبكرة أن يُشبعـوا حاجاتهم وأن يعبروا عن رغباتهم.

٢- الوظيفـة التنظيميـة: (Regulatory Function)، وهـي تعرف باسم وظيفـة «افعل كذا، ولا تفعـل كـذا» فمن خلال اللغة يستطيـع الفرد أن يتحكم فـي سلوك الآخريـن، لتنفيذ المطالب والنهي، وكذا اللافتات التي نقرؤها، وما تحمل من توجيهات وإرشادات.

١- محمود السعران، اللغة والمجتمع، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م، ص ١٢

٢- ميشال زكريا، الألسنية المبادىء والإعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ، ط/٢، ١٩٨٣م، ص ٢٨٢

٣- ميشال زكريا، قراءات تمهيدية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط/٢، ١٩٨٥م، ص ٢١٧

٤- جون ديوي، قاموس جون ديوي للتربية، ترجمة محمد على العريان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ١٧٨

٥- رشدي أحمد طعيمة، المدخل الاتصالي في تعليم اللغة الأجنبية، جامعة السلطان قابوس، مسقط، ١٩٩٧م، ص ٦

٣- الوظيفـة التفاعليـة: (Interactional Function)، وهـي وظيفـة «أنا وأنـت» حيث تستخدم اللغـة التفاعل مع الآخرين في العالم الاجتماعي باعتبار أنَّ الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع الفكاك من أسر جماعته، فنستخدم اللغة في المناسبات، والاحترام، والتأدب مع الآخرين.

٤- الوظيفـة الشخصيـة: (Personal Function)، بمعنى أن الإنسان يستطيع من خلال اللغة أن يعبر عن مشاعره واتجاهاته نحو موضوعات كثيرة، وتلخص في عبارة: إنني قادم.

٥- الوظيفـة الاستكشافية: ويقصد بهـا استخدام اللغة من أجل الاستفسـار عن أسباب الظواهر والرغبـة فـي التعلم منها، فبعد أن يبـدأ الفرد في تميز ذاته عن البيئـة المحيطة به يستخدم اللغـة لاستكشـاف وفهم هذه الطبيعـة حتى يستكمل معلومـات عن هذه البيئـة، ولخصت في عبارة: أخبرني عن السبب.

٦ـ الوظيفـة التخيلية: (Imaginative Function) ، ويقصد بها استخدام اللغة من أجل التعبير عن تخيلات وتصورات من إبداع الفرد، وتتلخص عند هاليداي في عبارة: دعنا نتظاهر أو ندعي.

٧- الوظيفـة الإخباريـة الإعلامية: (Informative Function) وبهـا يستطيع الفرد من خلال اللغة نقل معلومات جديدة ومتنوعة.

يتضح مما ذكرنا من وظائف اللغة أنها تستخدم في أغراض عديدة تشتمل على أشكال من التفاعل مع الآخرين.

طبيعة اللغة العربية وخصائصها :

اللغة العربية لغة تتمتع بمكانة رفيعة بين اللغات الحيّة في العصر الحاضر، كما كانت قديماً تحتل مكانة الصدارة بين اللغات المشهورة ولهذه اللغة خصائص تميزها، وهي:

١- الاشتقاقية: إن الأصل الواحد في اللغة العربية تتوارد عليه مئات المعاني بدون أن يقتضي ذلك أكثـر مـن تغيرات في حركات أصواتها الأصلية نفسها مع زيـادة بعض الأصوات عليها أو بدون زيـادة، وإنّ كل ذلك يجري وفق قواعـد مضبوطة دقيقة نادرة الشذوذ. ومن الطبيعي أن وجود عـدّة كلمـات ذات دلالات مختلفة فـي أسرة جذرية واحـدة تلعب دوراً إيجابياً فـي تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

٢- القياسيـة: ومن أهميتها أن الطالب بعد فهم القاعدة يستطيع أن يقيس على سائرها، مثلاً: لو عـرف الطالب بأن اسـم المفعول الثلاثي على وزن مفعول فلا تبقـى أمامه مشكلة في صياغة اسم المفعول لأيّ فعل ثلاثي. وهذه الخاصية من أهم الأسس اللغوية الّتي يجب أن تراعى عند بناء منهج اللغة العربية.

٣- الخاصيـة الإعرابيـة: الظاهرة الإعرابية تأتـي أهميتها بحيث تفرق بيـن المعاني، ويقول ابن

فارس اللغوي: فإن الإعراب فيه تميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين وذلك أن قائلاً لو قـال: ما أحسن زيد. غير معرب أي لم يوقـف على مراده فإذا قال ما أحسن زيداً أو ما أحسن زيدٌ أو ما أحسن زيدٍ أبان بالإعراب من المعنى الذي أراده[1].

لا مبالغة في القول إن اللغة العربية هي لغة الأعاجيب في وضعها المحكم وتنسيقها الدقيق، بحيث أنهـا قابلـة للتطور لتستوعـب النمو السريع في مختلف العلـوم والفنون، والعالـم بأسره شهد أن مـا تتميز بـه العربية من الحيويـة، والغنى، والمرونة، والقـدرة على تقبل الجديـد وتوليد اللفظ، فاعترفت المنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة، بأنّ العربية لغة حية.

مفهوم المعجم:

المعاجم العربية كثيرة ومتنوعة، وهي - كذلك - مختلفة في طريقة ترتيبها لألفاظ اللغة، وشرحها لتلك الألفاظ.

وقبل الشروع في ذلك يحسن الوقوف على تعريف المعجم.

أ - تعريفـه فـي اللغة: قال ابن فارس «العين والجيم والميم ثلاثـة أصول، أحدها يدل على سكوت وصمت، والآخر على صلابة وشدة، والآخر على عضٍّ ومذاقة.

فالأول: الرجل الذي لا يفصح، وهو أعجم، والمرأة عجماء بيِّنة العجمة».

وقـال: «ويقال: للصبي ما دام لا يتكلـم ولا يفصح: صبي أعجم. ويقال: صلاة النهار عجماء؛ إنما أراد أنه لا يجهر بها بالقراءة، وقولهم: العجم الذين ليسوا من العرب؛ فهذا من القياس كأنهم لم يفهموا عنهم سموهم عجماً».

وقـال: «والعجماء: البهيمة، وسميت عجماء لأنها لا تتكلم، وكذلك كل من لم يقدر على الكلام فهو أعجم، ومستعجم»[2].

وهكـذا نجد أن استعمـال العرب لهذه المادة وما تصرف من ألفاظها إنما هو للدلالة على الإبهام والخفاء.

وقد جاء على عكس ذلك بمعنى اظهار يقول: أعجمت الكتاب أي: نقطته وشكلته، وعجمته إعجاما: إذا علمت حروفه بالنقط وبينته.

وذكر إبن جني في «الخصائص»، تحت عنوان باب في السلب: «أنه قالوا: أعجمت الكتاب إذا بينته وأوضحته؛ فهو - إذًا - لسلب معنى الاستبهام لا إثباته»[3]وجاء مثله في اللسان.

١- ابن فارس اللغوي، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص ١٦٠

٢- ابن فارس، معجم المقاييس، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢م،٤/١٩٤

٣- ابن جني، الخصائص، م.س. ص ٣٢

ولكن هذه المعاني لا تتفق مع معنى (المعجم) الذي نحن بصدد الحديث عنه - كما سيأتي:

ب - تعريف المعجم في الاصطلاح: وهو مرجع يشتمل على كلمات لغة ما، أو مصطلحات علم ما، مرتبة على نمط معين، مشروحة شرحاً يزيل إبهامها، ومضافاً إليها ما يناسبها من المعلومات الّتي تفيد الباحث، وتعين الدارس على الوصول إلى مراده مع تعريف كل كلمة أو ذكر مرادفها أو نظيرها في لغة أخرى، أو بيان إشتقاقها أو استعمالها أو معانيها المتعددة أو تاريخها، وقد يكون المعجم أحادي اللغة أو ثنائية اللغة أو متعدد اللغات، وقد يكون عاما أو متخصصا، كما قد يكون معجم مترادفات أو ترجمان أو تعاريف، وقد يكون معجما هجائيا مرتبا حسب حروف الهجاء أو مخارج الحروف، أو معنويا مرتبا حسب المعاني[١].

ويمكن تعريف المعجم بأنه كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها بصورة عامة، وعلى أن تكون مواده مرتبة ترتيبا خاصا إما على حروف الهجاء أو بناء على الموضوع، والمعجم هو ديوان لمفردات اللغة مرتب على حروف المعجم[٢]. والمعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبين مواضع استعمالها[٣].

إذن المعجم وسيلة لغوية تتعلق بجمع اللغة ووضعها، ويسعى إلى وضع أسس تتصل باللغة ومفرداتها ومفاهيمها الّتي ترتبط بالعلوم الإنسانية المختلفة وكتب الأدب والنثر وعلم الدلالة....الخ من العلوم الأخرى.

ج - التوفيق بين المعنيين: اللغوي، والاصطلاحي:

كيف يمكن التوفيق بين المعنى الأصلي اللغوي وبين المعنى الاصطلاحي؟

والإجابة عن ذلك أن يقال: إن زيادة بعض الحروف في الكلمة قد تسبب تغييراً في المعنى، وقد خصص لذلك علماء الصرف باباً سموه (معاني صيغ الزوائد).

بل إن بعض أنواع الزيادة قد تقلب المعنى إلى ضده، كتضعيف عين الكلمة وكزيادة الهمزة في أول الكلمة؛ لتدل على معنى الإزالة، كما يقال مثلاً: أشكيت فلاناً أي أزلت شكواه. وكذلك قسط بمعنى جار، وأقسط: بمعنى عدل. ويقال: أعجمت الكتاب أي أزلت عجمته بنقْطه أو شَكْله كما يقال: عجمت.

وقد وضح ذلك ابن جني حين قال: ثم إنهم قالوا: أعجمت الكتاب: إذا بينته وأوضحته؛ فهو - إذاً - لسلب معنى الاستبهام لا إثباته[٤].

١- رياض زكي قاسم، المعجم العربي بحوث في المادة والمنهج والتطبيق، دار المعرفة، بيروت لبنان، ١٩٨٧م، ص ١٩

٢- محمد رشادي الحمزاوي، من قضايا المعجم العربي حديثا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦، ص ١٥١

٣- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيّة، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، ج ١، ص ٥٩٢

٤- ١٦- رياض زكي قاسم، المعجم العربي بحوث في المادة والمنهج ، م.س. ص ٣

فمعنى المعجم - إذاً - هو الكتاب الذي أزيلت العجمة فيه، وذهب الخفاء منه.

وحروف المعجم - كما حكى ابن فارس عن الخليل - «هي الحروف المقطعة؛ لأنها أعجمية»[١]

ويوضح ابن فارس هذا بقوله: «وأظن أن الخليل أراد بالأعجمية أنها ما دامت مقطعة غير مؤلفة تأليف الكلام المفهوم فهي أعجمية لا تدل على شيء؛ فإن كان هذا أراد فله وجه، وإلا فما أدري أي شيء أراد بالأعجمية»[٢]

إطلاق كلمة المعجم تدل على ما تقدم ذكره من أنه كتاب يضم ألفاظ اللغة ويشرح معانيها الخ... وإنما هو المعنى الغالب عليه. وإلا فإن المؤرخين من علماء علم الحديث قد سبقوا علماء اللغة في هذا الإطلاق؛ فسموا كتبهم معاجم.

فهذا أحمد بن علي بن المثنى (٢١٠-٣٠٧) يُطْلِقُ على كتاب وضعه لمعرفة الصحابة: (معجم الصحابة).

وكذلك فعل عبدالله بن عبدالعزيز البغوي (ت٢١٤) المحدث حين أطلق على كتابه (المعجم الكبير) و (المعجم الصغير).

ولذلك يحسن التقييد عند البحث فيقال: المعاجم اللغوية.

أنواع المعاجم اللغوية من حيث الوضع:

هناك نوعان من المعاجم اللغوية و لابد من التفريق بينهما:

النوع الأول: نوع يشرح معاني الألفاظ، ويبين أصلها، وما اشتقت منه، معتمداً في ذلك صاحبها على نظام معين في ترتيب المواد اللغوية؛ بحيث يمكنه جمع اللغة بطريقة حاصرة سواء على نظام التقليبات أم القافية أم الأبجدية. ويطلق على هذا النوع من المعاجم اسم (المعاجم المجنسة) أو (معاجم الألفاظ).

وقد مر تأليف هذه المعاجم بمرحلتين:

الأولى: جمع الكلمات؛ بحيث العالم يرحل إلى البادية؛ فيسمع كلمة، مثلاً كلمة في الأنواء، وثانية في المطر، وثالثة في الغابات والشجر وهكذا...

الثانية: جمع الكلمات بطريقة حاصرة لكل ألفاظ اللغة، وهذا هو المقصود الآن من المعاجم اللغوية.

النوع الثاني: يهدف إلى جمع الألفاظ الموضوعة لمختلف المعاني:

١- ابن فارس، معجم المقاييس، م.س.ص١٩٥/٤

٢- ١٨- م.س.ص ،١٩٥/٤

وهـذه يرجـع إليها من يعرف المعنى، ويرغب في معرفة اللفظ الموضوع له. ويُطْلِق على هذا النوع بعضُ الباحثين: (المعاجم المبوبة) أو (معاجم المعاني) أو (معاجم الموضوعات).

ومـن أبرز الكتـب الّتي ألفت في ذلك كتاب (غريب المصنف) لأبـي عبيد ت٢٢٢هـ، و (الألفاظ) لابـن السكيت ت٢٤٤هـ، و (الألفاظ الكتابية) للهمذانـي ت٣٢٧هـ، و (مبـادئ اللغة) للإسكافي ت٤٢١هـ، و (فقه اللغة) للثعالبي ت٤٢٩هـ، و (المخصص) لابن سيدة ت٤٥٨هـ.[١]

المعجم التاريخي:

يقصـد بالمعجـم التاريخي، ذلك المعجم الذي يقوم على تتبع المعانـي أو المفاهيم الّتي أعطيت للألفـاظ أو المصطلحات، عبر تاريخها الاستعمالـي[٢]. المعجم العام أو العادي هو كتاب يحتوي علـى كلمـات منتقاة من اللغـة، تُرتَّب عادة ترتيبـاً هجائيا، مع معلومات دلاليـة ونحوية عنها. أما المعجـم التاريخي فيزيد على ذلك بأن يؤرخ لظهـور كل كلمة في اللغة ويتتبع ما طرأ على دلالاتها مـن تطـور وعلى تلفُّظها من تغير، كما يبين أصل الكلمة ومـا إذا كانت قد اقتُرضت من لغة أخرى مباشـرة أو عبر لغات وسيطة. ويستند المعجـم في تقديم تلك المعلومات إلى النصوص المتوفرة سـواء أكانـت تلك النصوص مطبوعة أو مخطوطة أو منقوشة علـى أوراق البردي أو على النقود أو غيرهـا. فالمعجم التاريخي يرتب معانـي الكلمة ترتيباً تاريخياً، فيورد المعنـى الأقدم أولاً ويضع بعـده سنـة ظهوره مـع شاهد أو اقتباسـ من النصوص المدوَّنة، ثـم يأتي بالمعنـى الثاني الذي استُعملت فيه تلك الكلمة وسنة ظهوره وجملة مقتبسة وردت فيها تلك الكلمة بذلك المعنى وهكذا.

تعتبـر المعجمات التاريخية للغات، مظهراً لتقدم الحضـاري و الثقافي و اللغوي، بحيث تسجل لنا تطـور لغـة أمة الناطقة بهذه اللغـة على مرّ التاريخ، علـى أنه يبين نموّ اللغة مـن النواحي المعنَى والدلالـة والسيـاق، ويعكـس الأطوار التاريخيـة الّتي تمرّ بها الأمـم. ولذلك كان تاريـخ اللغة، هو التاريخ الفكري والثقافي بالمفهوم العام للأمم والشعوب الّتي تنطق بتلك اللغة[٣].

وَوَضْـعُ المعجمات التاريخية للغات، في الجملة، يأتي على رأس مراحل النضج والتوسّع والامتداد، ويقـوم علـى أساس من الذخيرة المعجمية اللغوية، الّتي تتجمّع مـن الكتب الّتي تُعنَى بشرح معاني الكلمـة، ومترادفاتها، وأبنيتها الصرفيـة وتراكيبها النحوية، وأصولهـا، واستعمالاتها، وغريبها، وشواهدهـا. ذلك أن التأريـخ للغة من اللغات هو حصيلـة تراكم الثروة اللغويـة، والتصرّف فيها واستثمارهـا بمنهج علمي. وهو عملية لا تتـم على النحو الذي يفي بالقصد ويحقّق الهدف، إلاَّ إذا توافـرت شروط موضوعيـة يأتي في المقدمة منها، تطـوّر المجتمع علمياً وثقافيـاً. ولذلك اقترن

١- محمد بن ابراهيم الحمد، دراسات في المعاجم العربية، http://www.toislam.net/files.asp?order=3&num=2540 &per=1229&kk

٢- محمد البوشيخي، مفهوم المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية alminbar.al-islam.com/images/books/350.doc

٣- علي القاسمي، المعجم التاريخي للغة العربية، http://www.alfawanis.com/kotab/articles.php?id

وضـع المعجم التاريخي للغة بالتطـوّر الحضاري الذي يتحقّق في بيئة هذه اللغة، بحيث كان ظهور المعجـم التاريخـي للغة ما، تعبيراً عن بزوغ عصر النهضة، كما هـو واضح تماماً في تاريخ أوروبا المعاصـر، حيث صدر معجم أكاديمية كروسا الإيطالية في عام ١٦١٢م، وصدر معجم الأكاديمية الفرنسيـة بيـن عامَـيْ ١٦٣٨م و١٦٩٤م، وصـدر معجم وبستـر الأمريكي في عـام ١٨٢٨م. وهذه المراحل هي الّتي كانت منطلقاً للنهضة في تلك البلدان[١].

مراحل تطور معجم اللغة العربية:

وفي هنا نتناول المراحل المختلفة الّتي مر بها المعجم العربي عبر القرون.

المرحلة الأولى: الترتيب الصوتي ونظام التقلبات الخليليان.

وقد خطا خليل ابن احمد الفراهيدي خطوة الإبداع في مجال العمل اللغوي في مسار وصف جوانب حياة اللغة في تصنيفه المعجمي في نهاية القرن الثاني للهجرة (٧١٨-٧٨٦ م) واستحق بذلك أن يكـون أول مـن أنشأ علم اللغة. الأسس والإطار العام الّتـي اتخذها الخليل بن أحمد في معجمه لم تتجاوزهـا التصانيف المعجمية العربية فيمـا بعد. نظم معجمه وفق أسس مرتبة ومعينة جمع فيه كل مفردات اللغة، ساعدته في ذلك عقليته الرياضية حيث استخدم في وضع كتابه (العين) إحدى السبـل الرياضية الّتي مكنته من جمـع كل مفردات اللغة وهي طريقة التقاليب الصوتية ويتم ذلك عن طريق تقليب حروف الكلمة الواحدة للحصول على الكلمات بالشرح والتحليل.

ورتـب الخليـل مادته اللغوية في كتـاب (العين) حسب المخارج الصوتية للحـروف من الحلق إلى الخارج على نحو التالي:

ع ح هـ خ غ - ق ك - ج ش ض - ط د ت - ظ ذ ث - ر ل ن - ف ب م - و ا ي[٢].

إن ترتيـب الخليل للحروف حسـب مخارجها، ونظامه في التقلبات قـد أصبحا مرحلة مميزة من مراحل التأليف المعجمي، واتبع هذا الطريق من بعده تلامذته، منهم:

١- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهر الهروي (٨٩٥-٩٨١) في كتابه (تهذيب اللغة).

٢- اسماعيل بن القاسم بن هارون القالي، البغدادي (٩٠١-٩٦٢ م) في كتابه (البارع).

٣- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة الأندلسي (٣٩٤-٤٥٨ هـ) في كتابه (المحكم).

٤- الزبيدي في كتابه (مختصر العين)[٣].

١- المعجم التاريخي للغة العربية في ضوء متغيّرات الألفية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. إيسيسكو. ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م

٢- إميل يعقوب، المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ص ٢٩

٣- م.س.ص ٤٤-٤٥

المرحلة الثانية : النظام الألفبائي الخاص.

يظهـر أن ابن دريد قد أدرك، من ناحيـة، صعوبة البحث في معجم العين عن معاني الكلمات الّتي يستغلـق فهمهـا على الباحـث، كما شعر، من ناحيـة ثانية، أن ترتيب مواد المعجـم حسب النظام الألفبائي يخفف كثيراً من هذه الصعوبة نظراً لسعة انتشاره. ورأى أيضا أن نظام التقليبات، الذي ابتدعـه الخليـل، أساس سليم لاستيعاب معظم مواد اللغة العربيـة، إذ لم ينقل جميعها. فأحبَّ أن يجمـع بين ترتيب الألفباء العـادي وبين نظام التقليبات الخليلي، فوضع معجمه (الجمهرة) على هـذا الأساس[1]. ويبدأ النظام الألفبائـي الخاص بالحرف مع ما يليه فـي الألفباء لا مع الهمزة فالباء فالتاء، فإذا أخذنا باب الحاء – مثلاً – فإنه يبدأ بالحاء و الخاء، ثم الحاء والدال، فالحاء والذال، و هكذا إلى الحاء و الياء، ثم يعود إلى الحاء و الهمزة، ثم الحاء و الباء... و هكذا.

وقـد شكل هـذا المعجم مرحلـة متقدمة في فن ترتيـب مواد المعجـم، وسُمّيـت بمرحلة النظام الألفبائي الخاصة.

ومن وافق هذه المدرسة، هما:

١- أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد (٨٣٨-٩٣٣ م) في كتابه الجمهرة.

٢- أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (٩٤١-١٠٠٤) في كتابه المقايس.

المرحلة الثالثة : الترتيب بحسب الحرف الأخير.

أول من ابتدع هذا النظام إسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت ٣٧٠هـ/٩٦١م)، خال الجوهري صاحب الصحاح، ولكن الباحثين يجمعون على أن الجوهري هو المبتدع لهذا النظام. وهذا التنظيم متبع قي كثير من المعاجم وأهمها:

١- الصحاح للإسماعيل بن حماد الجوهري (توفي حولي ٤٠٠ هـ).

٢- لسان العرب لمحمد مكرم بن علي بن منظور الأفريقي (١٢٣٢-١٣١١ م).

٣- القـامـوس المحيـط لمحمـد بن يعقـوب، أبو طاهـر، مجد الديـن الشيـرازي الفيـروزبادي (١٣٢٩-١٤١٥م.).

المرحلة الرابعة : الترتيب الألفبائي حسب أوائل الأصول.

اعتمـد هـذا النظام على الترتيب الألفبائي حسب أوائل أصـول الكلمات، و يعد أبو عمرو الشيباني والبرمكـي صاحبـا الفضل فـي اكتشاف هذا النظـام، وتوالـت بعدهما الكثير مـن المعاجم مثل المصبـاح المنيـر للفيومـي (ت ٧٧٠هـ) وغيره مـن معاجـم المصطلحات والشعـراء وكتب عن الطبقـات. أما المعجم الحديث مثل «معجم المحيط» لبطرس السستاني، و «البستان» و «فاكهة

١- م.س. ص ٧٧

البستان» لعبـدالله البستان، و «أقرب الموارد» لسعيد الشرتوني، والمنجد للويس المعلوف، و«متن اللغـة» لأحمد رضاء إضافة إلى معاجـم مجمع اللغة العربية بالقاهرة «المعجم الكبير» و «المعجم الوسيط» فكلها تتبع هذا النظام الالفبائي.

المرحلة الخامسة : الترتيب النطقي (الترتيب الفرنجي).

لاشـك في أن مراعاة أصول الكلمات، في ترتيب مواد المعجم، فيه من الصعوبة، ويظهر أن بعض اللغويين العرب المحدثين قد أدركوا هذه الصعوبة، وبخاصة بعد اطّلاعهم على المعاجم الأجنبية الّتي ترتب كلماتها حسب نطقها، لا حسب جذرها، فرغبوا في وضع معجم ميسرة الشرح والتبويب، آخذين بالترتيب (الفرنجي) لكلمات المعجم، أي حسب نطقها لا حسب جذورها.

ومن أشهر هذه المعاجم هي :

١- «المرجع» لشيخ عبد الله العلا يلي، ولد في بيروت في السنة ١٩١٤.

٢- «الرائد» لجبران مسعود ١٩٣٠ أحد أساتذة اللغة العربية المشهورة في بيروت.

نجـد أن المعاجـم قد صنفت إلى أصناف و كل صنف خاص بنوع من المعاجم سواء كانت عامة أو خاصة وحدد السبب الذي من أجله تم تصنيفه و هي:

١- المعاجم اللغوية: تهتم هذه المعاجم بشرح الفاظ اللغة عامة وتحدد كيفية استعمالها وترتيبها يتـم بطريقة معينة وهي أغلـب المعاجم الموجودة إذ أنه لم يخرج أي منها من هذا النوع ومن هـذا المعاجم القاموس المحيـط للفيروز آبادي، والصحاح للجوهـري حيث تهتم هذه الكتب باللغة عامة.

٢- معاجـم الترجمـة: وتعر ف بالمعاجـم أو الثنائية والثلاثية اللغة وهي أقـدم أنواع المعاجم في العالـم. و تقوم هذه المعاجم بشرح لغة أجنبية بلغة محلية بعد جمعها ويلحق بها المعاجم متعددة اللغـات وهي الّتي تعطي المعنى الواحد بعدة اللغات فـي آن واحد، ويهدف هذا النوع من المعاجم إلى تسهيل تعلّم الكلام والكتابة باللغات الأجنبية.

٣- المعجـم الموضوعية: هذه المعاجـم تهتم بجمع المادة وفق معانيهـا أو موضوعاتها حيث يتم ترتيب المواد في المعجم الواحد حسب الموضوع ولا يدخل الموضوع في الآخر، وخير مثال في هذا النوع من المعاجم كتاب (المخصص) لابن سيدة الأندلسي.

٤- المعاجـم الاشتقاقيـة: أما هذا النوع من المعاجم فكل اهتمامـه ينصب في البحث عن أصول الكلمـات أو ألفـاظ اللغة فتدلنا على أصل الكلمة وتحديد الأسـرة الّتي تنتمي إليها الكلمة أهي سامية أم هندية أو أوربية أو عربية.

٥- المعاجـم المتخصصـة: تهتم هذه المعاجم بموضوع معيـن أو علم من العلوم والمصطلحات، ثـم تشرح هـذه المصطلحات أو الألفاظ حسـب استعمال المتخصصين في هـذا العلم ومن هذه

المعاجم (التذكرة) لداود الأنطاكي وكتاب (حياة الحيوان) للدميري.

٦- دوائـر المعـارف: هي نوع مـن أنواع المعاجم ولكنهـا تختلف عنها من حيث أنهـا سجل للعلوم والفنـون وغيرها من المظاهـر و النشاط العقلي عند الإنسان وهي المراجع للتعريف بالإعلام والشعـوب والبلـدان والوقائع الحربية وهنـاك دوائر المعارف المتخصصـة كدوائر المعارف الإسلامية ودوائر المعارف الطبية.

٧- المعجـم المصوّر: ممـا لا شك فيه أن الصـور تساعد على توضيح معانـي الحسيات الّتي تقع عليهـا العين. واستخدام الصور في مجال المعاجم ظهر حديثـا، مع ظهور المنجد. والمعجم المصـور هو الـذي يثبت صور الـكل الّتي يتضمنهـا. وأول من وضع معجما بهـذا النوع العالم الألماني (دودون) الذي لاحظ أن الألفاظ في اللغة تكثر في الحسيات لا في المجردات.

٨- المعجـم التاريخـي: تهتم هذه المعاجم بأصـل الكلمة لا الكلمة نفسها ثـم تتبع مراحل الكلمة ومعناها عبر الأزمنة والعصور مثل كلمة (المربي) ماذا كانت تعني في الجاهلية، وكيف تطور معناها حتى اليوم وذلك عبر العصور المختلفة.

بهـذا قـد توصلنـا إلى أن المعاجـم لاتصنف إلا لتحديد معانـي الموضوع أو علـم أو هدف خاص لايخـرج عنه المعجـم، ولكن معظم معاجـم اللغة العربية كانـت من المعاجم اللغويـة ولم يخرج عنهـا سواء الرسائل الصغيرة أو الكتـب ذات الموضوعات مثل (الغريب في ألفاظ القرآن) وكتب الأصمعي الإبل-الخيل-المطر وغيرها.

ولـم تظهر بقيـة المعجم إلا في عصر الحديث بعد تشعب العلـوم والاختصاصات المختلفة الّتي دفعت العلماء للوقوف على المعاني والمفاهيم الخاصة بكل موضوع.

كمـا أشرنا بأن صناعة المعجـم العربي هي أقدم الصناعات المعجمية في اللغات الحية وأغزرها كماً وأغناها نوعاً، مع ذلك فإن اللغة العربية لا توفق على صناعة المعجم التاريخي حتى الآن.

أهمية المعجم التاريخي:

سيساعـد هـذا المعجم التاريخي على دراسة اللغـة العربية دراسة علميّة، ووصفهـا وصفاً لسانياً دقيقـاً، لأنـه سيؤرخ للتغيـرات الّتي لحقت بأصـوات اللغة وأبنيتهـا الصرفيـة وتراكيبها النحوية بالإضافة إلى التطور الدلالي الّذي أصابها.

المعجم التاريخي المقترح للغة العربية:

فقـد عرف دوزي المعجم التاريخي للغة العربية، أنه معجم يعرفنا بوضوح ودقة- كلما عدنا إليه- المعنـى الدقيق لأي لفظ في أصل استعماله، ومختلف الدلالات الّتي طرأت عليه في جزيرة العرب وبلاد فارس والشام ... إلخ، أي في كل الأمصار الّتي كونت - على حد تعبيره - تلك الإمبراطورية

الشاسعــة، الّتي امتدت ما بين بلاد الهند والحــدود الفرنسية. هو معجم يرسم لنا بالاعتماد على الشواهــد والنصوص اعتمادًا مستمرًّا، وتاريــخ كل لفظ وكل عبارة. ويميز بيــن المعاني الخاصة بــكل لفظ فــي مصرٍ عربي مــا، والمعاني الّتــي كان يفيدها في مصــرٍ آخر؛ بين مدلــول كل لفظ عنــد الشعــراء، ومدلوله عند الناثريــن. ثم هو معجم يشتمل على كل مصطلحــات العلوم والفنون مفسَّرة تفسيرًا منهجيًّا في الواقع يقوم بدلالة الألفاظ والتراكيب، متتبعًا إيَّاها في مختلف العصور والبيئات.

الجهود المبذولة:

المعجم التاريخي يؤرخ لألفاظ اللغة و تاريخ نشأتها ويشير على ما حدث للغة من التطور و التغيير فــي أشكالها ومحتوياتهــا الدلالي عبر العصور وقــد تحدث عن هذا الموضوع ابــن جني في كتابه الخصائص وغيره من كتبه، ولكن حتى الآن ما نجح علماء اللغة العربية في تصنيف كتاب مستقل بحيــث يجيب بهذه المسألة، ولكن في السنوات الأخيــرة شعر علماء اللغة العربية بأنهم في حاجة إلى معجم بما يشبه فيما ألّف في مجال اللغات الأخرى، مثل الإنجليزية وغيرها من اللغات الحية، وقــام مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، إلى البحــث في هذا الموضوع، وقام بتشكيل لجنة للمعجم التاريخي و للتخطيط والعمل على إنجازه.

ونجــد المحاولات الجــادة من قبل بعض علماء اللغة العربية لإعــداد المعجم التاريخي في شكل المؤتمرات كما أقيمت في مدينة الشارقة برعاية حاكمها.

وأيضاً قد قام معهد أبحاث الاستشراق الألماني الذي كان يديره المستشرق أوغست فيشر (١٨٦٥ - ١٩٤٩)، بهــذه المحاولة، لتأليف معجم عربي تاريخي بدعم مــن مؤتمر المستشرقين والمجمع السكسونــي. ولكــن هزيمــة ألمانيا في الحــرب العالميــة الأولــى (١٩١٤- ١٩١٨) أدت إلى توقف المشــروع، ثــم استُأنف العمل عــام ١٩٢٣. وحين أُنشئ مجمع اللغة العربيــة بالقاهرة عام ١٩٣٢، قــرر تبنــي مشروع فيشر وإمداده بالدعم الــلازم والمساعدين المتخصصيــن، فانتقل فيشر إلى القاهــرة، ولكن الحــرب العالمية الثانيــة (١٩٣٩- ١٩٤٥) اضطر للعودة إلــى ألمانيا حيث أقعده المرض وعاجلته المنية. وضاعــت المواد الّتي أعدّها فيشر، ما عــدا المقدمة وأجزاء من حرف الألف.

وعندمــا تأسست جمعية المعجمية العربية بتونس في أواسط الثمانينات، اهتمت بموضوع المعجم التاريخــي فخصته بندوتها العلمية الدولية الثانية عام ١٩٨٩، وأنشئ عام ١٩٩٠ مشروع (المعجم العربــي التاريخي) بتمويل من الحكومــة التونسية، ولكن هذا المشروع قــد توقف، ثم أعيد العمل فيــه عــام ١٩٩٦. ولعل سبب تعثره يعود إلى عــدم تفرّغ القائمين على المشــروع. ولهذا فإن اتحاد المجامع اللغويــة والعلمية العربية قرر إنشاء مؤسسة مستقلة تتفرغ لتأليف المعجم التاريخي للغة العربية[1].

١- علي القاسمي، المعجم التاريخي للغة العربية، http://www.alfawanis.com/kotab/articles.php?id=11

منهجية تأليف المعجم التاريخي:

كان إعـداد المعاجم التاريخية يعتمد على جمع الشواهد السياقية الكثيرة جمعاً يدوياً من مختلف عصـور اللغـة. وكان هذا العمل يتطلب حشـداً من المحررين والمراسليـن و المتبرعين ويستغرق سنـوات طويلة. أما اليوم فقـد أصبحت العملية أيسر بفضل الحاسـوب وقواعد المعلومات وبنوك الكلمـات. إذ يمكـن إنشاء مدونة لغوية تتألف من نصوص كثيرة تضـم ملايين الجمل الّتي تنتمي إلى فتـرات اللغة المتباينة، والأقطار المختلفة، والمجـالات المعرفية المتنوعة. ثم يجري البحث عن الألفاظ لفظاً لفظا، فيزودنا الحاسوب بآلاف العبارات والجمل الّتي يرد فيها اللفظ المطلوب مرتبـة ترتيباً تاريخياً، مع تاريخ كل جملـة والمكان الذي كُتبت فيه والمجال المعرفي الذي تنتمي إليـه،. فيتولى اللغويون والمعجميون استخلاص دلالات اللفـظ المختلفة من السياقات الّتي وردت فيهـا. ويُعزز كل ذلك بدراسات تأصيلية عن أصل اللفظ وتحديد اللغة الّتي اقتُرض منها[1]. وعلى الرغم توفر البرامج المتطوّرة فإن تأليف معجم تاريخي يتطلب سنوات طويلة.

ومن أهم الأسس الّتي ينبغي أن تراعي لعمل هذا «المعجم التاريخي» ما يأتي:

١- يجـب أن يحتـوي المعجـم التاريخي علـى كل كلمة وردت فـي أدبيات اللغـة، مدعومة بالشرح والتوضيح.

٢- المبدأ التاريخي هو الأساس في معالجة الكلمات.

٣- هويـة اللفظـة وكتابة أصولهـا، أصواتهـا، ونطقها، بالحـروف الهجائية العربيـة، وفق قواعد محـددة، سواء أكانت الكلمة: كنعانية أم آرامية أم عبرية، أم حبشية أم أمازيغية أم يونانية أم لاتينيةأم فارسية أم هندية، أم من اللغات الحديثة في العصر الحاضر، لا سيما المصطلحات، والاتفاق على الحروف الّتي تكتب بها الأصول القديمة والحديثة.

٤- الدلالة النحوية لكل كلمة.

٥- يجري الترتيب وفق قاعدة محددة: الفصيح، الشائع، المهجور، المهمل، الغريب، المعرب.

٦- الصرف ويشمل الاشتقاق والصورة التاريخية للكلمة.

٧- شرح معاني المفردات بوضعها في سياقات متعددة، فهي المصدر الأساس الذي يأخذ بأيدينا إلـى الكشـف عن معنى لفظة نجهـل تفسيرها، أو نريد معرفة معناها صحيحـاً دقيقاً لنتعرّف استعمالها، ونهتدي إلى السياق المناسب الذي وردت فيه.

٨- بيـان ضبط مختلف الكلمـات الّتي لا يظهر لنا وجه الصواب فيهـا، ولاسيما الأسماء الجامدة وكثيـراً مـن أسمـاء الأعلام والبلـدان والأفعـال الثلاثية لمعرفـة حركة العين فـي ماضيه أو

١- م.س. http://www.alfawanis.com/kotab/articles.php?id=11

مضارعه، أو معرفة مصدره.

٩- التنبيه برموز معيَّنة على الفصيح والمعرّب والدخيل والمولد من الألفاظ.

١٠- بيان بعض مصطلحات العلوم والفنون.

مراحل إنجاز المعجم التاريخي:

١- مرحلة الجمع والتوثيق: وهي أطول مرحلة وأشقها وأهمها على الإطلاق؛ فيها يجب أن تقرأ جميع أصناف المصادر المتقدّمة، وتستخلص منها جميع التعاريف والشروح، موثقة بالنسبة إلى مصادرها، مضبوطة البيانات، موثقة المتن، صحيحة العبارة، منظمة تنظيمًا يجعل الاستفادة منها فيما يتلو ميسرة.

٢- مرحلة المراجعة والتدقيق: وهي مرحلة تكميل الناقص، وضبط المختل، وإلغاء الحشو، وتعريف الغامض، والتأكد من الموجود، وإضافة المفقود. في المصادر والنصوص، والبيانات، والتنظيم وغير ذلك.

٣- مرحلة التأليف والتنسيق: وفيها يصنف ما روجع ودقق، وتصنيفات جزئية مختلفة، ثم يؤلّف من تلك الأصناف الجزئية أشكال من المركبات ثم ينسق من تلك المركبات المعجم الجامع، مرتبًا الترتيب المشار إليه أعلاه، مكشفًا التكشيف الذي ينبغي له[١].

التوصيات:

- وضع اللجان الأدبية والتاريخية والأصولية موجهة للجامعيين في عملية جمع النصوص والاقتباسات والشواهد.

- تصنيف معجم تاريخي عربي يتطلب حشدَ عددٍ من المتخصصين باللغات العربية القديمة كالسومرية والبابلية والآشورية والآرامية والمصرية القديمة وكذلك باللغات الّتي تفاعلت معها العربية واقترضت منها كاليونانية والفارسية والتركية.

- تأليف المعجم التاريخي العربي يتطلب مؤسسةً متكاملة تنكبُّ على هذا العمل، ولا يكفي جهود لغوي أو معجمي واحد بمفرده.

١- محمد البوشيخي، مفهوم المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية alminbar.al-islam.com/images/books/350.doc

الأستاذ الدكتور عبد المنعم طوعي بشناتي
رئيس أقسام اللغة العربيّة وآدابها والشريعة والدراسات الإسلاميّة في جامعة الجنان

الانسجام الصوتي
دراسة تحليليّة في اللغة العربيّة

الحلقة الثانية

الفصل الرابع:

مطلب: التناسب الصوتي في الأصوات المتقاربة المخارج

تتأثر الأصوات بما يقاربها بالمخرج، فيقلب الصوت الأوّل أو الثانى الى ما يقاربه عندما يلتقيان في الدرج الصوتي، فإنّ صوت التاء في صيغة «افتعل» في الكلمات اضترب، واطترد، واظتهر، قريبة المخرج من الضاد والطاء والظاء، فلمّا رأوا أن التاء المهموسة بعد هذه الأصوات المطبقة، والتاء مخفتة قرّبوها من لفظ الصاد والطاء والظاء بأن قلبوها الى أقرب الحروف منهن، وهو: الطاء، لأن الطاء أخت التاء في المخرج وأخت هؤلاء الأحرف في الاطباق والاستعلاء، وقلبوها مع الطاء طاء أيضاً، لتوافقها في الجهر والاستعلاء، ليكون الصوت متفقا، ومنهم من يقلب التاء الى لفظ ما قبلها، وكأنه بعد أن قلبت التاء طاء، تناسب صوت الطاء مع ما قبلها فقرّبوها منه فقلبت إلى الصوت الذي قبلها، فنقول: اصَّبر، ومصَّبر واضَّرب، ومضَّرب، واظَّهر، ومظَّهر[1]، وقرأ عاصم: «أن يصَّلحا»[2] يريد يصطلحا[3].

١- انظر سر صناعة الإعراب ٢١٧/١.

٢- سورة النساء. الآية ١٢٨.

٣- انظر المحتسب ٢٠١/١. سرّ صناعة الإعراب ٢١٨/١.

واجتماع الأصوات المتقاربة سبب مقتضى للإدغام[١]، فكلّما كانت الأصوات أشدّ تقاربا كان الإدغام فيهما أقوى، وكلّما كان التقارب أقلّ كان الإدغام أبعد[٢]. والحروف المتقاربة مخارجها إذا أدغمت فإنّ حالها حال الحرفين اللذين هما سواء في حسن الإدغام[٣].

والأصوات المتقاربة المخارج تجري مجرى الأصوات المتماثلة في الإدغام، فالعلّة الموجبة للإدغام في المثلين قريب منها في الأصوات المتقاربة، لأن إعادة اللسان إلى موضع قريب مما رفعته عنه كإعادته إلى نفس الموضع الذي رفعته عنه، وهذا العمل يستثقله اللسان، فكرهوا ابقاء الأوّل على حاله، فإذا التقى حرفان متقاربان قرّبوا الصوت الأوّل من الثاني فيقلب إلى لفظ الصوت الثاني، فيدغم الأوّل منهما في الثاني، ولا يمكن إدغام المتقاربين حتى يقلب الصوت الأوّل إلى لفظ الثاني، ولو تركته على أصله من لفظه لم يجز إدغامه لما فيهما من الخلاف، فلا يصحّ الإدغام إلا بعد تقريب صوت من آخر ويصبحا مثلين. لأن رفع اللسان بهما رفعة واحدة مع اختلاف الصوتين محال، لأن لكلّ صوت منهما مخرجا غير الآخر، ولا يمتنع ذلك في المتماثلين، لأنّ المخرج واحد يمكن أن يجمعهما في العمل فيقع اللسان عليهما وقعا واحداً[٤].

ولأصوات العربيّة العديد من المخارج بلغت عند سيبويه ستة عشر مخرجا[٥]، أمّا الخليل بن أحمد فجعل المخارج ثمانية، ولم ينسب الياء والواو والألف والهمزة إلى مخرج معيّن وسمّاها هوائية[٦]، وترتب الأصوات بالنسبة لمخارجها ابتداء من الحلق ثم اللسان - اقصاه، وسطه، طرفه - ثم الشفويّة[٧]، وانتهى سيبويه بمخرج الخياشيم.

والأصوات كما وردت عند سيبويه على ترتيب المخارج على الشكل الآتي: فللحلق منها ثلاثة. فأقصاها مخرجاً: الهمزة والهاء والألف. ومن أوسط الحلق مخرج: العين والحاء. وأدناه مخرجا من الفم: الغين والخاء.

ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج: القاف.

ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج: الكاف.

ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج: الجيم والشين والياء.

ومن بين أوّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج: الضاد.

١- انظر شرح المفصّل ١٠/١٣٣.

٢- انظر شرح المفصّل ١٠/١٣٢.

٣- الكتاب ٤ / ٤٤٥.

٤- انظر شرح المفصل ١٠/١٣٢. وشرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٦٤.

٥- انظر الكتاب ٤/٤٣٣، والممتع ص ٦٦٨

٦- انظر المدخل الى علم اللغة ص ٣١.

٧- انظر الكتاب ٤/٤٣٣، ودراسات في علم الأصوات اللغويّة ص ١٦٣ وما بعدها. والممتع ص ٦٦٩، ٦٧٠.

ومــن حافة اللسان مــن أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين مــا يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج: النون.

ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج: الراء.

وممّا بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج: الطاء، والدال، والتاء.

وممّا بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج: الزاي، والسين، والصاد.

وممّا بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج: الظاء، والذال، والثاء.

وممّا باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج: الفاء.

وممّا بين الشفتين مخرج: الباء، والميم، والواو.

ومن الخياشيم مخرج: النون الخفيفة[١].

والمحدَثون يسقطون مــن الأصوات الساكنة: الألف والنون الخفيفة[٢]، إذ إن الألف عندهم صوت لين ولا فرق بين النون والنون الخفيفة، كما أسقطها الزمخشرى وابن الحاجب[٣].

وصــوت الألــف ما هو إلا صوت حركة الفتــح مشبعا وقد رمز له في مقاييــس أصوات اللين بالرمز «ą»[٤] الفرنســي، فما يسمى بألــف المد هي فتحة طويلة[٥]. وقد أدرك ابن جني ذلك فقال:«اعلم أن الحــركات أبعاضــ حروف المدّ، وهي: الألف والياء والــواو...»[٦]. وكان الخليل بن أحمد يقول: «الألف والواو والياء هوائية، أي: أنها في الهواء»[٧]. ويقصد عندما تكون أصوات مدّ.

والمحدَثــون حيــن نظروا إلى نسبــة صعود اللسان نحو الحنــك أمكنهم أن يقسّمــوا أصوات اللين إلــى مجموعتيــن: المجموعة الأولى: تشمل أصوات اللين الضيقة، وهــي: الكسر والضم، وما قرب منهمــا، لأن اللسان مع كل منهما يبلغ في صعوده نحــو الحنك أقصى ما يمكن للنطق بصوت لين، والمجموعــة الثانية: هي أصوات اللين المتسعــة، وهي: الفتح وما قرب منها. لأن اللسان معها يبلغ أقصــى مــا يمكن أن يصل إليه في هبوطه في قاع الفم، والفــراغ بين اللسان والحنك حينئذ يكون أوسع ما يمكن في هذا الوضع[٨]. وهذا الوصف يبين ما ذكره الخليل من كون أصوات اللين هوائية

١- انظر الكتاب ٤/٤٣٣، ٤٣٤. وانظر شرح المفصّل ١٠/١٢٣. وشرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٥٠.

٢- انظر دراسات في علم الأصوات اللغويّة ص ١٦٥، ١٦٤، ١٦٣.

٣- انظر شرح المفصّل ١٠/١٢٤. وشرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٥٠.

٤- انظر الأصوات اللغوية ص ٤١.

٥- انظر الأصوات اللغويّة ص ٣٨.

٦- انظر سرّ صناعة الإعراب ص ١٧.

٧- انظر شرح المفصّل ١٠/١٢٤.

٨- انظر الأصوات اللغويّة ص ٣٦.

وليس لها أكثر من عضو – وهو اللسان – لتقرع هذه الأصوات عند مخرج معلوم.

وأصوات المدّ، هي: حركة الصوت التي قبلها فلا وجود لحركات قصيرة قبلها بخلاف ما كان يظنه القدامى[١]، فاذا حرّك ما قبلها بحركة قصيرة انقلب صوت المدّ إلى الصوت المناسب للحركة، وأشبعت الحركة حتى تصبح مدّا من نوعها.

ويختلفون مع سيبويه في تقديم بعض الأصوات عن مخارجها فيعدّون صوت القاف صوتا لهويا، ويأتي بعد الهمز والهاء والحاء والعين مباشرة.ويأتي بعد صوت القاف: الغين والخاء والجيم القاهرية والكاف والواو[٢].

وقد أعجب العديد من المستشرقين ومنهم «شادِه» «schaade» على تقسيم سيبويه للمخارج ووصفها بأنها في غاية التفصيل وعذره لتقسيمه المضطرب لأصوات الحلق، لأنه لم يكن يعرف الحنجرة ولا أجزاءها، إذ أنها تلاحظ بالتشريح وبالآلات الفنيّة، كمنظار الحنجرة أو الأشعّة ولم يكن مثل هذه الآلات بين يديه[٣] .

ولما كان الغرض العلم بأصول تقريب الأصوات بعضها من بعض وتداخلها، والحرف إنمّا هو صوت مقروع في مخرج معلوم، فالعلاقة شديدة بين الصوت ومخرجه، فإنّه وجب معرفة مخارج الأصوات ليعلم المتقارب من المتباعد.

وليس كلّ متقاربين في المخرج يدغم أحدهما في الآخر، ولا كلّ متباعدين يمتنع الإدغام فيهما، فقد يعرض للمقارب من الموانع ما يحرمه التقريب والإدغام. فامتناع التقريب يكون لوجود مانع، فكل حرف فيه زيادة صوت لا يدغم فيما هو أنقص منه صوتا، فمثل هذه الأصوات يمتنع تقريبها أو ادغامها في مقاربها لأنّه يؤدّي إلى الإجحاف بها وإبطال مالها من فضل على مقاربها[٤].

فامتناع التقريب بين الأصوات للحفاظ على الصفات الزائدة في الصوت، نوع من التناسب الصوتي كي لا يضيع ويتلاشى الصوت الزائد في الحرف، فأصوات: الضاد، والواو، والياء، والميم، والراء، والفاء، والشين. وكلّ حرف فيه زيادة صوت، مثل: أصوات الصفير والأطباق[٥]. لا يقرّب إلى الصوت الذي يليه ويدغم في مقاربه ويدغم مقاربه فيه.

فلا تدغم الضاد بصوت يقاربها في المخرج لاستطالة ليست موجودة في الأصوات، فلم يدغموها في مقاربها شحاً على استطالة وَقْعِ صوتها لئلا تذهب، وأدغم فيها مقاربها.

١- انظر الأصوات اللغويّة ص٣٩.

٢- انظر دراسات في علم الأصوات اللغويّة ص ١٦٣، ١٦٤.

٣- انظر المدخل الى علم اللغة ص ٣٣.

٤- انظر شرح المفصّل ١٠/١٣٣. وشرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٦٨.

٥- انظر الكتاب ٤/٤٤٧. وشرح المفصّل ١٠/١٣٣. وشرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٦٩. وكتاب التكملة ص ٦١٦.

ولا تدغم الواو والياء في غيرهما لفضيلة اللين والاستطالة، ويدغم غيرهما فيهما.

ولا تدغـم الميـم مع الباء، نحو: أكرم بكراً وتدغم فيها الباء نحو: اصحب مطراً، فالميم فيها غنّة ليسـت في الباء، فـإذا أدغمت في الباء فقد قلبت الى الباء، فيستهلـك ما فيها من زيادة الصوت والغنّة.

ولا تدغـم الراء فيما يقاربها، مثـل اللام، نحو: اختر له، وتدغم اللام في الراء، نحو: ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ﴾[1]. لأن الراء يصاحب صوتها تكرير ليس في اللام.

ولا تدغـم الفـاء في الباء، نحو: اذهب في ذلـك. لأن الفاء يصاحبها صـوت تأفيف، وهو الصوت الذي يخرج من الفم عقيْب النطق بالفاء، ولا يوجد في صوت الباء.

ولا تدغم الشين في الجيم مع تقاربهما في المخرج، وتدغم الجيم في الشين، لأنه يصاحب صوت الشيـن تفشـ واسترخاء، في الفم ليس في الجيم[2] ومن الأصوات مالا يدغم في مقاربة ولا يدغم فيه مقاربة، وهي الهمزة[3] وألف المدّ.

فالهمزة ثقيلة على اللسان وقابلة للتغيير والحذف ويلزمها ذلك، كما يلزمها التحقيق لأنها تستثقل وحدها، فإذا جاءت مع مثلها أو ما قرب منها حقّقت في النطق، لأنه موضع استثقال.

والألـف لا تدغم في صوت من الأصوات المقاربة، ولا فيما يقاربها، نحو: الهاء. لأن الألف لا تدغم فـي الألف، فلو عوملتا مثل:«الداليـن، والتاءين» لتغيرتا وكانتا غيرألفين، فلمّا لم يكن في الألفين لم يكن مع الواحدة مع ما يقاربها[4].

وفيما يلي الأصوات التي تدغم في مقاربها اذا تجاورت:

أوّلا: الأصوات الحلقية:

يجـوز تقريب بعض أصوات الحلـق إلى بعضها، والقاعدة في ذلـك: أن الصوت الأدخل في الحلق يقرّب إلى الصوت الأقرب إلى الفم[5].

فالهاء تدغم في الحاء اذا تجاورا في كلمتين، سواء كانت الهاء أوّلاً أم ثانيةً فإنها تقرّب إلى صوت

١- سورة المؤمنون، آية ١١٨.

٢- انظر الكتاب ٤٤٧/٣،٤٤٨، وشرح المفصّل ١٢٣/١٠-١٢٤. وشرح شافية ابن الحاجب ٢٧٠/٣.

٣- فلا تدغم الهمزة في مثلها الا بشرط، أن يكونا في كلمة واحدة، وأن تكون عينا، وعلى نحو :فعال وفعّل وما اشبههما مما عينه همزة، نحو :«سأّال ورأّ س وجأّار» من الجؤار -وهو الصوت-. ولو جمعت سائلا وجائرا على فعّل لأدغمت وقلت: «سوّل وجوّر». أما اذا التقت همزتان في غير موضع العين أو في كلمتين فلا إدغام، نحو : «قرأ أبوك». ومن أجاز الإدغام فهي لغة رديئة. انظر شرح المفصّل ١٣٥/١٠. وكتاب التكملة ص ٦١٥.

٤- انظر الكتاب ٤٤٦/٣. وشرح شافيه ابن الحاجب ٢٣٦/٣. والممتع ص ٦٧٩.

٥- انظر كتاب التكملة ص ٦١٧.

الحاء، فنقول: «اجبحاتما، واذ بحذه». في: أجبه حاتما واذبح هذه[١]، والإدغام عربيّ حسن لقرب المخرجيـن، لأنهما مهموسان رخوان فقد اجتمع فيهما قـرب المخرج والهمس[٢]. فالهاء من أوّل الحلق، والحاء من وسطه وليس بينهما إلا العين، فالحاء أقرب الى الفم ولذلك لا تقرّب الحاء الى الهـاء فتقول في:«أصلـح هيثما» «اصلح حيثما»[٣] ولا تدغم الحاء في الهاء، مثل: «امدح هلالا»[٤] ولا تدغـم الهـاء مع الغين، وإن كانت الغين أقرب مخرجاً الـى الهاء من الحاء، لأن الهاء مهموسة رخوة كالحاء، والغين مجهورة بين الشديدة والرخوة[٥].

والهـاء لا تقرّب من الغين فتدغـم بها، وسبب ترك إدغام الهاء في العيـن وإن تقاربا في المخرج -فالهـاء من أقصـى الحلق والعين من وسطه- فقـد تخالفا في الصفات فالعيـن مجهورة والهاء مهموسـة، والهاء رخوة والعيـن متوسطة[٦]. فلما تباعد ما بينهما من جهـة تجنيس الأصوات وإن تقاربـا فـي المخرج امتنعا عـن الأدغام، هذا هـو الأصل. أما لغـة تميمٍ في هـذه المسألة فإنّهم يتوسطـون بين الهـاء والعين بأن يقلبوا صوت الهاء الى حاء، والعين أيضاً، ويدغمون الحاءين.لأن الحـاء موافقة للهاء بالهمس والرخـاوة، وللعين بالمخرج، فتقول: اقطحّـلالا، وأجبحنبه، ومحُّم. في: اقطع هلالا، وأجْبَهْ عَنَبَه، ومعهم[٧].

والعين إن جاورت الحاء متقدمة أو متأخرة تدغم بالحاء، بقلبها حاء، كقولك: «ارفع حاتما، واذبح عتودا» «ارفحّاتما، واذبحّتوداً». وإذا وقعت العين قبل الحاء وقلبت حاء فهو حسن، لأن باب الإدغام أن تدغـم الى الثاني وتحول علـى لفظه. وأمّا قلب العين الى الحاء اذا كانت قبلها فهو جائز وليس في حسن الأول[٨].فلا يقلب الأخرج من الأصوات إلى الأدخل من الأصوات فإن أردت الإدغام قلبت العين حاء، وأدغمت الحاء بالحاء، لأنّه قد يقلب الثاني إذا تعذّر قلب الأوّل[٩].

ولا تدغـم الحاء في العيـن وإن تقاربا، وما روي عن أبي عمرو فـي قوله تعالى ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾[١٠] بإدغام الحاء في العين فهو ضعيف عند سيبويه، لأن الحاء أقرب إلى الفم ولا تدغم فيما هو أدخل في الحلق[١١].

١- انظر شرح المفصّل ١٣٦/١٠.

٢- انظر الكتاب ٤٤٩/٤.

٣- انظر شرح المفصل ١٣٦/١٠.

٤- انظر الكتاب ٤٤٩/٤ ، وكتاب التكملة ص ٦١٧. والمبدع ص ٢٦٢. وشرح شافية ابن الحاجب ٢٧٦/٣.

٥- انظر شرح شافية ابن الحاجب ٢٧٦/٣.

٦- انظر الأصوات اللغويّة ص ٨٨.

٧- انظر الكتاب ٤٤٩/٤، ٤٥٠ التكملة ص ٦١٧. شرح المفصّل ١٠/ ١٣٧.

٨- انظر الكتاب ٤٥٠/٤. شرح المفصّل ١٠/ ١٣٦.وكتاب التكملة ص٦١٧

٩- الممتع ص ٦٨٣.

١٠- سورة آل عمران آية ١٨٥.

١١- انظر الكتاب ٤٥١. شرح المفصّل ١٣٦/١٠. وكتاب التكملة ص ٦١٧.

والغيــن والخاء صوتان حلقيان مــن المخرج الثالث منه، وهو أدنى المخــارج إلى اللسان، والغين: صــوت رخــو مجهور، والخــاء: صوت رخــو مهموس[١]. فالغيــن والخاء مخرجهما واحــد ورخوان، والغين صوت مجهور، نظيره المهموس هو الخاء، ولتوحّد المخارج والرخاوة في كلا الصوتين فقد استُحسن تقريب كل صوت إلى صاحبه، وإدغامه فيه[٢]، فنحو:«ادمغ خلفا» تقول:«ادمخّلفا» بقلب صــوت الغين خــاءً، وإدغام الخاءين، وفي نحو: «اسلغ غنمك» تقــول: «اسلغّنمك» بتقريب الصوت الأوّل وهو الخاء إلى الصوت الى الصوت الثاني وهو الغين وإدغام الصوتين[٣].

ويجــوز إدغــام العين والحاء في الغيــن والخاء لقربهما مــن الفم[٤]، أما مذهــب سيبويه فالمنع، لأن الغيــن والخــاء قد قربا من الفم قربا شديدا فبعدتا عن الحــاء والعين وكذلك الهاء، فلم يجز الإدغام في مثل: «ادمغ حامداً» و«ادفع غالباً» و«ونبه غافلا»[٥].

ثانيا: الأصوات اللسانية:

أ) أصوات أقصى الحنك، وهي: القاف والكاف والواو.

أول مخارج الفم مما يلي أصوات الحلق صوت «القاف» وهي أدنى أصوات الفم إلى الحلق، ويليها صوت «الكاف» وكل صوت منهما يدغم في صاحبه، ولا يدغم غيرهما فيهما[٦].

وقــد حسّــن سيبويــه إدغامهما لقرب المخرجيــن، ولأنهما من حــروف اللسان وهمــا متفقان في الشــدّة[٧]، ومثــال إدغام القاف في الــكاف قوله تعالــى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ﴾[٨] فتدغم القاف فــي الكاف، لقــرب المخرجين وهما شديدان ومــن حروف اللسان، ولأن الــكاف أدنى إلى حروف الفــم، من القــاف، والإدغام حسن لإخراج القاف إلى الأقرب الى حــروف الفم التي هي أقوى في الإدغــام[٩] ومثال إدغام الكاف في القــاف: «انهك قطنا»[١٠] وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ﴾[١١]، وادغام القاف في الكاف أقيس من إدغام الكاف في القاف، لأن القاف أقرب الى حروف الحلق والكاف أبعد منها[١٢].

١- انظر الأصوات اللغويّة ص ٨٧، ٨٨.

٢- انظر كتاب ٤٥١/٤، شرح شافية ابن الحاجب ٢٧٧/٣، شرح المفصّل ١٣٧/١٠.

٣- انظر الكتاب ٤٥١/٤، كتاب التكملة ص ٦١٧. شرح شافية ابن الحاجب ٣/ ٢٧٧. شرح المفصّل ١٠/ ١٣٧.

٤- انظر شرح المفصّل ١٣٨/١٠. الممتع ص ٦٨٤.

٥- انظر المبدع ص ٢٦٣، وشرح المفصّل ١٣٨/١٠، الممتع ص ٦٨٤.

٦- انظر شرح المفصّل ١٣٨/١٠.

٧- انظر الكتاب ٤٥٢/٤.

٨- سورة النور آية ٤٥.

٩- انظر شرح المفصّل ١٣٨/١٠.

١٠- انظر الكتاب ٤٥٢/٤. كتاب التكملة ص ٦١٨، المبدع ص ٢٦٤.

١١- سورة محمد آية ١٦

١٢- انظر شرح المفصّل ١٣٨/١٠. وشرح شافية ابن الحاجب ٢٧٨/٣. الممتع ص ٦٨٥.

امــا الواو فقد ذكر سيبويه[١] وغيره أنها من الأصوات الشفويّة ولهذه الشبهة فسوف يكون تفصيل الكلام عنها عند الأصوات الشفوية.

ب) أصوات وسط اللسان.

أصوات وسط اللسان، هي: الجيم، الشين، والياء.

امــا الجيم فإنها إن جاورت الشين فإنها تقرّب إليها، وتقلــب الجيم شيئا، وتدغم الشين بالشين، قــال الله تعالــى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾[٢] ونحــو: «أخــرج شَبَثا» بإدغام الجيــم بالشين بعد تقريبها الى الشين، وقد حسّن سيبويه هذا الإدغام، وإنّما جاز إدغامهما فيها لكونهما من مخرج واحد[٣].

والجيــم لا تدغــم فــي اليــاء، وإن كانا من مخــرج واحد، لأن اليــاء صوت معلول وبائــن من جميع الحروف، والأصوات الساكنة تمدّ بأصوات العلة، ولأن الحركات بعضها[٤].

ولــم يذكــر سيبويه إدغامها إلا مع مثلها والشين[٥]. وقد أدغمها أبو عمرو في التاء في قوله تعالى: ﴿ذِى ٱلْمَعَـارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ﴾[٦]، وهــو نادر[٧]. لأنهــا وإن لم تقارب الجيم التاء، فإنّ الجيم أخت الشين في المخرج، والشين فيها تفش يصل الى مخرج التاء، فلذلك ساغ إدغامها فيها[٨].

والشيــن لا تدغم فــي الجيم، مع أنّهما متقاربــان ومن مخرج واحد، لأن الشيــن أفضل من الجيم لصــوت التفشي، فكرهوا إذهابــه بالإدغام[٩]، وأيضاً فــإنّ الشين بتفشّيهــا لحقت بمخرج الطاء والدال، فبعُدت عن الجيم[١٠].

واما الياء فلا تدغم بالجيم، للعلة المانعة من إدغام الياء والواو في حروف الصحة[١١].

ويدغــم في الجيم ستة أصوات من غير مخرجها، وهي: الطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء، نحــو: «لــم يربط جّملا» و «قــد جّعل» و «وجَبَت جّنُوبُها» و «احفظ جّابــراً» و «انبذ جّعفراً» و«ابعث

١- انظر الكتاب ٤/٤٣٣، الممتع ص ٦٧٠.

٢- سورة الفتح آية ٢٩.

٣- انظر الكتاب ٤/٤٥٢. الممتع ص ٦٨٦. شرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٧٨ المبدع ص ٢٦٤.

٤- انظر الممتع ص ٦٨٦.

٥- انظر الكتاب ٤/٤٥٢.

٦- سورة المعارج آية ٣-٤.

٧- انظر شرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٧٨.

٨- انظر شرح المفصّل ١٠/ ١٣٨.

٩- انظر شرح المفصّل ١٠/١٣٨.

١٠- انظر الممتع ص ٦٨٧.

١١- انظر المرجع السابق

جّامعـا»[١]، وجاز إدغام هذه الأصوات في الجيم مـن وسط اللسان، فكان بينهما تباعد، فأجريت فـي ذلك مجـرى أختها الشين، لأن الشين وإن كانت من مخرج الجيم فإن فيها تفشّيا يتصل بهذه الحـروف، ولهذا الاتصال جاز أن يدغمن في الجيم، ولا تدغـم الجيم فيها[٢]. ويقوي إدغام هذه الأصوات بالجيم، أنّها تدغم في الشين، فكذلك أدغمت في أختها الجيم حملا عليها[٣].

واذا أدغمـت الطـاء والظـاء في الجيـم فالأحسـن أن تُبقي الإطبـاق الذي فيهما لئـلا تخلّ بهما وتضعّفهما، بزوال الإطباق منهما[٤].

وصـوت الشـين لا يقرّب ممّا يجاوره ويقاربه، وقرأ أبـو عمرو إدغامـها في السـين في قوله تعالى: ﴿إِذَا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلًا﴾[٥] وادغـام السيـن فيها في قولـه تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾[٦] لأنهمـا متواخيتـان فـي الهمـس والرخـاوة، والصـوت والتفشّـي، فكأنهما من مخرج واحـد، وإن تباعد مخرجاهما، مع أنّ السيـن من حروف الصفير. ونحاة البصرة يمنعون إدغام الشين في السين والعكس[٧]، لأن للشين فضل استطالة في التفشّي، وزيادة صوت على السين[٨].

وتدغم في الشين سبعة أصوات من غير مخرجها، وهي: الطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء والـلام، لأن الشيـن استطالت بالتفشّي الذي فيهـا، حتى اتصلت بمخرج هـذه الأصوات، فجرت لذلك مجرى ما هو مخرج واحد[٩]، فتقول: اضْبشَّبَثاً، وانقشَّبثا، وانعشَّبثا، واحفشَّنباء، وابعشّنباء، وخشَّبنـا. من قولك: اضبط شبثـا، وانقد شبثا، وانعت شبثا، واحفظ شنبـاء، وابعث شنباء، وخذ شنباء[١٠].

اما الياء فلا تدغم في حرف صحيح، ولو كان من مخرجها لأنها من أصوات المدّ، ولها فضيلة على غيرهـا بما فيها من المدّ واللين، فباينت الأصوات اللاتي مـن مخرجها والمقاربة لها، فلا تدغم فـي «الجيم والشين» وإن كانت من مخرجها، لما فيهـا من المدّ واللين لئلا تخرج إلى ما ليس فيه مدّ ولا لين من الحروف الصحاح[١١].

١- انظر المرجع السابق.

٢- انظر الممتع ص٦٨٧. وشرح المفصل ١٣٨/١٠.

٣- انظر الممتع ص٦٨٧-٦٨٨.

٤- انظر الممتع ٦٨٨.

٥- سورة الإسراء آية ٤٢.

٦- سورة مريم آية ٤.

٧- انظر شرح شافية ابن الحاجب ٢٧٨/٣. وشرح المفصّل ١٣٩/١٠.

٨- انظر شرح المفصّل ١٣٩/١٠.

٩- الممتع ص ٦٨٨.

١٠- الكتاب ٤٦٦/٤.

١١- انظر شرح المفصّل ١٣٩/١٠.

وتدغم الياء في الواو، إلا أنّ الواو هي التي تقلب لجنس الياء، تقدمت أو تأخّرت، وذلك أنّ الواو والياء وإن تباعد مخرجهما فقد اجتمعا في المدّ، فصارا كالمثلين فتدغم الواو في الياء، بعد قلبها ياء[١٢]، ويرى أهل اللغة: أن الواو تخرج من الشفة ثم تهوي إلى الفم حتى تنقطع عند مخرج الألف والياء، فالياء والواو على هذا متجاورتان[١٣].

أمّا سبب قلب الواو ياء، عند إدغام الياء بالواو، فلأن القصد بالتقريب أو الإدغام: التخفيف، والياء أخفّ من الواو، فقلبوا الواو ياء على كل حال، والإدغام إنّما هو نقل الأثقل إلى الأخفّ، ومن ذلك: «أيّام» في جمع «يَوْم» والأصل «أيْوَام» ومثله: «سيّد» و«ميّت» وأصله: «سَيْوِد» و «مَيْوِت» وأيضا «طيّ» و«ليّ» والأصل: «طَوْيٌ» و«لَوْيٌ».

والأصل أنّه لا يدغم في الياء أيّ صوت صحيح، إلا أنّ النون جاز إدغامها في الياء وإن لم يكن فيها لين، لأنّ النون غنّاء ولها مخرج من الخيشوم، فأشبهت بالغنّة التي فيها الياء، لأن الغنّة فضل صوت في الحرف، كما أن اللين فضل صوت في حروف العلّة[١٤]، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾[١٥] وقوله تعالى: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ﴾[١٦] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[١٧].

ج) أصوات طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، وهي: الضاد، والدال، والتاء، والطاء[١٨].

اما سيبويه فإنّه يجعل للضاد بمفردها مخرجا، وهو: من بين أوّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس. ويجعل للطاء، والدال، والتاء مخرجا قريبا منه، وهو: من بين طرف اللسان مع أصول الثنايا[١٩].

والضاد فيها من فضيلة الإستطالة والإطباق والإستعلاء، ماليس في مقارباتها مما يشركها في هذه الصفات كلها، ما يمنعها من ان تدغم في غيرها، فلو أدغمت في أحد الأصوات المقارب لها لأدّى ذلك الى الإخلال بها وذهاب فضيلة الأصوات الزوائد[٢٠]. وروى سيبويه أنّ بعضهم قال: «مطّجع» بإدغام الضاد بالطاء في «مضطجع»[٢١]. واغتفروا لها ذهاب الإستطالة التي في الضاد، وموافقة

١٢- انظر الممتع ص٦٨٨. وشرح المفصّل ١٣٩/١٠.

١٣- انظر شرح المفصّل ١٣٩/١٠. أمّا المحدثون فيرون: ان مخرج الواو ليس الشفتين فقط بل من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك، وأنّ الشفتين حين النطق بها تستديران. الأصوات اللغويّة ص ٤٣.

١٤- انظر الممتع ص٦٨٩. وشرح المفصّل ١٣٩/١٠.

١٥- سورة يونس آية ٤٠.

١٦- سورة الاحزاب آية ٣٠.

١٧- سورة الطلاق آية ٢.

١٨- انظر الأصوات اللغويّة ص ٤٨.

١٩- انظر الكتاب ٤٣٣/٤.

٢٠- انظر الممتع ص ٦٩٠

٢١- انظر الممتع ص ٦٩٠

الضاد للطاء في الاطباق والإستعلاء. وقرب المخرج، ووقوعها في كلمة واحدة. فلما اجتمعت هذه الأسباب قرّبوا الضاد من الطاء وأدغموا الطاء بالطاء، وهذا قليل جدا ولا ينبغي أن يقاس[١]، كما يبين سيبويه أن العرب يكرهون أن يدغموا الضاد فيما أدغم فيها من الأصوات – والطاء تدغم في الضاد – كما كرهوا إدغام الضاد بالشين[٢]، وقرأ أبو عمرو إدغام الضاد بالشين، في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾[٣] وهو خلاف ما نصّ عليه سيبويه، ووجهه أنّ الشين أشدّ استطلة من الضاد، وفيها تفش ليس في الضاد، فقد صارت الضاد أنقص منها. وإدغام الأنقص في الأزيد جائز، ويستشهد أن سيبويه حكى عن بعض العرب: «اطّجع» واذا جاز إدغامها في الطاء فإدغامها في الشين أولى[٤].

ويرد عليه أنّ هذه القراءة ضعيفة لأمرين:

الأوّل: ذهاب ما في الضاد من الإستطالة.

الثاني: سكون ما قبل الضاد، فيؤدّي إلى اجتماع ساكنين على غير شرطه. والظاهر أنّ أبا عمرو قرأ باختلاس الحركة، فظنّها الرواي إدغاما، والحجة أن أنّه في قوله تعالى: ﴿رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا﴾[٥] و ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾[٦] لم يدغم الضاد بالشين[٧]، ومنه ما روي في قراءة إدغام الضاد بالذال، في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾[٨]، ولكنه محمول على الإخفاء واختلاس الحركة لا على الإدغام[٩].

فالعرب كرهوا إدغام الضاد في غيرها، ولو كان المجاور لها مما يدغم فيها[١٠].

ويدغم في الضاد من غير مخرجها ما أدغم في الشين من غير مخرجها، وهي الحروف التالية: «الطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء واللام».

وجاز إدغام هذه الحروف في الضاد، لأنها من طرف اللسان والثنايا، والضاد من حافة اللسان وجانب الأضراس، وفيها إطباق واستطالة تمتد حتى تصل بهذه الحروف، فصارت مجاورة لها،

١- انظر الممتع ص٦٩٠ والمبدع ص ٢٦٦.
٢- انظر الكتاب ٤/٤٦٦.
٣- سورة النور آية ٦٢.
٤- انظر شرح المفصّل ١٠ / ١٤٠.
٥- سورة النحل، آية ٧٣.
٦- سورة عبس، آية ٢٦
٧- انظر شرح المفصّل ١٠/١٤٠.
٨- سورة الملك، آية ١٥.
٩- انظر شرح المفصّل ١٠/١٤٠.
١٠- انظر شرح المفصّل ١٠/١٤٠. الممتع ص ٦٩٠.

فجاز إدغامهن فيها، والضاد أقوى منهن وأوفر صوتا والإدغام إنّما هو في الأقوى[١].

وادغـام هذه الأصوات في الضاد، أقوى من إدغامها في الشيـن، لأنها خالفت باستطالتها الثَنِيَّة، وهي مع ذلك مطبقة[٢]. ومثّل سيبويه وغيره لإدغام هذه الأصوات، واستشهد لإدغام التاء بالضاد فقال وسمعنا من يوثق بعربيّته، قال: ثار فضَجّضّجّة ركائبُه.

فأدغم التـاء بالضاد. وتقول: اضبِطّرَمـه وانعضّرمة، واحفضّرمه وخضّرمـة وابعضّرمة، وهضّر بـك خالد. مـن قولك: اضبط ضرمة، وانعـت ضرمة، واحفظ ضرمة، وخـذ ضرمة، وهل ضربك خالـد[٣]، أمّـا أصوات الطاء والدال والتاء، فـإنّ كل صوت من هذه الأصـوات يدغم في الصوتين الآخرين، لأنهم من مخرج واحد.

فالطاء والدال تدغم كل واحدة في صاحبتها، لأنهما من مخرج واحد، وهما مجهورتان شديدتان، والمتكلم مخيّر بين اِذهاب إطباق الطاء وتبقيته، فتقول «اضبدّ لما» والأصل «اضبط دلما» بإدغام الطـاء بالدال، مع ابقاء الإطباق لأن الدال ليس فيها إطباق، وهو الأقيس لأنّ صوت الإطباق أفشى فـي السمع، وبعض العرب يذهـب الإطباق وهو الأقيس لأنّ صوت الإطباق أفشى في السمع، وبعض العـرب يذهب الإطباق فيجعل الطاء كل الـدال سواء إذ ارادوا ان لا تخالف الطاء الدال، فقلبوها دالا خالصة[٤].

وتدغم الطاء في التاء، نحو: «انقتّوأما»، الأصل: «انقطت توأما» بالإدغام والإطباق فتصير الطاء تاء، وفيـه قرأ أبو عمرو قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[٥] وكما ذهب الإطباق مع الدال فإنّه يجوز اِذهابه مع التاء، إلا أن اِذهابه مع الدال أمثل قليلا، لأن الدال كالطاء في الجهر والتاء مهموسة[٦]. ومما أخلصت فيه الطاء تاء سماعا من العرب قولهم: «حُتُّهُم» يريدون: «حُطْتُهم»[٧].

وتدغم الدال في الطاء، والتاء في الطاء، نحو: انقد طالبا، وانعت طالبا، فتصيران الى الطاء، لأنه لا يجحف فيهما في الإطباق[٨].

وتدغـم التاء في الدال، والدال في التـاء، والصوتان شديدان، إلا أن إدغام التاء في الدال أمثل، لأن الدال مجهورة والتاء مهموسة، مثل: «انعت دلامة» بالأدغام[٩].

١- انظر الكتاب ٤/٤٦٥. الممتع ٦٩١. وشرح المفصّل ١٠/ ١٤٠

٢- انظر الكتاب ٤/٤٦٦.

٣- انظر الكتاب ٤/٤٦٥. الممتع ٦٩١. المبدع ٢٦٦.

٤- انظر الكتاب ٤/٤٦٠. وشرح المفصّل ١٠/ ١٤٥، ١٤٦.

٥- سورة الزمر، آية ٥٦.

٦- انظر الكتاب ٤/٤٦٠. وشرح المفصّل ١٠/ ١٤٦

٧- الكتاب ٤/٤٦٠.

٨- انظر الكتاب ٤/٤٦٠.

٩- انظر الكتاب ٤ / ٤٦١. وشرح المفصّل ١٠/١٤٦.

د) أمّا الأصوات اللثوية أصوات طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا[١]: الظاء والذال والثاء، وأصوات الطاء والدال والتاء، فإنّ كلّ صوت من هذه الأصوات يدغم في الخمسة الباقية، وتدغم الخمسة الباقية فيه[٢]. فلا تمتنع هذه الأحرف عن بعضها البعض في الإدغام، لأنهن من حيزّ واحد، وليس بينهن إلا ما بين طرف الثنايا وأصولها، وذلك نحو: اهبظّالما، وابْعِذّلك، وانعثّابتاً واحفظّالبا، وخدّاود، وابعتّلك، وحَدّثُّهم[٣]. من قولك: اهبط ظالما، وابعد ذلك، وانعت ثابتا، واحفظ طالبا، وخذ داود، وابعث تلك، وحَدّثْتُهُم. فيقّرب الصوت الأوّل إلى الصوت الثانى ثم يدغم الصوتان في بعضهما.

أما أصوات طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا: الظاء والذال والثاء، فإنّ كلّ صوت يدغم في صاحبه.

فالظاء تدغم في الذال،والذال تدغم في الظاء،لأنهما من مخرج واحد ومجهوران، ويفترقان في الإطباق، فتقول: «احفظ ذلك» و«خذ ظالما» بالإدغام، ويحسن اذهاب الإدغام لتكافئهما في الجهر.

والثاء تدغم في الظاء، وكذا الظاء في الثاء، والصوتان مجهوران، ومن مخرج واحد، ويفترقان في الأطباق، فتقول: «ابعث ظالما» و «ايقظ ثابتا» بالإدغام. إلا أن إدغام الثاء في الظاء أحسن لبقاء الإطباق[٤].

والذال تدغم في الثاء، والثاء تدغم في الذال، والإدغام بينهن كثير وجيد، فتقول: «خثّابتا» «وابعذّلك» والأصل: «خذ ثابتا» و «ابعث ذلك»[٥].

هـ) الأصوات الصفيرية -أصوات طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى[٦]- وهي: الزاي، والسين، والصاد.

كلّ صوت من الأصوات الصفيرية يدغم في الآخر، فهي من مخرج واحد وصفيرية، وتجتمع في صفة الرخاوة، والزاي: مجهورة. والسين والصاد: مهموستان، والصاد: مطبقة، لتفارق صوت السين قليلا[٧]، ويقلب الأول منهم إلى جنس الثاني إذا تجاورا، ولا يكون في ذلك خلل. والإدغام فيهن أجود من الإظهارلأنّهن من حروف طرف اللسان، وأصل الإدغام أن يكون في أصوات حروف

١- انظر الأصوات اللغويّة ص ٤٧.

٢- انظر الكتاب ٤/٤٦٤. الممتع ٧٠١. شرح المفصّل ٤/١٤٦.

٣- انظر الكتاب ٤/٤٦٤.

٤- انظر الكتاب ٤/٤٦٢. شرح المفصل ١٠/١٤٦.

٥- انظر الكتاب ٤/٤٦٢.

٦- انظر الكتاب ٤/٤٣٣. الأصوات اللغويّة ص ٧٥.

٧- انظر الأصوات اللغويّة ٧٥ -٧٦. وقارن بين هذه الأصوات

الفم وطرف اللسان[١].

وإدغام حروف صفير بعضها في بعض أكثر من إدغام «الظاء والثاء والذال» بعضها في بعض. لأن الإعتمـاد بالإدغام على الحـرف المنحصر بالأسنان، أسهل منه على الحـرف الرخو الخارج من رؤوس الأسنان[٢].

فـإن أدغمـت «الصاد» في أختيها فالأوّلـى إبقاء الإطباق[٣]، ويجوز تـرك الإطباق، نحو: «افحص زّئدا» و«أخلص سّالما» فتقلب الصاد في المثال الأول زايا، وتدغم الزاي، وفي المثال الثاني تقلب الصاد سينا وتدغم السين في السين.

وإذهـاب الإطبـاق من الصـاد مع السين أحسـن من إذهابه مع الـزاي، لأن السيـن تشاركها في الهمس، ولا تخالفها إلا في الإطباق[٤].

واذا أدغمـت السين والزاي في الصاد قلبتهما صادين، ولا يقع إخلال فيهما، نحو «احبس صّابرا» و«أوجز صّابرا»[٥]

وتدغـم كل من الزاي والسين فـي صاحبتها، وإدغام السين في الزاي أجـود، نحو: «احبس زردة» و«أوجز سلمة» لأنهما من الأصوات المتكافئة في المنزلة[٦].

ويجـوز إدغام الأحرف الستة: الطاء والدال والتاء والظاء والـذال والثاء، في الأصوات الصفيرية – الصـاد والـزاي والسين – لأنهن من طرف اللسان، والأقيس فـي الأصوات المطبقة إذا أدغمت تبقية الإدغام[٧].

ولا يجوز إدغام الأصوات الصفيرية في الأصوات الستة، لأن في ذلك إخلالاً بها لقوتها من الصفير ولو أدغمت لقلبت الى جنس ما تدغم فيه فيذهب الصفير، وهو فضل صوت في الحرف[٨].

ويدغـم فـي الأصوات الصفيريّة الثلاث صوت اللام، والإدغام هنـا جيد، ويلي جودة إدغام اللام بالـراء، لأن الـلام أقرب الحـروف إلى الأصوات الصفيريـة بعد الراء، وإدغـام اللام في: الطاء

١- انظر الممتع ص ٧٠٧.

٢- انظر شرح شافية ابن الحاجب ٢٨٣/٣.

٣- فالأفصح اذا أدغمت حروف الإطباق فيما لا إطباق فيه إبقاء الإطباق، لئلا تذهب فضيلة الحرف. انظر شرح شافية ابن الحاجب ٢٨١/٣.

٤- انظر الممتع ص ٧٠٨.

٥- انظر المبدع ص ٢٧٢. والممتع ٧٠٧.

٦- انظر شرح المفصّل ١٤٦/١٠.

٧- انظر شرح المفصّل ١٤٥/١٠، ١٤٦.

٨- انظر الممتع ص٧٠٨. وشرح المفصّل ١٠ / ١٤٦.

والتاء والدال، نفس حكم إدغامها في الصفيريّات[١].

و) أصوات طرف اللسان مع ما فويق أصول الثنايا العليا، وهي: اللام والنون والراء[٢]، وسمى بعض العلماء القدامى هذه الأصوات الثلاثة بالأصوات الذلقيّة، وتتميز هذه الأصوات عن غيرها من الأصوات الساكنة بالوضوح السمعي.

فلوضوحها الصوتي شبهت بأصوات اللين وعدّها القدامى من الأصوات المتوسطة، أي: بين الشدّة والرخاوة، أمّا بقيّة الأصوات المتوسطة -العين والميم- فهي من مخرجين أخريين[٣].

وتدغم اللام في أصوات اللسان لموافقتها لها، وهي أحد عشر حرفا وهي: التاء، الدال،، الطاء، الثاء، الظاء، الذال، الزاي، السين، الصاد، الراء، النون. وتدغم أيضاً في الضاد، لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام، وكذا في الشين، لوجود التفتشي الذي فيها خالطت مخرج اللام[٤]، والمجموع ثلاثة عشر حرفا، وهي الأصوات الشمسية[٥].

فإذا كانت اللام للتعريف وجب إدغامها مع الأصوات الشمسيّة، ولا يجوز ترك الإدغام معها[٦]، لاجتماع ثلاث أسباب تدعو إلى الإدغام، فلما كان فيها ثلاث موجبات للتخفيف - وهي:١- ثقل اجتماع المتقاربات. ٢- وكثرة لام المعرفة في الكلام ٣- وأنها مع ما بعدها كالكلمة الواحدة، فتتصل بالاسم اتصال بعض حروفه لأنه لا يوقف عليها - التزم فيها الإدغام[٧].

فإذا كانت لغير التعريف جاز إدغامها في هذه الأصوات الثلاثة عشر، بسبب المقاربة، وإدغامها وهي ساكنة أحسن من إدغامها وهي متحرّكة[٨]. وإدغام اللام في الأصوات الشمسيّة على ثلاث درجات من القوة:

١- أفضل درجات اللام في الإدغام يكون مع الأقرب لها في المخرج، والأشبه بها، وهو صوت الراء، وبعض الذين يصعب عليهم إخراج الراء يجعلها لاما، نحو: «هرأيت». فإن لم تدغم قلت «هل رأيت»، وهي لغة عربية فصيحة لأهل الحجاز[٩].

٢- ويلي حسن وجودة إدغامها في الراء، إدغامها في أصوات طرف اللسان مع الثنايا، وهي: الطاء

١- انظر الممتع ص٦٩٣، ٧٠٨.

٢- انظر الكتاب ٤/ ٤٣٣.

٣- انظر الأصوات اللغويّة ص ٦٣ - ٦٤

٤- انظر الكتاب ٤/٤٥٧، الممتع ص ٦٩١، وشرح شافية ابن الحاجب ٢٧٩/٣، شرح المفصل ١٤١/١٠.

٥- انظر شرح المفصّل ١٠ / ١٤١.

٦- انظر الكتاب ٤/٤٥٧.

٧- انظر الممتع ص ٢٩٢. وشرح المفصل ١٤١/١٠. وشرح شافية ابن الحاجب ٢٧٩/٣.

٨- انظر الممتع ص٦٩٣. والمبدع ص ٢٦٧

٩- انظر الكتاب ٤/٤٥٧، الممتع ص ٦٩٣، شرح المفصل ١٤١/١٠.

والـدال والتاء والصـاد والزاي والسين. لأنها أقرب الأصوات إليها بعد الراء، وليس ككثرته مع الـراء، لأنهـنّ تراخين عنها، وجاز الإدغام لأن آخر مخرج الـلام قريب من مخرجها[١]. وقرأ بالإدغـام حمزة والكسائي وهشام قوله تعالى: ﴿تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾[٢] فأدغم اللام في التاء[٣].

٣- وتدغـم اللام مع: الظـاء والثاء والذال. وليـس كحسن إدغامها في الأصـوات السابقة، وجاز إدغامهـا في هذه الأصـوات لأنها من أطراف الثنايا، متصعّدة الـى أصول الثنايا متى قاربت مخـرج الفـاء. ولأن اللام تدغم في الفاء جاز إدغامها فيما قرب من مخرج الفاء[٤]. وقرأ أبو عمرو بن العلاء: «هَثُّوِّب الكفار»[٥] يريد ﴿هل ثُوِّب الكفار﴾ فأدغم في الثاء[٦].

٤- وإدغام اللام في الشين والضاد أضعف لأنهما ليسا من طرف اللسان كاللام، فالضاد مخرجها من أول حافة اللسان، والشين من وسطه، وجاز إدغام اللام فيهما لاتصال مخرجهما بحروف طرف اللسان، بالإستطالة التي في الضاد، والتفشي الذي في الشين[٧].

٥- وبيـان اللام مع النـون أحسن من الإدغام، ويـرى سيبويه أن إدغام اللام فـي النون أقبح من جميع الحروف التي تدغم فيها اللام[٨]، وإنّما قبح إدغام اللام في النون، وان كانت اقرب الى الـلام من غيرها من الحـروف المذكورة، فكما أنه لا يجوز إدغام شيء منها في النون فكذلك ضعف إدغام اللام فيها[٩]، ولا يدغم في اللام إلا النون[١٠].

أمـا النون فهي صوت يصاحبه غنّة، والغنّة صوت مصدره الخيشوم، ويتبع الصوت ويشارك النون في الخيشوم الميم، لما فيها من الغنّة صوت يسمع كالميم[١١].

والنـون تدغم في مثلها وفي حـروف خمسة، هي: الياء، الراء، والميم، والـلام، والواو. لمقاربتها في المخرج للراء واللام، ومشابهتها ومقاربتها للميم في الغنّة وأمّا مقاربتها للياء والواو فلأن في النون غنّة تشبه اللين في الياء والواو[١٢]، فلمّا قاربت النون هذه الحروف الخمسة أدغمت فيها.

١- انظر الكتاب ٤/٤٥٧، الممتع ص ٦٩٣، شرح المفصل ١٠/١٤١.
٢- سورة الاعلى، آية ١٦.
٣- انظر الكتاب ٤/٤٥٩، وشرح المفصل ١٠/١٤٢.
٤- انظر الكتاب ٤/٤٥٨، الممتع ص٦٩٣، وشرح المفصل ١٠/١٤١.
٥- سورة المطففين، آية ٣٦.
٦- انظر الكتاب ٤/٤٥٩.
٧- انظر الكتاب ٤/٤٥٨، الممتع ص ٦٩٤، شرح المفصل ١٠/١٤١.
٨- انظر الكتاب ٤/٤٥٩.
٩- انظر الممتع ص ٦٩٤.
١٠- انظر الممتع ص ٦٩٤.
١١- انظر شرح المفصل ١٠/١٤٤.
١٢- انظر الممتع ص ٦٩٦.

فـإذا كانت النــون ساكنة فليس فيها إلا الإدغــام،وإن كانت متحرّكة جاز فيهــا الوجهين: الإدغام والبيــان، نحو: ختنُ موســى. وكأنّ الحركة فاصل، إذ أن نيّة الحركة بعــد الحرف، فأدى ذلك الى الفصل بين المتقاربين[١].

واذا أدغمــت النون فــي الياء والراء والواو، فيجوز أن يكون الإدغام بغنّــة وبغير غنّة، فإذا أدغمت بغنّــة فــلأن الغنّة فضل صوت فيكره إبطاله، وبقي أثر النون وهــو الغنّة، لفضله وزيادته، وقد جوّد ابن عصفور إبقاء هذا الأثر للمحافظة على فضل الغنّة[٢]. أمّا إذا كان إدغامها بغير غنّة فهو على أصــل الإدغــام، لأنها إذا أدغمــت في هذه الحروف صارت من جنسهــا، فتصير مع الياء ياء، ومع الراء راء، ومع اللام لاما، ومع الواو واو، وهذه الأصوات بغير غنّة[٣].

أمــا إدغامها مع الميــم فليس فيه إلا الغنّة حيث تقلب ميما، وفي الميم غنّة، فعند إدغام النون في الميــم لا يوجــد حاجة الى غنّة النون، لوجودها في الميم، فــإذا قلبت النون ميما محضة لم تبطل الميــم[٤]. ولأن الميــم تخرج من الشفة، وتصير إلى الخياشيم للغنّة التي فيها، أدغمت فيها النون لتلك المجاورة[٥].

ولا يدغــم في النــون إلا اللام، نحو: «هنّــرى» والأصل: «هل نرى» فأدعم اللام فــي النون. والبيان أحسن، لأنه امتنع إدغام ما أدغمت النون فيه في النون، فكأنهم استوحشوا إدغام اللام فيها، لمّا امتنع إدغام بقية أخواتها فيها[٦].

وشاع في علم التجويد أحكام النون الساكنة والتنوين، وقد خُصص مطلب سابق في هذا الشأن[٧].

اما الراء فهو صوت مجهور مكرر[٨]، ولأن فيها تكريرا فلا تدغم فيما يقاربها لئلا يسلبها الإدغام ما فيها من فضل التكرير[٩]. وتدغم في مثلها لأنّ معدنها وجرسهما واحد[١٠].

فلوأدغمت فيما يقرب منها ـ وهو اللام والنون ـ فإنّها تصير من جنس ما تدغم فيه، وما تدغم فيه ليس فيه تكرير، ولهذا امتنع إدغامها في اللام والنون حفاظاً على فضل التكرير[١١].

١- انظر الممتع ص ٦٩٧.

٢- انظر الممتع ص ٦٩٧.

٣- انظر الممتع ص ٦٩٧، شرح المفصّل ١٠/١٤٤.

٤- انظر الممتع ص ٦٩٧.

٥- انظر الممتع ص ٦٩٨.

٦- انظر الكتاب ٤/٤٥٦.

٧- المطلب الثامن (أ): النون وانسجامها الصوتي.

٨- انظر سرّ صناعة الإعراب ص ١٩١.

٩- انظر سرّ صناعة الإعراب ص ١٩١. والممتع ص ٧٠١، وشرح المفصّل ١٠/١٤٣.

١٠- انظر شرح المفصّل ١٠ /١٤٣.

١١- انظر الممتع ص ٧٠١

ومذهب البصريين واضح في منع إدغام الراء في اللام، ولم يخالف سيبويه من البصريين سوى يعقوب الحضرمي، وهي قراءة أبى عمرو، حيث روي أنّه كان يدغم الراء في اللام: ساكنة الراء أو متحركة، فالساكنة نحو قوله تعالى: ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[3]، وما كان مثله. أما المتحركة، نحو قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[5]. أمّا المذهب الكوفيّ فقد أجاز إدغام الراء في اللام، وأجازه الكسائيّ والفرّاء، وحجتهما: أنّ الراء إذا أدغمت في اللام صارت لاما، ولفظ اللام أسهل وأخفّ من أن تأتي براء فيها تكرير وبعدها لام وهي مقاربة للفظ الراء، فيصير كالنطق بثلاثة أحرف من موضع واحد[6].

وقد شدّد ابن جني على أن قراءة أبى عمرو في إدغام الراء مدفوع عنده وغير معروف، وإنّما هو شيء رواه القرّاء، ولا قوة في القياس[7]. ويذكر أبو بكر بن مجاهد الذي روى قراءة أبي عمرو أنّه لم يقرأ أحد سواه هذه القراءة[8].

أما إدغام اللام في الراء فحسن، نحو: «اشغل رّحبة» لقرب المخرجين، ولأن الراء فيها انحرافا نحو اللام قليلا، وقاربتها في طرف اللسان، وهما في الشدة وجري الصوت سواء، وليس بين مخرجيهما مخرج[9].

وتدغم النون في الراء، وهما شديدتان، ولقرب المخرجين على طرف اللسان حسن الإدغام، نحو: «مِنْ رّاشد» و«مَنْ رّأيت» و «من لّك» ويجوز الإدغام بغنّة وبغير غنّة. وإذا كان الإدغام بلا غنّة فتكون بمنزلة حروف اللسان، وإذا كان الإدغام بغنة فإنّه يترك صوت غنّة النون الخارج من الخياشيم على حاله، لأن الصوت الذي بعده ليس له نصيب من الخياشيم فيغلب عليه[10].

ثالثا: الصوت الشفوي الأسناني[11]، وهو: صوت الفاء فقط، ومخرج الفاء من باطن الشفة السفلى

١- سورة ال عمران، آية ١٦.
٢- سورة ال عمران آية ١٥٩.
٣- سورة ال عمران، آية ٣١.
٤- سورة ابراهيم، آية ٣٣.
٥- سورة هود آية ٧٨.
٦- انظر شرح المفصّل ١٤٣/١٠، والمبدع ص ٢٦٩.
٧- انظر سرّ صناعة الإعراب ص ١٩٣.
٨- انظر شرح المفصل ١٤٣/١٠.
٩- انظر الكتاب ٤٥٢/٤.
١٠- انظر الكتاب ٤٥٢/٤.
١١- انظر الأصوات اللغويّة ص ٤٦.

وأطراف الثنايا العليا[١]، وهو صوت رخو مهموس وليس في العربيّة نظير مجهور للفاء المهموسة، وفي اللغة الفرنسية والإنجليزية يرمز لنظير الصوت العربي بالمصطلح (v)[٢].

وأقرب الأصوات الى الفاء صوت الياء، لتقاربهما في المخرج لأنهما من الشفة[٣]، ولا تدغم الفاء إلا في مثلها، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾[٤]، ولا تدغم في مقاربها لأن فيها تفشيا، فلو أدغمت فيما يقاربها لأزيل التفشي[٥].

والصوت الذي يصاحب الفاء يسمّى عند المحدثين بالحفيف، وهو نفس الصوت الذي يقول عنه القدامى بالتفشي. فعندما يضيق المجرى عند مخرج صوت الفاء نسمع صوتا عاليا من الحفيف هو الذى يميّز الفاء بالرخاوة[٦].

وما روى عن الكسائي من إدغامه الفاء بالياء في قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾[٧] فشاذ ولا يقاس عليه للإخلال الواقع بصوت الفاء[٨].

رابعا: الأصوات الشفوية، وهي: الباء والميم، أمّا «الواو» فلها علاقة وثيقة بالأصوات الشفوية.

فالباء: صوت شفويّ شديد مجهور مقلقل، ومخرجه ما بين الشفتين، اذ تنطبقان انطباقا كاملا، فإذا انفرجت الشفتان فجأة سمعنا صوت الباء الإنفجاري[٩].

وتدغم الباء فيما يقاربها من الأصوات، وهي: الفاء والميم. وإدغامها في الفاء يقوّيها لقلبها حرفاً متفشّياً، وليس في ذلك إخلال في الباء، نحو قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[١٠]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ﴾[١١]، وجاز إدغامها في الفاء لأنّها من الشفة ولقربها من المخرج[١٢]، أما إدغامها في الميم، نحو قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾[١٣]، فجاز الإدغام لاتحاد المخرج[١٤]،

١- انظر الكتاب ٤/٤٣٣.
٢- انظر الأصوات اللغويّة ص ٤٦.
٣- انظر الممتع ص ٧٠٩، وشرح المفصّل ١٠/١٤٧.
٤- سورة البقرة، آية ٢١٣.
٥- انظر الممتع ص ٧٠٩، وشرح المفصّل ١٠/١٤٦.
٦- انظر الأصوات اللغويّة ص ٢٤، ٤٦.
٧- سورة سبأ، آية ٩.
٨- انظر شرح المفصل ١٠/ ١٤٦.
٩- انظر الأصوات اللغوية ص ٤٥.
١٠- سورة البقرة، آية ٢.
١١- سورة الإسراء، آية ٦٣.
١٢- انظر الممتع ص ٧٠٩، وشرح المفصّل ١٠/ ١٤٧
١٣- سورة البقرة آية ٢٨٤
١٤- انظر الممتع ص٧٠٩، وشرح المفصّل ١٠ /١٤٧.

وكذا قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾[1].

ولا يدغم في الباء مقارب لها، والذي يقاربها في المخرج هو: الفاء والميم، فأمّا (الفاء) فلم تدغم فيها لعلّة فضل الحفيف أو التفشي الموجود فيها فإذا أدغمت في الباء أزيل فضل الحفيف[2].

أما النون المتحركة فلا تدغم في الباء، فالنون الساكنة تقلب قبل الباء ميما، فإذا كانوا يفرّون من النون الساكنة الى الميم قبل الباء، فالأولى أن تظهر إذا كانت قبل الباء[3].

أمـا الميم فلا تدغم إلا فـي مثلها، نحو قوله تعالـى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ﴾[5]. ولا تدغم فيما يقاربها في المخرج وهي: الفاء والباء[6].

وسبـب منع إدغام الميم في مقاربها، لأن فيها غنّـة، والغنّة: فصل صوت في الحرف، فلو أدغمت في مقاربها لقلبت إلى ما يجاورها: فاء أو باء أو واو، ولذهبت الغنّة فيكون ذلك إخلالا بها[7].

وروي عـن ابـن عمرو: إدغـام الميم فـي الباء، عندمـا يتحرك ما قبـل الميم، نحو قولـه تعالى: ﴿لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗا﴾[8] وقولـه: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا﴾[9]، وقولـه: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾[10]، ولكـنّ أصحاب أبي عمرو عندمـا يقرؤون كانوا لا يأتـون ببـاء مشـدّدة، لأن الحرف إذا أدغـم في مقاربه قلب الـى لفظه ثم أدغـم، ولو كان فيه إدغـام لصـار في اللفظ باء مشدّدة، ويذكر ابن مجاهد: أن القـرّاء كانوا يترجمون عن أبي عمرو بإدغـام الميـم في الباء، ولكنه ليس بإدغام، إنّما هو إخفـاء، والإخفاء اختلاس الحركة وتضعيف الصوت[11].

اما الواو فإن علماء اللغة القدامى أمثال سيبويه[12] وابن جني[13] وابن عصفور[14] وغيرهم، يرون أن مخرجها ما بين الشفتين، مثل: الباء والميم. والظاهر أن علماء العصر الحديث كان لهم حجّة

١- سورة هود آية ٤٢

٢- انظر الممتع ص٧٠٩، وشرح المفصّل ١٠/ ١٤٦

٣- انظر الممتع ص ٧١٠

٤- سورة الفاتحة، آية ٣، ٤

٥- سورة البقرة، آية ٣٧

٦- انظر الممتع،ص ٧١٠.

٧- انظر الممتع، ص ٧٠٩.

٨- سورة الحج، آية ٥

٩- سورة النساء، آية ١٥٦.

١٠- سورة الانعام،آية ٥٣.

١١- انظر شرح المفصل ١٠/ ١٤٧.

١٢- انظر الكتاب ٤/٤٣٣.

١٣- انظر سرّ صناعة الإعراب ص ٤٨.

١٤- انظر الممتع ص ٦٧٠.

في أن مخرج صوت الواو ليس خالصا من الشفة، وإنّما من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك، ويصاحب نطق صوت الواو استدارة الشفتين معها، ولعلّ وضوح استدارة الشفتين مع الواو هو الذي جعل القدماء ينسبون مخرج الواو إلى الشفتين[١].

فقد أجرى الأستاذ «دانيل جونز» تجارب على أصوات اللين، وتبين معه أنّ صوت الضمة يتكوّن عندما يرتفع مؤخر اللسان إلى الحنك الى درجة يسمح للهواء بالمرور دون إحداث حفيف[٢]، ولو تجاوز مؤخر اللسان هذه الدرجة لضاق مجرى الهواء ونتج عن ذلك حفيف مسموع، وهذا الصوت هو الذي نسميه: واوا[٣].

وقد ذكر الدكتور رمضان عبد التواب (الواو) من ضمن الأصوات الشفويّة، ويذكر أنّه بين صوت الواو والضمّة الخالصة فرق بسيط جدا[٤]، وعندما يتحدّث عن أصوات اللين والضمة الخالصة يبيّن أن(الواو) من أقصى اللسان عندما يقترب من سقف الحنك، فيقول: أمّا إذا ارتفع أقصى اللسان نحو سقف الحنك، بحيث لا يحدث للهواء المارّ بهذه المنطقة، أي نوع من الحفيف، مع حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية، فإنّ الصوت الذي ينتج عن ذلك هو صوت الضمّة الخالصة (u) الألماني، فإذا ارتفع أقصى اللسان نحو سقف الحنك، أكثر من هذا، بحيث يسمح للهواء الخارج بالإحتكاك وإحداث نوع من الحفيف، نتج عن ذلك صوت (الواو)، ولذلك يعدّ علماء الأصوات صوت (الواو) من الأصوات الشبيهة بالحركات كذلك، لأن الفرق بينه وبين الضمة الخالصة، في قرب أقصى اللسان من سقف الحنك مع الواو، أكثر منه مع الضمّة[٥].

فصوت الواو مخرجه من أقصى اللسان عندما يرتفع نحو الحنك، مع ملاحظة استدارة الشفتين لحظة النطق بالصوت، فصوت (الواو) ليس مقاربا للأصوات الشفوية إلا من جهة مصاحبة الشفتين في الإستدارة معه، وهذا يفسّر لنا السبب في امتناع إدغام الواو في الأصوات الشفوية: «الباء والفاء والميم» وأيضاً منع إدغام الأصوات الشفوية فيها.

وعلماء اللغة القدامى كانوا يظنون أن سبب امتناع إدغام الواو في الأصوات الشفويّة – وهي في نظرهم مقاربة لها – والواو فيها لين، واللين فضل صوت في الحرف فلو أدغمت في أحد الأصوات الشفوية المقاربة لها لذهب اللين، فيكون ذلك إخلالا بها[٦]، ولأنها حرف علّة والمقارب لها حروف صحيحه – وهي الميم والباء والفاء – وفي نظرهم أن حروف العلّة لا تدغم في الحروف

١- انظر الأصوات اللغويّة ص ٤٣، المدخل إلى علم اللغة ص٩٣، ودراسات في علم الأصوات اللغويّة، ص ١٤٩.

٢- انظر دراسات في علم الأصوات اللغويّة ص ١٢٣. والأصوات اللغويّة ص٣٣، ٣٦.

٣- انظر الأصوات اللغويّة ص ٣٣، ٤٢ ودراسات في علم الأصوات اللغويّة ١١٧.

٤- انظر مدخل الى علم اللغة ص ٤٢، ٤٣.

٥- انظر المدخل الى علم اللغة ص ٩٣.

٦- انظر الممتع ص٧٠٩.

الصحيحة[١]، كما لا يجوز إدغام أحد الأصوات الشفويّة فيها.

بينما يخفّ إدغام: «النون والياء» في: الواو، وتدغم الواو في الياء.

فاليـاء: صـوت مخرجه وسط اللسان[٢]، وتدغم في(الواو) والـواو: تدغم في الياء إلا أن (الواو) هي التي تقلب لجنس الياء تقدّمت أو تأخرّت، لأن القصد بالإدغام التخفيف، والياء أخف من الواو فقلبت الواو على كل حال[٣].

ويفسـر القدامـى مسوغ إدغام الياء في الواو، والواو في الياء، أن الواو والياء وإن تباعد مخرجهما فقـد اجتمعـا في المدّ فصارا كالمثلين، فتدغم الواو في الياء بعد قلبها ياء، مع أنّ الواو تخرج من الشفـة ثـم تهوي إلى الفم حتى تنقطـع عند مخرج الألف والياء، فهما على هـذا متجاورتان، فإذا التقتـا فـي كلمة والأولى منهما ساكنـة أدغمت إحداهما في الأخرى، وذلك نحـو: «ليّه» من «لويت يده» و«شيّ» من «شويته» وأصله «لوّيه وشوّي» وكذلك لو كانت الثانية واوا قلبت ياء ثم أدغمت الياء فيهـا، لأن الـواو تقلب إلى الياء، ولا تقلب الياء إليها، لأنّ الياء أخـفّ، والإدغام هو نقل الأثقل إلى الأخفّ[٤].

فالقدامـى فهمـوا أن الواو واليـاء متجاورتـان، والظاهر أنّ استـدارة الشفتين فـي الواو جعلهم ينسبونها الى الشفتيـن دون غيرها، ولكن الدراسات في المختبرات الصوتيّة التي أجراها «دانيل جونـز» تبين أن الواو من أقصـى اللسان. وهذا يفسر مفهوم القدامى لمسألة تجاور مخرج «الواو» و«اليـاء» إذ الـواو من اقصى اللسان، والياء من وسطه، وهـذا تجاور واضح، زد على ذلك أن الواو والياء من أحرف العلّة وتشابها في اللين[٥].

وأمـا جـواز إدغام النـون الساكنة في الـواو، فإنّ مخرج الـواو جاور مخرج الغنّـة -الخيشوم[٦]- فأدغمت النون الساكنة في الواو، وهو قياس على جواز إدغام النون في الياء، وإن لم يكن فيها لين إلا أن فيها غنّة ولها مخرج من الخيشوم[٧].

وبعد، فإن الادغام يجوز بين المتقاربين إذا كانا في كلمتين، لأنه لا يؤدّي الى لبس أصول الأصوات بإدغـام المثلين، فالإدغام فـي كلمتين لا يلزم، ويجوز الإظهار فـي المتقاربين على الأصل، بينما عندما يجتمع المتقاربان في كلمة واحدة فالواجب البيان، لأن إدغام المتقاربين يؤدي الى اللبس بإدغام المثلين، لأن إدغام المثلين في الكلمة لازم، فإذا أدغمت المتقاربين في الكلمة الواحدة لم

١- انظر الممتع ص ٧١٠.

٢- انظر الكتاب ٤/٤٣٣.

٣- انظر الممتع ٦٨٨، وشرح المفصل ١٠/١٣٩.

٤- انظر شرح المفصّل ١٠ / ١٣٩.

٥- انظر الممتع ص ٦٨٨.

٦- انظر الكتاب ٤/٤٣٤.

٧- انظر شرح المفصّل ٤/١٣٩.

يبــق ما يشير إلى أصل الكلمة، فإدغــام النون في «أنملة» في الميم، تصير «أمّلة» يؤدّي إلى فقدان الأصل، هل هو «أنملة» أو «أمُمُلة»[١].

الفصل الخامس

مطلب: الانسجام الصوتي في الكلام

فــي هــذا الموضــوع نحتــاج أن نتعــرف إلى بعض الظواهــر الصوتيــة لمعرفة المقصــود منها، فالانسجــام الصوتي في الكلام يستعمل العديد مــن الظواهر الصوتية في آن واحد، مثل التنغيم، والنبــر، واللحن، والموسيقى، والمماثلة، والمخالفة الصوتية، والإدغام، والتخلص من الساكنين، وطول الصوت، وحذف او زيادة صوت، وإبدال الأصوات وغير ذلك.

والتنغيم، هو: عبارة عن تنويع الأداء للعبارة حسب المقام فيه[٢].

فالنَّغْمَــة: جَرْس الكلمة، وحسن الصوت في القراءة وغيرهــا[٣]، وتقول: تَنَغّم الإنسان بالكلام[٤]. ويقال: رجل نَغُوم: حسن النغمة. والنغّام: الكثير النَّغْمَة[٥].

والنبر، هو: وضوح نسبي لصوت أو مقطع، إذا قورن ببقيّة الأصوات والمقاطع من الكلام[٦].

والنبــر: يدل على الرفــع والعُلُوّ، ورجل نَبّار: فصيــح جهير[٧]. وفي اللسان: فصيــح الكلام، ونَبّار بالــكلام: فصيــح بليغ، ورجل نبار: صيّــاح، والنبر عند العرب: ارتفاع الصــوت. يقال: نبر الرجل نبرة، إذا تكلم بكلمة فيها عُلُوّ، ونبر المُغَنّي: رفع صوته عن خفض. وكل شيء ارتفع من شيء: نبرة لانتباره[٨].

واللحن، هو: الغناء وترجيع الصوت والتطريب.

يقــال: فــلان لا يعرف لحن هذا الشعــر، أي: لا يعرف كيف يغنيه، وقد لحّن فــي قراءته اذا طرّب بها[٩].

و«لحّــن» في قراءته: طرّب فيها وغرّد بألحان، والأغنيــة: وضع لها صوتا موسيقِيّا مناسبا تغنّى به (مولد)[١٠].

١- انظر الممتع ص ٧١١.

٢- التجويد والأصوات ص٨٢.

٣- مقاييس اللغة «نغم» ٤٥٢/٥، لسان العرب «نغم» ٥٩٠/١٢.

٤- مقاييس اللغة «نغم» ٤٥٢/٥

٥- الوسيط «نغم» ٩٣٧/٢.

٦- دراسات في علم الأصوات اللغويّة ص ١٨٣.

٧- مقاييس اللغة «نبر» ٣٨٠/٥.

٨- لسان العرب «نبر» ١٨٩/٥.

٩- لسان العرب «لحن» ٣٨١/١٣.

١٠- الوسيط «لحن» ٨٢٠/٢.

والموسيقى: لفظ يونانيّ معرب، يطلق على فنون العزف على آلات الطرب. و(علم الموسيقى): علم يبحث فيه عن أصول النغم، حيث تأتلف أو تتنافر[١].

والمماثلة، هي: تأثّر الأصوات اللغويّة بعضها ببعض في المتصل من الكلام، أوهي: تحوّل الأصوات المتخالفة إلى متماثلة، إمّا تماثلا جزئيّا أو كليّا[٢].

و(المثل): كلمة تسوية، يقال: هذا مِثْله ومَثَله، كما يقال شِبْهه وشَبَهه بمعنى، والفرق بين المماثلة والمساواة: أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين فيه، لأن التساوي - وهو التكافؤ في المقدار - لا يزيد ولا ينقص. وأمّا المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين (فيه) أو (في الجنس)، فاذا قيل: هو مثله - على الإطلاق - فمعناه: أنه يسدّ مسدّه، والمثل: الشبه[٣]. و(ماثل) الشيء: شابهه، ويقال: ماثل فلانا بفلان: شبَّهه[٤].

والمخالفة: تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور، ولكنه تعديل عكسيّ يؤدّي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين[٥].

والخلاف: المضادة، وقد خالفه مخالفة وخلافا[٦]. وتخالفا: تضادا.. ويقال: خالف بين الشيئين[٧].

وطول الصوت اللغوي، هو: الزمن الذي يستغرقه النطق بحرف من الحروف.

ويقدر نطق الحرف بمقدار من مائة في الثانية فصوت (d) الإنجليزى إذا وقع متطرفا فإنّه يستغرق زمنا يقدّر بحوالي (٠،٠٥) من الثانية. ويستغرق صوق اللين المفتوح (A) حوالي (٠،٤٨) من الثانية[٨].

فالظواهر الصوتية في اللغة العربية متنوّعة، وعندما يؤدّي المتكلّم حديثا فإنّه يتكلّم بسهولة وانسجام مع لغته أو لهجته، فلا يعوقه التفكير في كيفيّة نطق الكلمة، وإنّما يجري ذلك على لسانه بطريقة عفويّة، والمثل الأجمل في الكلام هو: التجويد. وبين ابن الجزري: أنّ التجويد هو حلية التلاوة وزينة القراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها، وردّ الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وتصحيح لفظه، وتلطيف النطق به، على حال صيغته، وكما هيئته، من

١- الوسيط «موسيقى» ٨٩١/٢

٢- دراسات في علم الأصوات اللغويّة ص ١٩٣.

٣- لسان العرب (مثل) ٦١٠/١١.

٤- الوسيط (مثل) ٨٥٣/٢.

٥- دراسات في علم الأصوات اللغويّة ص ٢٠٣.

٦- لسان العرب (خلف) ٩٠/٩.

٧- الوسيط (خلف) ٢٥١/١.

٨- انظر التجويد والأصوات ص ٨٥.

غير إسراف ولا تعسّف ولا إفراط ولا تكلّف[١].

والصوت العادي لا يمنع الأداء الجيد، فصاحب الأداء السليم تتلذّذ الأسماع بتلاوته، وتخشع القلوب عند قراءته، ولقد أدرك ابن الجزري بعض شيوخه ممن لم يكن لهم حسن صوت ولا معرفة بالألحان إلا أنّه كان جيد الأداء، قيّما باللفظ، فكان إذا قرأ أطرب السامع، وأخذ من القلوب المجامع، وكان الخلق يزدحمون عليه[٢].

والأداء، قادر على إكساب اللفظ معاني متنوعة تبعا للإعراب،ففى قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾[٣]. يوجد أكثر من إعراب وسببه اختلاف الأداء في القراءة، فتعرب ﴿ذَٰلِكَ﴾: خبراً لمبتدأ محذوف، و ﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾: نعتا أو بدلا أو عطف بيان. كما تعرب ﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ، «والكتاب»: خبراً. وايضاً تعرب «ذلك»: مبتدأ، و«الكتاب»: نعتا، وجملة ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾: خبراً.

فالأداء المنَغّم يعبّر عن علاقة الألفاظ ببعضها، فيختلف الإعراب بحسب الأداء، فمن أعرب «ذلك»: خبرا، فهو يتصور أداءِ غيرأداء من يعربها مبتدأ، وأداء الأوّل أداء من ينطق بالخبر في نغمه هادئة مطمئنة. أمّا من يعربها مبتدأ فإنه يؤديها في نغمّه عالية ويؤدّي كلمة «الكتاب» في أداء هادىء إذا أعربها خبراً. فأمّا إذا كانت تابعا لـ «ذلك» فلا يزال يمضي أداءه صاعداً مصحوبا بنبرة عالية على كلمة الكتاب، ثم يهبط هذا الأداء عند الخبر وهو: «لا ريب فيه»[٤].

والأصوات تتأثر ببعضها البعض عند الدرج في الكلام، إلا أن التأثّر أو المماثلة لا يكون في جميع الأصوات، مع بعضها البعض، وإذا حدث تأثّر ما فليس من الضروري أن يحدث في كل أنواع المماثلة أو التأثّر بنفس المستوى، ففي الإدغام بدون غنّة تغنى النون في: (الراء واللام) فناء كاملا اذا ولياها. أمّا اذا جاورت النون أصوات الحلق فإنّها لا تتأثّر بها، بل يكون الحكم أن القارىء يظهر نطق النون.

وقد حذّر ابن الجزرى القرّاء والمتكلمين من الوقوع في الأخطاء الصوتية للألفاظ المتداولة، فيقول:«وأمّا الألف فالصحيح أنّها لا توصف بترقق ولا تفخم، بل بحسب ما يتقدّمها فإنها تتبعه ترقيقا وتفخيما، وما وقع في كلام بعض أئمتنا من إطلاق ترقيقها فإنّما يريدون التحذير ممّا يفعله بعض العجم من المبالغة في لفظها إلى أن يصيّروها كالواو أو يريدون التنبيه على ما هي مرققة فيه، وأما نص بعض المتأخرين على ترقيقها بعد الحروف المفخمة، فهو شيء وَهَم فيه ولم يسبقه إليه أحد»[٥].

١- انظر النشر ٢١٢/١.

٢- انظر النشر ٢١٢/١.

٣- سورة البقرة آية ١،٢.

٤- انظر الإعراب، ص ٦٤.

٥- انظر النشر ٢١٥/١.

فعنـد الـكلام تظهر على لسان المتكلّـم العديد من التأثّرات بالأصوات المتجـاورة وإن لم تقرّها القاعدة، إلا أنّ القارىء يجدر به إن يلتزم بأسس القواعد الصوتية.

ولتحقيـق الانسجام الصوتـي في الألفاظ والعبـارات يتجه المتكلم أو القارىء الـى تيسير النطق بالاقتصـاد في المجهود العضلي عندما تتحرك عضلات جهاز النطق. وخير مثال «تاء» الافتعال، فالتـاء صـوت مهموس، فإذا صغنا علـى «افتعل» من ظلم، فإن الصيغة هـي «اظتلم»، والظاء هنا صـوت مطبق مجهـور مستعل، والتاء لايوجـد فيها هذه الصفات، فالخروج مـن الصوت المجهور المطبـق المستعل إلـى صوت مستفل مهموس غير مطبـق يؤدّي إلى الثقل في نطـق الكلمة العامة والصـوت المهموس، ممـا يدفع القارىء الى اللجوء إلى أقرب صـوت يناسب «التاء» من مخرجها وهو «الطاء» ويناسب «الظاء» في أنه مجهور ومطبق ومستعل، فيقتصد المتكلم بالمجهود العضلي وينسجم الصوت الأوّل مع الصوت الثانى وتنطق الكلمة «اظطلم» بالطاء، وهذا ما يسمّى بالمماثلة التقدّميّة، وهي أن يتأثّر الصوت الثاني بالأوّل، ويمكن أن تكون المماثلة بتأثّر الصوت الأوّل بالثاني وهـذا مـا يسمّى بالمماثلـة الرجعيّة. مثـل قوله تعالـى: ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾[1]. والأصـل «مذتكر» فاجتمـع صوتان متجـاوران، الأول منهما مجهور والثاني مهموس، فتأثـر الثاني بالأوّل وانقلب إلى صـوت مجهور، فاجتمع صوتان مجهوران، فأصبحـت «اذدكر» حين جهر بالتاء. وهذا تأثّر تقدّميّ لأن الثاني تأثّر بالأوّل، ويمكن أن تقلب «الذال» «دالا» سعيا للإنسجام الصوتيي والمماثلة والفناء الكامل، فتصبح «مدّكر».

وفـي الكلام العديد من هذه الأمثلة، فتقول: اذّكر، ادّعى. ازداد: ازّاد. اضطرب: اضرب. ازدجر: ازّجر، وغير ذلك.

ولتحقيق الانسجام الصوتي في الكلام يحرص المتكلّم على نبر مقاطع الألفاظ صحيحة، وإلا عدّ المتكلـم لا يعرف اللغة الصحيحة، بل أن من أسباب اختلاف اللهجات نبر مقطع لا ينبر في لهجة أخـرى، بل ينبر غيره، والعامي لا يعرف المقاطع أو النبـر، ولكنه ينطق الألفاظ بسهولة وانسجام واتقان دقيق للهجته دون أن يخطىء أو يتلعثم، وهو الذي يسمّى بالسليقة اللغويّة.

ولمعرفة النبر يستدعي دراسة الوحدات الصوتية البسيطة التي ركبت منها الكلمة وهذه الوحدات الصوتيـة البسيطة لا يمكن تجزئتها، وهي المعروفة بالمقطـع الصوتي، وهو الدفعة الهوائية التي تضم وحدة صوتيّة بسيطة لا يمكن تجزئتها الى أقل منها لبساطتها[2].

وبالنظر الى المقاطع العربيّة تبيّن أن نسج الكلمة العربية تتكون من ستة مقاطع، هي:

١- صوت ساكن + صوت لين قصير.

١- سورة القمر آية ١٥و١٧.

٢- انظر التجويد والأصوات ص ٢٧.

٢- صوت ساكن + صوت لين طويل.

٣- صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن.

٤- صوت ساكن +صوت لين طويل + صوت ساكن.

٥- صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان[١].

٦- صوت ساكن + صوت لين طويل + ساكنان[٢].

فالفعل الماضي «ذَهَبَ» مقاطعه « ذَ» «هَـ» «بَ» حيث تتوالى فيه ثلاثة مقاطع من نوع واحد، والمقاطع الثلاثة «صوت ساكن + صوت لين قصير» أما مضارعه «يَكْتُبُ» فمقاطعه «يَكْ» و «تُ» و«بُ» فيتكوّن من مقطع «صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن» أي: النوع الثالث من المقاطع، ومقطع «تُ» و «بُ» من النوع الأوّل: «صوت ساكن + صوت لين قصير».

أما كلمة «نَسْتَعينْ» فإن مقاطعها «نَسْ» و «تَ» و «عين» والمقطع الأوّل «نَسْ» من النوع الثالث «صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن» والمقطع الثاني «تَ» من النوع الأول «صوت ساكن + صوت لين قصير» أمّا المقطع الثالث «عينْ» من النوع الرابع «صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن».

أمّا النوع الخامس من المقاطع «صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان» يمثّله المقطع «قرّ» من «مُسْتَقَرّ» عندما تقف عليه، وهذا المقطع يتألف من: صوت ساكن ثم فتح صوت لين قصير ويليه صوت الراء المشدد - ويتكون من صوتين ساكنين- ملاحظا الوقوف على الرأء وتكرّرها.

اما النوع السادس من المقاطع فإنّه نادر في النثر ولا يوجد في الشعر ويكون عند الوقف عليه، مثل كلمة: «ضالّ» فإنّ مجموع أصوات الكلمة مؤتلفة بمقطع واحد «صوت ساكن + صوت لين طويل + ساكنان».

وعند الكلام لا تكون جميع المقاطع على درجة واحدة من الوضوح، وتختلف درجة الوضوح من مقطع الى آخر، وهو الذي نسمّيه بالنبر، وهو: «وضوح نسبيّ لصوت أو مقطع إذا قورن ببقيّة الأصوات والمقاطع من الكلام»[٣].

واذا كان النبر في مقطع ما، فهو أوضح في السمع من مقطع مجاور له، مما يؤدّي الى نغمة خاصة

١- انظر الأصوت اللغويّه،ص ١٦٣.

٢- انظر دراسات في علم الأصوات، ص ١٧٦

٣- مناهج البحث في اللغة، ص ١٦٠.

بارزة له فيتشكّل في الكلمة الواحدة أكثر من نوع في مستوى الأداء العضلى، من أعضاء النطق[1]، فيحدث بما يشبه الموسيقى لتنوّع شدّة الصوت من مقطع الى آخر.

ونطـق اللغـة لا يكون صحيحـا إلا إذا روعي فيـه موضع النبـر، وتختلف اللغات فـي موضع النبر، فالفرنسيـون يُخْضِعون النبر لنظام صوتي، ووفق نظام وعـادات يلحظونها بالضغط على المقطع الأخير من الكلمة، بينما اللغة الإنجليزيّة لا تتّبع نظاما معينا في النبر.

أمّـا فـي اللغة العربيّة فإنّ النبـر يقع على المقطع ضمن نظام افضليّـة النبر على المقاطع، ولهذا نجد الارتكاز مرة على المقطع الأوّل، وثانية على المقطع الثاني، وأخرى على المقطع الأخير.

فالنبـر فـي الكلمة العربية يقع على المقطع الأخير في حالة الوقف اذا كان: «صوت ساكن + صوت ليـن طويل + صوت ساكـن» وهو المقطع الرابع، مثل: «نستعين» فـإن الارتكاز يكون على: «عين» أو اذا كان المقطع: «صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان» وهو المقطع الخامس، مثل: «المستقرّ» فنجد الضغط على «قرّ».

ويكون النبر على المقطع الأول، إذا توالى ثلاثة مقاطع من النوع الأول: «صوت ساكن + لين قصير» مثـل: كَتَبَ، ذَهَبَ. فإنّه ينبر المقطـع الأوّل من الفعل « ك» و«ذ»، كما ينبر المقطع الأوّل أيضاً إذا لحـق مقطع مغاير لهذه المقاطع الثلاث. ففي: «حَرَكَةٌ، عَرَبَةٌ، عِنَبَةٌ»، ثلاث مقاطع من النوع الأوّل «صوت ساكن + لين قصير» ثم مقطع من النوع الثالث: «صوت ساكن + لين قصير+ صوت ساكن». أو تقـدّم هـذا المقطع على المقاطع الثلاث، مثل: «اِجْتَمَـعَ، اِنْكَسَرَ» فإنّه يقع الارتكاز على المقطع الأوّل لأنّه يواليه ثلاث مقاطع متماثلة

ويقـع النبر على المقطع الأول في المصادر والأسمـاء، إذا تكوّنت من ثلاثة مقاطع، الأول والثاني مـن النـوع الأوّل «صوت ساكن + صوت لين قصير» والثالث من النوع الثالث «صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن» مثل «لَعِبٌ، فَرِحٌ، عِنَبٌ، بَلَحٌ»[2].

وغيـر هذا النسيج من التركيب للمقاطع فإنّه يكون على المقطع الذي قبل الأخير، مثل: «اِسْتَفْهِمْ» عنـد الوقوف عليها فيقع الارتـكاز على مقطع «تفْ» وهو «صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكـن»[3]، ومثلـه «يُذْهِبْكُم» على المقطـع «هَبْ» وأيضـا «تَقْرِضْهُم» على المقطـع «رَضْ» وأيضا «ينادي» فإن الضغط يكون على المقطع «نا».

كما يكون النبر على المقطع الذي قبل الأخير فيما هو مثل «قاتَلَ» و«يَكْتُبُ» لأن المقطع الذي سبقه

١- حيث تنشط أعضاء النطق في حركتها وأداء وظائفها نشاطا فوق العادة مع المقطع لمنبور. انظر دراسات في علم الأصوات، ص١٧٣ و ما بعدها.

٢- انظر التجويد والأصوات ص ٧٥ وما بعدها. وقارن مع الأصوات اللغويّة ص ١٦٣ وما بعدها.

٣- انظر الأصوات اللغويّة ص ١٧٢ ودراسات في علم الأصوات اللغويّة ص ١٨٩.

ليس من نوعه –فهو من النوع الأول–[١].

واذا تعـدّدت المقاطـع، فكانت خمسا أو ستا، فـإنّ المقاطع التي بيـن الأوّل والأخير إذا كانت من النـوع الأوّل «صـوت ساكن + صوت لين قصير» فإنّ النبر يقع علـى الأوّل، مثل: حاضِنَتَهُ، ذاكِرَتُهُ، ناصِيَتُهُ، حاضِنَتَهُما، ناصِيَتُهُما، قابِلَتُهُما، ذاكِرَتُهُما[٢].

وتغيير نبر مقطع الكلمة إلى مقطع آخر في اللغة العربية لا يؤدّي إلى اختلاف دلالة الألفاظ[٣].

ولكـن فـي اللغة الإنكليزيـة فالنبر له أهمّية فـي تعيين معنى الكلمـة، فكثير من الكلمـات تتشابه بـه صوتيـا، ولا تختلـف الا في موقع النبـر، ولذا يقـوم النبر بالتمييـز بين معانـي الكلمات مثل: «ncrease» وتنطـق بنبر المقطـع الثاني «crea» ومعناها الفعل «ينمـو». واذا نبر المقطع الأوّل «in» فيكون معناها المصدر «النمو»[٤].

والظاهـر أن تغييـر الارتكاز فـي اللغة العربية من مقطع إلى آخر، من الممكـن أن يؤدّي الى تغيير مدلـول الكلمـات، ومعرفة مصدرها، مثل «أجِدُ» مضارع «وَجَدَ» ويقـع النبر على المقطع الأوّل «أ». وكلمة «أَجِدُّ» مضارع «جدّ» المضعّف، ويقع النبر على المقطع الأخير «د».

فالمقطع هو عنصر أساس في مفهوم الكلمة، والنحو التحليلي يهتم كثيرا بالمقطع الأخير للكلمة، فـإذا كان مقطعـا مغلقا، مثل: « تُبْ» – وهو: صوت ساكن + لين قصير + صوت ساكن – من قولك: لم يكتُبْ، والصوت الساكن الأخير في الكلمة أصلي، بينما نجد أنّ المقطع «ب» – ويلفظ بُنْ – في كلمة «كتاب» – وهو أيضا: صوت ساكن + لين قصير + صوت ساكن – فيه صوت النون ليس أصليا في الكلمة، وإنّما من اللواحق الصوتية ويؤدّي الى التمييز في نوع الكلمة.

امـا زيـادة نبر مقطـع كلمة معينة من الجملة، فإن لـه أهمّيّة دقيقة في معرفـة دلالة الغرض التي ألقيـت مـن اجله الجملة، فإذا قال إنسان: «هل حضر أخوك أمـس» فإن كان الاستفهام يدور حول الفعل، زيد في نبر مقطعة البارز، فيزيد على المقطع «حَ» الضغط فيظهر انه يطلب معرفة الحضور

١- انظر الأصوات اللغويّة ص ١٧٢.

٢- انظر دراسات في علم الأصوات ص١٩١.

٣- هذا ما يراه الدكتور ابراهيم أنيس. انظر الأصوات اللغويّة ص ١٧٤.

٤- انظر دراسات في علم الأصوات، ص ١٨٧. وهذه بعض الكلمات الانجليزيّة، مرة تكون اسما وأخرى فعلا، والفيصل بينهما الارتكاز فقط:

موضع النبر	اسم	المعنى	موضع النبر	فعل	المعنى
المقطع الأوّل	contract	عقد	المقطع الثاني	contract	يتقاقد
المقطع الأوّل	interest	هتمام	المقطع الثاني	interest	يثير اهتمام
المقطع الأوّل	contrast	التناقض	المقطع الثاني	contrast	يتناقض
المقطع الأوّل	import	استيراد	المقطع الثانى	import	ستورد

مـن عدمه، فـإذا كان المستفهم طالبا معرفة مجيء الشخص، زاد فـي الارتكاز على مقطع «خو» مـن كلمة «أخوك» فتبين المسؤول أنّ السائل يطلب معرفة مجـيء الشخص المعين أو غيره، فإذا كان الشكّ في زمن الحضور، زاد الارتكاز على مقطع أمس المنبور، ليتبين السامع أنّ السؤال يدور حول الزمن.

والمقطـع العربـي غير مستقـر النبر في الأفعـال، ويتأثّر بالعوامـل الداخلة عليـه، فيتغيّر موطن الارتكاز في الفعل العربي تبعا للتطور الذي يحدث له.

فكلمة «فَهِمَ» يقع الضغط على المقطع «فَ» اذ أنّ جميع مقاطع الكلمة من نوع واحد «صوت ساكن + صوت لين قصير». وإذا نطق العربي الفعل المضارع من «فهم» فيقول: «يَفْهَمُ» فينبر المقطع «هَ» وسبـب هـذا التغيير في الارتكاز الاشتقاق الذي أدخل على الكلمـة صوتا جديدا فتأثّرت المقاطع، فضمّ المقطع «فَ» إلى الصوت الجديد «ي» كوّنا مقطعا موحدا وانتقل النبر إلى مقطع آخر.

ويتأثّر الفعل المضارع بأدوات الجزم، فيتغير إعرابه والإرتكاز على مقاطعه، فدخول حرف الجزم علـى الفعـل المضارع في مثل «لم يفهـمْ» يحوّل الإرتكاز مـن المقطع «هَـ» -لأن الكلمة كانت في السابق «يفهم» بالرفع- إلى المقطع «يَفْ» بعد أن تغيّر نطق المقطع «مُ» إلى ساكن فقط، فضمّ إلى المقطع الذي كان ينبر «هَ» فكوّنا مقطعا واحدا، هو: «هَمْ» وبذلك ينتقل النبر من المقطع السابق «هَ» إلى المقطع الأوّل «يَفْ» إذ أصبح الفعل «يَفْهَمْ» ينسج من مقطعين بعد أن كان ثلاثة مقاطع.

واتصـال الأفعـال باللواحق قد يـؤدّي إلى تغيير النبر مـن مقطع إلى اخر، فـإذا أسند إلى ضمير رفـع متحـرك فإنّه يتأثّر في نسـج مقاطعه، فيتغيّر معـه الإرتكاز على المقطع قبـل الإسناد، ففي «فَهِمَ» عند اتصالها بضمير رفع متحرك، نحو: «فَهِمْنا، فَهِمْتُ»يتغير الإرتكاز من المقطع «فَ» إلى المقطع الثاني «هِمْ» حيث أثّر المقطع «نا» و «تُ» في تغيّر نسج المقاطع فأسكنت الميم، وأصبحت تابعـة للمقطـع السابق لها، بعد أن كانـت مقطعا كاملا، فنسج المقطع «هَـ» و «مَ» مقطعا جديدا. وتغيّر النبر من المقطع الأوّل «فَ» إلى المقطع الثاني «هِمْ».

ونلاحـظ أنّ الفعل إذا اتصل بألـف الإثنين أو واو الجماعة، نحو: «فَهِما، فَهِموا» فلا يتأثّر المقطع الأوّل بالتخلّي عن الإرتكاز، لأنّ ألف الإثنين وواو الجماعة لم تُؤَثّرا على المقطع الأخير، بل نسجت كل واحـدة معـه مقطعا، فبدل أن كان المقطع الأخير «صوت ساكـن + صوت لين قصير» تغيّر إلى «صـوت ساكن + صوت لين طويل» وهذا لا يغيّر الإرتكاز الصوتي. والفرق فقط في كميّة نطق زمن صوت اللين، حيث مُدّ بعد أن كان مكسورا أو مفتوحا أو مضموما.

والكلمة العربية لا تتحمل تغييرا في نسج المقطع دون أن يتأثّر المعنى، فإنّ تكرير الصوت الساكن، أو مـدّ صوت الليـن أو العكس في المقطع يؤدّي الـى دلالة جديدة للكلمـة، نحو:«فَهِمَ» فإذا مطلنا صـوت اللين القصير في المقطع الأوّل أصبحـت «فاهِم» وكذا إذا كرّرنا صوتا ساكنا، نحو: «فَهْمٌ» «فَهَّمَ» وبالتالي يتغيّر الإرتكاز الصوتي في المقاطع.

والإرتـكاز الصوتي أو الضغـط على مقاطع دون مقاطع من العوامل المساعدة على ظهور اللهجات العربيـة، وقد لاحـظ الدكتور إبراهيم أنيـس[١]: أن القاهريين ومعظم سـكان الوجه البحري في مصـر ينبـرون ما قبـل المقطع الأخيـر في كلمة «ربّنـا» – أي: مقطـع «بَ» – وفي كلمـة «عَمَلَهُم» يضغطـون على « عَ ». أمّا أهـل الصعيد فيضغطون على «ربْ» فينطقون الكلمة «ربْنا» وعلى المقطع «مَ» في «عَمَلَهم». وهذا مما يؤدّي إلى اختلاف اللهجات.

وتحدّث المحدثون عن نوع معيّن من أنواع تغيّر دلالة الالفاظ والمعروف باللحن، فبعضهم سماه بـ «الفونيمـات»[٢] أو التنغيم. وآخـرون بـ«موسيقى الكلام»[٣]. فالكلمة تنطق بلحن معيّن فيكون لها دلالـة، وتنطق ثانية بلحن آخر، فيكون لهـا دلالة مختلفة عن الأولى، وعرفت اللغة الصينية وبعض لغـات وسط افريقيا بهذا النـوع، ففي اللغة الصينية كلمة «فان» تُـؤَدّي ستة معان لا علاقة بينها، هي: «النوم،والشجاعة، والواجـب والمسحوق، ويحرق، ويقسم: وليس هناك من فرق سوى النغمة الموسيقيّة في كل حالة»[٤].

واللغـة الإستوائيـة «Estonian» تتخـذ مدة استمرار طـول الصوت وسيلة مميّـزة بين المعاني، فالصـوت الصائـت – اللين – يأتي «قصيرا» و «طويلا» و«بالغ الطول» ففي كلمة «sada» إذا كان صـوت الليـن الأوّل «a» قصيراً فيكون معناهـا: «مائة» وإذا كان طويـلا «saada» فهي فعل أمر بمعنى أرسل، وإذا كان بالغ الطول «saada» فتكون مصدراً بمعنى: الحصول على، أو السماح[٥].

والإشتقـاق في اللغة يقوم على عدّة عوامل، منها: توظيف طـول الصوت اللغوي في دلالة المعاني. إذ تختلـف فيهـا معاني الألفاظ تبعاً لطول صوت اللين، فكلنة «طَـرَدَ» تتألّف من ثلاثة مقاطع، كلّ مقطع عبارة عن: «صوت ساكن + صوت لين قصير» –وهو هنا فتح–[٦].أمّا إذا زدنا في نطق صوت الليـن القصير «الفرنسي» في الكمّيّةالزمنيّة، تولّـد عنه تولّد عنه صوت لين طويل «A» وهونفس الصوت الأوّل، إلا أنّ الفرق في مدّة الزمن التي يستغرقها الصوت، فإذا قلنا «طارد» بعد مدّ الفتح اختلـف المعنى الثاني عـن الأوّل، ولو جاز لنا أن نكتب الأحرف العربيّة باللاتينيّة[٧] لكتبت «طرد» و«طارد»: (tarada) وكذلك «رام» و«رمى» فتكتبان «rama».

١– انظر الأصوات اللغويّة، ص ١٧٣.

٢– انظر علم اللغة د. السعران، ص ١٩٨.

٣– انظر الأصوات اللغويّة ص ١٧٥. علم اللغة العام – الأصوات – ص ١٦٣.

٤– انظر الاصوات اللغوية ص ١٧٥. التجويد والأصوات ، ص٧٥. علم اللغة ص ١٩٨

٥– انظر علم اللغة، ص ١٩٨

٦– ومن الممكن أن يكون صوت اللين ضمّ أو كسر

٧– اعتبر كتابة العربية بالأحرف اللاتينيّة خروجا عن الأصول العربيّة والقواعد والإملاء، ويجب المحافظة على الحرف العربي لأسباب عديدة. ليس هذا مكان بيانها.

وهـذا قياس مطرد في اللغة العربية، فزيادة صوت ساكن او مـدّ صوت اللين أو زيادة صوت اللين فإنّـه يحـدث اختلافا في المعنى، فزيـادة التركيز على صوت اللين ومده يـؤدّي بلحن يختلف عن الأوّل، وإنْ كنّـا في اللغة العربية نرسم اللين الطويل مع بناء الكلمة ولا نرسم اللين القصير معها، إلا أنّ اللغات الأوروبية لا تميّز بين اللين الطويل والقصير، وترسمها مع بناء الكلمة.

فالفرق بين أداء الأصوات في اللغة العربية يختلف اختلافا كبيرا في التنغيم أو اللحن، فالاشتقاق هنا لون من اللحن يتغير معه المعنى.

ومـن مميّزات اللغة العربية قرب أصوات العلّة من أصوات اللين، فأصوات العلّة تقلب إلى أصوات ليـن طويلـة فكلمة «سام» غير «سما»، الأولـى صوت العلة وسط الكلمة، والثانيـة في نهاية الكلمة، وفـي الكتابة الأوروبية تكتبان «sama» وبفعل تنغيـم الألفاظ ولحنها تؤدّى كل واحدة مختلفة عن الأخـرى، فنمـدّ في الأولى المقطع الأول «سـا» ونمدّ في الثانية المقطع الثانـي «ما» مما يؤدي إلى اختلاف المعاني للألفاظ والأمثلة على ذلك كثيرة.

وصـوت التنغيم يميز بين المفرد والمثنّـى، فقول القائل: «قال» يعنى إنسان واحد ،فإذا قال: «قالا» يعنى اثنين، والفرق –في الفتح– في المدة الزمنية لصوت اللين مما أدّى إلى المفرد أو إلى الإثنين.

ويميّـز التنغيم بين المفـرد والجمع، فنقول: «يضربُ» و «يضربون» فتنغيم علامة الإعراب تختلف عـن نغمـة واو الجماعة في كميّـة الزمن الذي يستغرقـه صوت اللين في كل مـن الكلمتين، فطول الصوت له تأثير كبير في دلالة الألفاظ.

هـذا نوع من التنغيم في مقطع الكلمة، أمّا تنغيـم الكلمة بالنسبة للجملة فإن لها تاثيرا في مفهوم الجملـة، فجملة: «هل حضر الأستـاذ أمس؟» استفهامية، ولكن المستفهم عن ماذا يريد أن يثبت، عـن الفعـل أو الفاعل أو الزمن. فلعلّ السائل يريد أن يتأكّد أنّ الحضور فعلا حصل، لأنّه كان يعلم سابقـا أنّ الحضـور إلى المدرسة قد لا يحـدث، ومن الممكن أن يكون هناك فعـل آخر، فاذا كان السائـل طالبـا تأكيد الفعل زاد من نبر المقطع المهمّ في «حضر» ونغّمة، وإذا كان السائل يريد أن يتأكّد أن الأستاذ بنفسه حضر لا غيره وأنّه كان يشكّ في حضور الأستاذ زاد في نبر المقطع الهامّ فـي كلمة الأستاذ أمّا اذا كان السائل متأكّـدا أنّ الحضور حصل من الأستاذ، لكنّه يريد أن يعرف زمن الحضور زاد في نبر المقطع الهامّ في كلمة «أمس».

فتمييز كلمة معينة في الجملة بزيادة نبر مقطعها المهمّ يبرز في الجملة المعنى الخاص المطلوب، فالإيقـاع الذي سـار عليه المتكلم أوحى للسامـع بالمطلوب، فيربط السامع بيـن موسيقى الكلام والمعنى الخاص المطلوب، ويدرك أهميّة الكلمة في الجملة.

والجملـة العربيّة جميلة النغمة لطيفة الإيقاع، يستطيع المتكلّم أن يخبر وأن يأمر وأن يستفهم وأن يسخـر أو يستهـزىء وأن يستغـرب وغير ذلك، في جملة واحدة، والمعيار فـي معرفة الغرض التي

قيلت لأجله الجملة هو التنغيم أو اللحن.

ففـي جملة «حضر الأستاذ» يتحدّد معنى الجملة الخاصـ بحسب النغمة التي تصدر عن المتكلّم، تكون إخبارا عن حضور الأستاذ ، أو استفهاما عن حضوره،أو دهشة واستغرابا لحضوره، أو سخرية واستهزاء، وهذه الدلالات المعنوية تظهر في الإيقاع اأو النغمة التي تؤدى فيها الجملة، وقد تساعد قسمـات الوجه، وارتجاف عضلاته بشـكل معين، وحركات اليدين والجبين على نوع الجملة ودلالة الجملة، ويكـون اعتماد السامع على التنغيم لفهم النص، يساعده على ذلك المقام وسياق الكلام وما عنده من معلومات معروفة سابقا عن النص.

والجملة تنطلق بتنغيم معين ويستطيع السامع أن يعرف أنّ ما سمعه سؤال أو إخبار أو تعجّب حتى لـو لـم يفهم بالضبط محتوى ما سمع، فمـن التنغيم يعرف أن الجملة التـي سمعها كانت سؤالا أو إخبارا أو تعجبا[1].

وللنغمة أربعة مستويات يستعملها المتكلم عند الحديث، وهي على الوجه التالي:

١- النغمة المنخفضة: وهي ما تختم به الجملة الإخباريّة والجملة الإستفهاميّة وهي أدنى النغمات، وتصاحب عادة فاصلا - وهو الذي يفصل بين مجموعة صوتيّة وأخرى - هابطا، وهو يأتي في نهايـة القول دالا على انتهاء الجملـة أو الوقف على الكلمة، فيشعـر السامع بانتهاء المجموعة الصوتية.

٢- النغمـة العاديّـة: وهي التي نبدأ بهـا الكلام، والتي يستمـرّ على مستواها الـكلام العادي غير الانفعالي، والنغمة العاديّة أعلى من النغمة المفخّمة وأدنى من النغمة العالية.

٣- النغمـة العاليـة: وهي التي تأتي قبـل نهاية الكلام متبوعـة بالنغمة المنخفضـة أو نغمة عالية مثلها، وتصاحب النبرة الرئيسة في الجملة.

٤- النغمة فوق العالية: وهي التي تأتي مع الإنفعال أو التعجب أو الأمر وغير ذلك[2].

وهـذا التقسيم يبيّـن مستويات سياق النغمات في الجملة، ولهذا عندمـا يلقي المذيع الأخبار وهو مسترسـل ويقطع المخرج الحديث يشعر المستمع أنّ الجملة انقطعت فجأة دون رعاية من المذيع بإنهـاء كلامـه، ويفهم مـن سياق النغمات أنّ الخبـر أو الكلام لم ينته وإنّمـا تدخّل عنصر جديد وقطع الـكلام. فالمذيع والمحاضر والخطيب وغيرهم يستعملون عنـد نهاية الفواصل أو السكوت نغمة منخفضة تشعر بنهاية الجملة أو بنهاية الحديث.

١- الأصوات اللغويّة د. الخولي، ص ١٧٠.

٢- انظر الاصوات اللغوية د. الخولى ص ١٦٩- ١٧٠.

الخاتمَة

بعـد هذه الرحلة مـع اسرار الانسجام الصوتي فـي اللغة العربيّة، يحقّ للباحـث اللغوىّ أن يفتخر بلغته العربيّة، لقدرتها الفائقة على الوفاء بالمطالب اللغويّة الحيّة دون إخلال بقواعدها وأصولها.

ولدراســة اللغة العربية بطريقــة تحليليّة وظيفيّة أثر بالغ في إحياء اللغــة والتعرّف على أسرارها، ونشر دقائقها.

ودراسة اللغة العربية بهذا الإتجاه نحو المبنى لا يقصد به المعنى، وإنّما دراسة المعاني تأتي تبعاً لدراسة المبنى، فتستفيد بحوث المعاني من دراسة المباني.

ومــن خــلال دراسة أسس علم المباني ظهــر العديد من الظواهر اللغويــة والصوتية مما يستدعي دراســة بعض الظواهر، مثل: ادغــام المتماثلين والمتقاربين والإبدال وغيــر ذلك. ويدفع الباحث بدراســة الأصوات الفصيحة والرديئة والمردودة، فيستطيع معرفــة هذه الأصوات وتحديد موقف الكلمة من الفصاحة.

ويستفيد الدارس اللغوي والمحلل لأصوات اللغة من الدراسات القديمة العريقة، وتفصيل ما توقف عنده العلماء القدامى، وشرح غامضه.

ومما يجــب الإهتمام به مخارج الحروف، فأبناء اللغة العربيّة مدعوّون إلى تعلّم مخرج كل حرف، ومعرفــة صفة الأصــوات الصحيحــة والتفرقة بين صفــات الأصوات، كي لا يلتبــس عليهم النطق الصحيــح، وبذلك يتكلّمــون بلغة عربيّة سليمة، فمن أسباب نشــأة اللهجات: تكريس نطق الصوت بصفات غير موصوف بها، وهذا يؤثر على وحدة اللغة وظهور اللهجات المتباينة، وقد شدّد العلماء القدامــى على نطق الأصوات العربيّة سليمــة، مزيّنة بصفاتها الموصوفة بها، وبخاصة حين يتلون القرآن الكريم، ولهذا قال ابن الجزري:

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجوّد القرآن آثم

ومــن المسائــل التي يجب أن لا نغفلها، أنّ مجامع اللغة العربية في الوطن العربي منوط بها دراسة اللغــة العربية دراســة دقيقة وهذه مسؤولية مهمــة وخطيرة، فالمجامع اللغويــة بدراستها أصوات اللغــة تحمي لغة الأمّة من الضياع والإنقسام وتحافظ علــى الصوت العربي وترقى به، ولهذا يجب الإستفــادة من المختبــرات الصوتيــة ودراسة الصوت العربــي بطريقة علمية مدعمــة بالحقائق والشواهــد الواضحــة، وما قام به أساتذة الأصوات من عمــل يشكرون عليه، فإنه يظل عملا فرديا فالمجامع اللغويّة لها القول الفصل في مضمار اللغة وما يتعلق بها.

ويشتغــل القــارىء العربي كثيرا بالحــركات، والخليل بن أحمد وضع ثلاث حــركات فقط، وأحسن كثيرا بهذا العمل، ولكن اللغة العربية تتحمل أكثر من ثلاث حركات، وما أصوات اللين الكثيرة عند الغرب والمعروفة بـ«vovels» إلا حركات، سواء كانت طويلة او قصيرة.

والمجامع اللغوية العربية مدعوّة لأخذ المبادرة في وضع حركات جديدة وتضاف إلى رصيد حركات اللغة العربيّة، فالفتحة في اللغة العربية ليست واحدة، فقد سمعنا قديما عن الفتحة المفخّمة، ورمز لها عند علماء الأصوات المحدثون بالصوت الفرنسي «a»، والفتحة المرقّقة واصطلح عليها المحدثون بالصوت الفرنسي «a»، والفتحة الممالة إمالة خفيفة نحو الكسر، واصطلح عليها علماء الأصوات بالصوت الفرنسي «ê» كما اصطلح علماء الأصوات على الفتحة الممالة إمالة شديدة على رمز الصوت الفرنسي «é».

كما أنّ صوت الضمّة في اللغة العربية ليس موحّدا، فصوت الضمّ في: «قُل» ليس هو صوت الضم في: «مَجُهول» ففى الأولى يناسبه الصوت الفرنسي «o» وفي الثانية الصوت الألماني «u» أو الفرنسي «ou» وهذا مما يدعوا إلى التفكير بوضع رموز جديدة للصوت العربي.

فالمجامع اللغويّة العربيّة مدعوّة إلى وضع حدود وضوابط جديدة لأصوات اللين القصيرة والطويلة الفرعية.

ومن النتائج التي تذكر هنا، أن ما بحثه المحدثون في ضوء المختبرات، والإمكانات العلميّة الحديثة ومساعدة العلوم الحديثة ونتاجها الآلي، ومشاركة الآلة المتقدّمة، لم يعدُ ما كتبه علماء اللغة القدامى، وبدون مشاركة المختبرات والآلة، علما بأنهم عاشوا في عصور متقدّمة، مثل: الخليل وسيبويه وابن عصفور وغيرهم، فكان عملهم اللغوي ونتاجهم في توصيف الأصوات اللغويّة ومخارجها، يعتمد على ذوقهم العربي، وصفاء قريحتهم اللغوية وحسّهم الوجداني، وهذا النتاج الجيّد، وصل إلينا مسطّرا في كتبهم الضخمة، وسعدنا بها حيث يسّرت لنا طريق البحث، فكان مثل: (الكتاب) و(المقتضب) و (سرّصناعة الإعراب) و(الخصائص) و(شروح المفصل) وغيرها أن حملت إلينا علما جمّاً، فما بحث المحدثون بمسألة إلا وتكلم القدامى فيها، وحفلت دراستي هذه بمثل هذه النصوص.

وواجبنا لإتقان خروج الصوت من مخرجه الصحيح، وإعطاء الصوت حقّه من الصفات: التدرب أمام أساتذة الأصوات والتجويد ليحسن الناطق أداء الصوت سليما.

والفقرة السابقة ترتكز على تلقي العلوم والأخذ مباشرة من العلماء وهو ما يسمّى بالمشافهة، ومعرفة تطبيق التجويد والأصوات يستفاد بالأخذ من أفواه القرّاء المتقنين لمخارج الحروف وصفاتها، فلا يسلم المرء من الخطأ حينما يفقد هذا الجانب المهمّ، ويبرز قصوره في كثير من المسائل ولا يعتدّ بعلمه عند العلماء، وفي هذا المعنى قال الشاعر:

من يأخُذِ العلمَ عن شيخٍ مشافَهَةً يكنْ عن الزيفِ والتصحيفِ في حَرَمِ
ومن يكن آخذاً للعلمِ عن صُحُفٍ فعِلْمُهُ عند أهل العلم كالعَدَمِ[1]

١- من مقدمّة مدقّق تصحيفات المحدثين للعسكري. ص ٢٤.

وبعد:

فإني أترك القارىء الكريم بعد أن فرغ من قراءة هذا المجهود وأنا أقول له: لقد استحوذت دراسة الأصـوات على اهتمامي وأخذت لبّي ووقتي، وهذا العمل ثمرة طيّبة -إن شاء الله تعالى- بعد طول دراسة وتدقيق.

والله ولي التوفيق،،،

د. عائشة يكن
نائب الرئيس للشؤون الإدارية في جامعة الجنان

دور الجامعات في التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة التحديات والإمكانيات في ضوء معايير الجودة

مقدّمة: حق التعلّم في الشريعة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ...﴾[1] صدق الله العظيم.

إنه المشهد الأكثر تعبيراً عن أسس التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة التي نصّت عليها الشريعة الإسلامية وهو الموقف الأكثر وضوحاً وقوة في تثبيت إنسانية الإنسان، أي إنسان مهما كان شأنه، وتأكيد حقه في التعلّم. حيث تحكي هذه الآيات معاتبة الله لرسوله صلى الله عليه وسلّم، عندما عبس في وجه عبد الله بن أم مكتوم، وهو ضرير أتاه طالباً العلم وأعرض عنه ليتوجه إلى علية القوم. فجاءت هذه الآيات الكريمات، لتؤكد على حق ذوي الاحتياجات الخاصة في التعلّم، وعدم جواز تفضيل تعليم الأصحاء عليهم في أي حال من الأحوال، أو توسّم الخير العظيم فيهم. إن هذا الموقف وحده يشكل نموذجاً إنسانياً تربوياً يحتذى به، إذ أنه يقر مبدأ تكافؤ الفرص لا بل يأمر بذلك، ويجعل من هذه القصة أمثولة وعبرة.

من هم ذوو الاحتياجات الخاصة؟

هم فئة موجودة في كل مجتمع، يختلفون، نتيجة لعوامل وراثية أو بيئية أو غيرها، من حيث

١- سورة عبس: ١-١٢

القـدرات الحركيـة أو العقلية أو الحسية، أو من حيث الخصائص السلوكية أو اللغوية أو التعليمية، ممـا يحتّم تقديم خدمات خاصة لهـم لمساعدتهم على تطوير قدراتهم الـى أقصى درجة تسمح بهـا إمكاناتهـم. ويمثل ذوو الاحتياجات الخاصـة ١٠٪ من سكان العالم، وترتفـع هذه النسبة في العالم العربي إلى ١٢٪ ، بناء للإحصاءات الصادرة عن الأمم المتحدة والمنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم.

ويعنـي مفهـوم ذوي الاحتياجات الخاصـة أن في المجتمع أفـراداً لهم احتياجـات خاصة تختلف عـن احتياجات باقي أفراد المجتمـع، وتتمثل هذه الاحتياجات في برامـج أو خدمات أو أجهزة أو تعديـلات. وتحـدِّد طبيعة هذه الاحتياجات الخصائص التي يتسـم بها كل فرد منهم. وذلك يعني أنها تضمّ المعوقين، الموهوبين، المرضى، الحوامل، المسنين وغيرهم. وما يهمنا في هذا السياق هو فئة المعوّقين التي تشمل كل من لديه قصور وظيفي أو حسي أو ذهني.

تصنيف الاعاقات

تختلـف الآراء حـول تصنيف الإعاقـات وأنواعها، حيث يعتمـد بعضها تصنيفاً عامـاً لا يميّز بين درجـات الإعاقـة أو تعدّدها لدى الفرد الواحـد، بينما يعتمد بعضها الآخـر تصنيفاً أكثر تفصيلاً وتحديداً. ونكتفي هنا بالتصنيف العام الذي يعتمد سبعة أنواع من الإعاقة، وهي[1]:

١. الإعاقة العقلية.

٢. الإعاقة البصرية.

٣. الإعاقة السمعية.

٤. صعوبات التعلّم.

٥. الإضطرابات السلوكية والإنفعالية.

٦. اضطرابات التواصل.

٧. الإعاقة الحركية.

تصنيف الاحتياجات الخاصة

إن تصنيـف الإعاقات ليس هدفاً بحدّ ذاته، بل يقصد به معرفة الاحتياجات المناسبة، والمطلوبة لسـدّ الفجـوات ، وإزالة العوائـق التي تمنع الفرد مـن الحصول على فرص متكافئـة. إن تصنيف الاحتياجات الخاصة قد يختلف تماماً عن تصنيف الإعاقات؛ حيث نجد عدة أصناف من الإعاقات تشتـرك في نفـس الاحتياجات، كما نرى أحياناً إحتياجات متعدّدة لأحـد أصناف الإعاقة. ويمكن

١- مقدمة في التربية الخاصة. د. تيسير مفلح كوافحة وأ. عمر فواز عبد العزيز ، ، دار المسيرة، ٢٠١٠

تحديـد خمـس فئات من الاحتياجـات الأساسية التي تتوزّع عليها ، وتتشـارك فيها أنواع الإعاقات المختلفة[1]:

الفئة	أنواع الاحتياجات
أ	احتياجات التعلم والمعرفة
ب	احتياجات سلوكية وعاطفية واجتماعية
ج	احتياجات التواصل والتفاعل
د	احتياجات حسية و/أو جسدية
فئات أخرى	احتياجات أخرى

أهم الاتفاقيات والإعلانات الدولية

شهد القرن العشرون تطوراً كبيراً في الاهتمام بالمعوّقين على المستوى العالمي، تمثل في العديد مـن المواثيق التي صدرت عن هيئة الأمم المتحـدة، كان من أبرزها إعلان عام ١٩٨١ عاماً دولياً للمعوّقيـن. وقـد نشطت الـدول إبان ذلك العام في تطويـر برامجها في هذا المجـال. لذا أعلنت الأمم المتحدة عقد الثمانينيات عقداً دولياً للمعوقين. «كما تزايد الاهتمام في السنوات الأخيرة بالتعليم الجامع من حيث مفهومه وممارساته، وثمة اتجاه متزايد على الصعيد الدولي لفهم العبارة في إطار أوسع، واعتبار التعليم الجامع إصلاحاً يدعم التنوع ويحتفي به بين جميع الدارسين»[2].

وقد ورد الحق بالتعليم بعدد من المواثيق الحقوقية، نذكر منها:

١. الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (١٩٤٨): المادة ٢٦: حق الإنسان في التعليم.

٢. العهد الدولي للحقوق الإقتصادية والاجتماعية والثقافية (١٩٦٦): مادة ١٣.

٣. إتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل (١٩٨٩) المادة٢٣: حقوق الأطفال المعوقين.

٤. إعلان سالامانكا وإطار العمل (١٩٩٤): التعليم للجميع .

٥. إطار عمل داكار، التعليم للجميع: الوفاء بالتزاماتنا الجماعية (٢٠٠٠).

٦. العقد العربي للمعوقين ٢٠٠٣-٢٠١٢.

٧. إتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة والبرتوكول الاختياري (٢٠٠٦) المادة ٢٤ : التعليم.

٨. إعلان لشبونة: آراء الشباب بشأن التعليم الجامع (٢٠٠٧).

وفـي دراسة متأنية لتلك المواثيـق والاتفاقيات ، نجد أن المصطلحات التـي تستخدم للتعبير عن

١- إدارة العملية التعليمية لذوي الاحتياجات الخاصة. سواني جيبسون، سونيا بلاندفورد. ص ٤١

2- What is a Culture of Inclusion? School of Education and Human Development. Kugelmass. Binghamton University, USA, 2004

حقـوق ذوي الاحتياجات الخاصـة تتبدّل وتتطوّر من اتفاقية لأخرى ومـن إعلان لآخر في محاولة مستمرة للحدّ من أي مدلول سلبي ينتقص من كرامة الإنسان كإنسان، أو يقلّل من إمكانياته. فمن المعاقيـن إلى ذوي الاحتياجات الخاصة،ومن المعوّقيـن الى أصحاب الفروق الفردية. ومن الحق في التعليم والحق في الرعاية الخاصة، إلى التعليم الإدماجي، ثم التعليم للجميع، وتكافؤ الفرص، وصولاً الى التمكين فالتعليم الجامع.

مفهوم التعليم الجامع - نظرية الدمج في التعليم

يرتكـز تطوير تعليـم ذوي الإعاقة خلال العقديـن الأخيرين على نظرية الدمج فـي التعليم، وهي النظريـة التي بدأ تطبيقهـا بالولايات المتحـدة الأمريكية بعهد «جون كنيـدي». ١٩٧٥ . وبسرعة كبيـرة تبنى المدافعون عن حقوق ذوي الإعاقـة تلك النظرية بشكل كامل حتى أصبح الحديث عن تعليـم ذوي الإعاقة يعني دمجهم بالنظام التعليمي، وبمعنى أكثر دقة هو التعليم للجميع. والهدف العـام للتعليم الجامع هو دعـم التعليم للجميع مع التركيز الخاص علـى إزالة الحواجز التي تعوق المشاركة والتعليم[١].

ويهمنـا أن نسلّط الضوء علـى آراء الشباب المعوّقين أنفسهم، الذين شاركـوا في إعلان لشبونة، ولخّصوا الاحتياجات والتحديات التي يواجهونها بما يلي:

«تختلف الاحتياجات الخاصة باختلاف الأشخاص. هناك حواجز مختلفة في التعليم وفي المجتمع تواجه ذوي الاحتياجات الخاصة المتنوعة، فمثلاً[٢] :

- بعضنا بحاجة إلى مزيد من الوقت أثناء الامتحانات والدروس.
- أحياناً نكون بحاجة إلى مساعدين شخصيين داخل قاعات التدريس.
- كما أننا بحاجة لأن نحصل على المواد الدراسية بشكل معدّل في نفس الوقت مع زملائنا.
- حريـة اختيـار مواضيع الدراسة محدودة في بعض الأحيان بسبب عدم إمكانية الوصول إلى المبانـي، أو عـدم توفـر التكنولوجيا اللازمة، أو عـدم إمكانية الحصول على المـواد المطلوبة (معدات،كتب).
- إننا بحاجة إلى مواضيع ومهارات ذات معنى بالنسبة لنا، ومن أجل حياتنا المستقبلية.
- إننـا بحاجـة إلى مشورة جيدة خلال جميع مراحل التعليم فيما يتعلق بما هو ممكن لنا فعله في المستقبل بناءً لاحتياجاتنا الفردية.

١- حقّ ذوي الإعاقة في التعليم. غريب سليمان غريب، أمل جرجس شحاتة، هند نظير، مصر ٢٠١٠

2- Lisbon Declaration-Young people's Views on Inclusive Education, 2007

- لا يـزال هنـاك نقص في المعرفة في ما يخصّ الإعاقة. فالمدرسون والطلاب الآخرون وبعض الآبـاء والأمهـات أحيانـاً يكون موقفهم سلبيـا تجاهنا. وينبغـي أن يعرف غيـر المعوقين أنهم يستطيعون الطلب من الشخص المعوّق نفسه عن حاجته للمساعدة أم لا».

وبالرغـم مـن توقيع العديد من الدول العربية على معظم هـذه المواثيق، فإننا نجد أن المؤتمرات والنـدوات وورش العمـل التي تجـري في العالـم العربي، لا تـزال حتى هذه اللحظـة تتحدث عن الحقـوق، وتطالـب بسن التشريعات التي تكفـل تلك الحقوق، وتوصي باعتمـاد معايير ومواصفات محـدّدة وواضحة لإجـراءات التعليم الجامع، كما تدعو لإيجاد سياسـات وإعداد خطط في مجال التعليم الدامج، ووضع دليل توجيهي يتضمن كافة الشروط والمواصفات والاجراءات. مما يعني أن الطريق ما زال طويلاً وأن المعايير والمواصفات والإجراءات[1] ما زالت قيد التطوير وأن الحقوق ما زالت مغبونة أو غير معترف بها وأن الثقافة المتعلقة بالفروق الفردية والاحتياجات الخاصة ما زالت ضعيفة أو غائبة.

دور الجامعة إزاء التعليم الجامع

للجامعـة دور أساسي فـي خدمة المجتمع وإصلاحـه، والنهوض به، ورفع مستـوى أبنائه الثقافي والعلمي والمهني، ليكونوا فاعلين ومنتجين في شتى الميادين. فالجامعة تعلّم وتربي وتثقّف وتؤهل وترعـى وتصلـح وتعالج. فهي مؤسسة ذات رسالـة تربوية متكاملة تسعى بمـا لديها من امكانيات وطاقـات، إلى إعداد الأجيال وتهيئتهم ليتحملـوا مسؤولياتهم ، ويؤدوا دورهم المنوط بهم بحسب قدراتهم، والفرص المتاحة لهم.

مـن هنا ينبع دورها في تأمين فرص التعليم لأكبـر شريحة ممكنة، بما في ذلك ذوي الاحتياجات الخاصـة ، وفـق المعايير المطلوبة والممكنـة، واستيعاب تلك الشريحـة وإعطائها الفرصة لتكون فاعلة في المجتمع لا عالة عليه.

معايير الجودة: ISO 26000 Social Responsibility

تتضمـن رسالـة كل جامعـة مـا مفـاده تحمّـل مسؤوليتهـا تجـاه المجتمـع ، والتزامهـا بخدمته وخدمـة أبنائـه، وهـذا ما يتطابـق ويتوافق مـع معايير الجـودة الحديثـة ISO 26000 Social Responsibility التي تعنى بتوجيه المؤسسات نحو مسؤولياتها الاجتماعية، من خلال الالتزام بمجموعة من المبادئ التي تشكّل الخطوط التوجيهية لتلك المؤسسات.

وتعتبر تلك المعايير أن المؤسسات في جميع أنحاء العالم، وأصحاب المصلحة، أصبحوا أكثر وعيا حـول ضـرورة وفائدة تبني سلوك مسؤول إزاء المجتمع، حيث يهدف هذا السلوك إلى الإسهام في

١- البيان الختامي لورشة العمل الاقليمية حول تطوير السياسات التربوية من اجل إدماج الأطفال ذوي الإعاقة: التوعية بمنهجيات التربية المدمجة، بيروت، حزيران ٢٠١٠

التنمية المستدامة للمجتمع. وتشكل حقوق الإنسان أحد المبادئ الأساسية للمسؤولية الاجتماعية بحسب معايير الجودة ٢٦٠٠٠، حيث ورد في الفقرات التالية:

٦,٣,١,٢ حقوق الإنسان والمسؤولية الاجتماعية

إن من واجب الدول ومسؤوليتها، احترام وحماية حقوق الإنسان والوفاء بها وتحقيقها. والمؤسسات لديها أيضاً مسؤولية احترام حقوق الإنسان، ضمن مجال نفوذها وتأثيرها. فالاعتراف بحقوق الإنسان واحترامه يعتبر على نطاق واسع شرطاً أساسياً لسيادة القانون ولمفاهيم العدالة الاجتماعية والإنصاف والدعامة الأساسية للمؤسسات الأساسية في المجتمع كالنظام القضائي.

٦,٣,٧ قضية حقوق الإنسان ٥: التمييز والفئات الضعيفة

كثيراً ما يكون الأشخاص ذوي الإعاقة عرضة للتمييز، جزئيا بسبب التصورات الخاطئة حول مهاراتهم وقدراتهم. لذا ينبغي أن تسهم المؤسسات في ضمان منح ذوي الإعاقة، ذكوراً وإناثاً، الكرامة والاعتماد على الذات والمشاركة الكاملة في المجتمع. كما ينبغي عليها احترام مبدأ عدم التمييز. ويتعيّن على المؤسسات أن تأخذ بعين الاعتبار توفير إمكانية الوصول إلى مرافقها المختلفة[١].

إن السعي لتحقيق ما ورد في هذه المعايير من خطوط توجيهية عريضة، بشأن تمكين ذوي الإعاقة من المشاركة الكاملة في المجتمع، يتطلب جهداً كبيراً من قبل الجامعة، والتزاماً جدياً يتمثّل بتوفير طاقات متخصصة للتأكد من سلامة التطبيق، وتحقيق الغاية المنشودة. «إن التعليم الجامع يحتاج الى مرونة في نظام التعليم بما يلبي الحاجات المتنوعة والمعقّدة في أغلب الأحيان لكل طالب»[٢]. وتشكّل هذه الحاجات، بلا شك، تحدّيات كبيرة أمام الجامعة ،لا يمكن تجاوزها، إلا من خلال خطة متكاملة تجعل من الجامعة بيئة ملائمة لذوي الاحتياجات الخاصة.

نحو بيئة جامعية ملائمة لذوي الاحتياجات الخاصة

عندما تدرك الجامعة وتعي كافة مسؤولياتها تجاه المجتمع بكل شرائحه وأطيافه، وحين تتشكل لديها القناعة الكاملة والذاتية بحق كل إنسان بفرصة تعليم متكافئة، وعندما تتبنى تأمين تلك الفرصة لكل طالب مهما تعدّدت احتياجاته، عندئذ يمكننا أن نتوقع نجاحاً وتميّزاً في برامج التعليم الجامع. لأن توفّر المعدات والمختبرات المتخصصة والترتيبات اللوجستية لا تكفي لضمان جودة التعليم ولا جودة الخدمات لذوي الاحتياجات الخاصة. فهذه مجرّد أدوات ووسائل لا تؤدي مرادها إلا ضمن منظومة متكاملة، تشترك فيها كل الكوادر والوحدات وتتعاون من أجل تقديم أفضل خدمة ممكنة ضمن معايير تأخذ بعين الاعتبار احتياجات الطلاب ذوي الاحتياجات

1- ISO 26000: Social responsibility, International Organization for Standardization, Geneva, 2009

2- Key Principles for promoting Quality in Inclusive Education: Recommendations for Policy makers, European Agency for Development in Special Needs Education, 2009

الخاصة، ومتطلبات جودة التعليم العالي.

إن خلق بيئة جامعية ملائمة لذوي الاحتياجات الخاصة يتوفّر فيها التعليم الجامع، يتطلّب مجموعة من الخطوات نلخصها بما يلي:

١. إيمانـاً قويـاً من قبـل الإدارة العليا بحـق ذوي الاحتياجات الخاصة في التعليـم وقراراً حاسماً بتبني هذا التوجه.

٢. إدراج هذا القرار ضمن رسالة الجامعة ورؤيتها المستقبلية وأهدافها واستراتيجياتها.

٣. ترجمة الأهداف الى سياسة وأنظمة وإجراءات تحدّد الإطار العام للتعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصـة ، من قبل كل الفئات وتحـدد مسؤوليات تلك الفئات وحقوقها وواجباتها كي تنتظم عملية الدمج بما يضمن جودة التعليم.

٤. وضـع جميـع الإمكانيات وتذليل كل الصعوبـات ، وتأمين الميزانيات التـي تضمن تحقيق ذلك القرار.

٥. نشـر ثقافة الاختلاف، وكل ما يرتبط بتلك الثقافة من تغيير للأحكام المسبقة ، وعدم التمييز علـى أساس الإعاقة، واحترام الفـروق الفردية، والاعتراف بالقـدرات والإمكانيات. حيث يتمّ إدراج تلك الثقافة ضمن أنشطة الجامعة المختلفة، ومطبوعاتها واعلاناتها.

٦. ترجمـة هذه الثقافة من خـلال المواقف والممارسات كي تصبح مبـدأً متأصلاً وليس دخيلاً ، أو ملحقـاً إضافيـاً يبقى غريباً عن جسم الجامعة. فعندما تتغلغل هـذه الثقافة في كل شرايين المؤسسة وعروقها، تصبح منظومة الجودة أكثر تكاملاً وشمولية. كما تعتبر عملية الدمج بحدّ ذاتها مساعداً أساسياً على نشر الثقافة وتسريعها.

٧. تدريب العاملين وتأهيلهم كجزء أساسي وضامن لعملية الدمج؛ حيث يشمل التدريب كل الفئات العاملة بشكل عام، والمعنيين بتنفيذ الإجراءات المعتمدة بشكل خاص.

٨. الاستعانـة بأخصائييـن في مجال الاحتياجـات الخاصة وعلم النفس وعلـم الاجتماع والتربية والصحـة وغيرها، بمـا يعزّز عملية الدمج. إضافة الى توفيـر الأخصائيين التقنيين لمساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة في استخدام الوسائل التقنية الحديثة التي تسهّل عملية التعلّم.

٩. توفيـر الأدوات والمعـدات والترتيبات اللوجستية والتدابير اللازمـة؛ ويشمل ذلك كل التقنيات التـي يمكنهـا أن تساهم في دعم مسيـرة الطالب الأكاديمية وتسهيل عمليـة التعلّم كاستخدام نظـام برايـل ، ولغة الإشـارة، وطرق الاتصال البديلـة ،وكل الأساليب والوسائـل الحديثة التي ينصح الأخصائيون باستخدامها، ويمكن للجامعة أن توفرها.

١٠. اعتمـاد التقييـم المستمر لعملية الدمـج ونتائجهـا وانعكاساتها ، كمحـرك أساسي للتطوير

والتحسين. ويشارك في التقييم جميع الفئات المعنية وعلى رأسهم المستفيدون الأساسيون من عملية الدمج؛ أي ذوو الاحتياجات الخاصة وفق مبدأ «لا شيء يخصنا من دوننا» وكل من يشاركهم في إنجاح تلك العملية.

١١. إعادة تصحيح الاجراءات ،وصياغة السياسات الى أن ترقى جميع الخدمات للمستوى المطلوب وتحقق الرضى التام لدى المعنيين.

وضع ذوي الاحتياجات الخاصة في لبنان

لبنان، كسواه من البلدان العربية، يفتقر للإحصاءات الدقيقة في ما يتعلّق بذوي الإحتياجات الخاصة ، ولكن تقارير الأمم المتحدة تؤكد على أن نسبة ذوي الإحتياجات الخاصة لا تقل عن ١٢٪. أما مصادر وزارة الشؤون الاجتماعية فإحصاءاتها تشمل فقط حاملي بطاقة المعوّق الشخصية ، ضمن الإعاقات المدرجة في التصنيفات التي اعتمدتها وزارة الشؤون الاجتماعية.

وتفيد الوزارة بأن عدد حاملي بطاقة المعوّق الشخصية حتى تاريخ ٠١/٠٣/٢٠١١ يبلغ ٧٤١١٥ شخصاً. أما الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٣٥ سنة حتى تاريخ ٢٠١١/٣/١ فيصل إلى ١٦٣١٥ شخصاً، وهم يمثّلون ٢٢٪ من حاملي بطاقة المعوّق. ويتوزّعون بحسب نوع إعاقتهم كما يلي[١]:

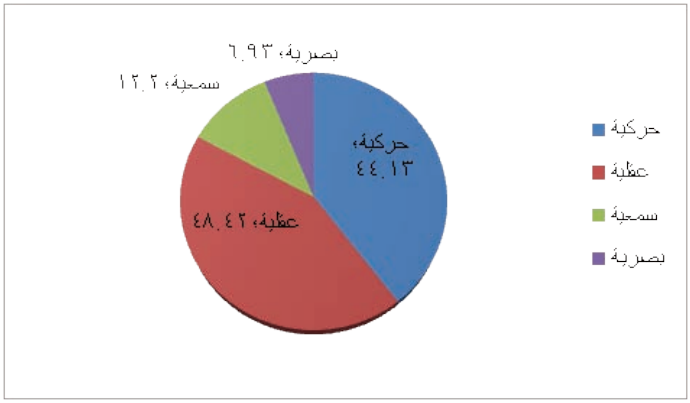

وتجدر الإشارة هنا، أن هذه الإحصاءات لا تشمل الذين لديهم صعوبات تعلّم ولا الذين يعانون من اضطرابات سلوكية وانفعالية أو اضطرابات تواصل. مما يعني أن النسبة الحقيقية لذوي الاحتياجات الخاصة تتجاوز بكثير هذه الأرقام. وإذا استثنينا ذوي الإعاقة العقلية، فإن ٦٣,٢٦ ٪ بمقدورهم إذا توفرت لهم الاحتياجات الخاصة ، الحصول على فرص متكافئة في التعليم والعمل. ولكن توزّعهم حسب المستوى التعليمي يعكس غير ذلك تماماً، حيث نجد أن ١,٦٣ ٪ فقط اجتازوا المرحلة الثانوية و١,٥٧ ٪ فقط تمكنوا من الحصول على شهادة جامعية كما هو مبيّن[٢].

١- برنامج تأمين حقوق المعوقين، وزارة الشؤون الإجتماعية، الجمهورية اللبنانية، مارس ٢٠١١

٢- المرجع السابق

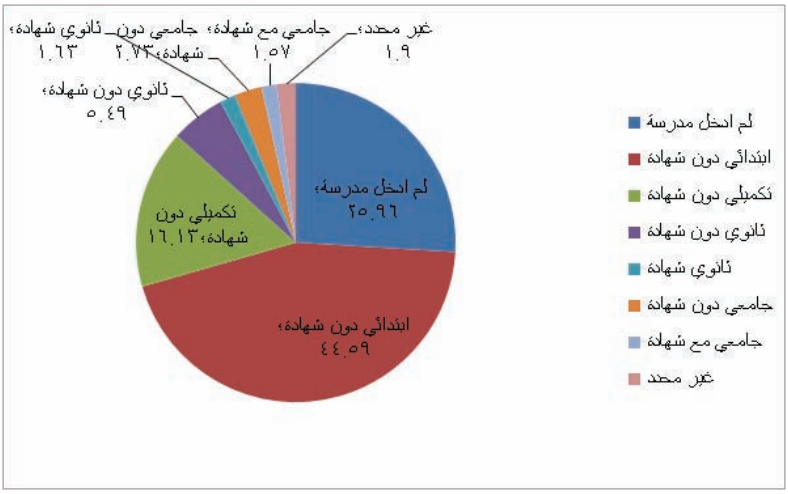

تـدلّ هذه الإحصاءات أن ١٧ , ٩٢ ٪ من ذوي الاحتياجات الخاصة ،لم يتجاوزوا المرحلة الثانوية، وبالتالـي فإن مستواهم التعليمـي لا يسمح لهم بتأمين مستقبل واعد. ويتـوزّع أصحاب الشهادات الجامعية من ذوي الاحتياجات الخاصة الذين تبلغ نسبتهم ١ , ٥٧ ٪ على عدة كليات واختصاصات كما هو مبيّن في الرسم البياني أدناه.

توزّع المعوقين بحسب الشهادة الجامعية[1]:

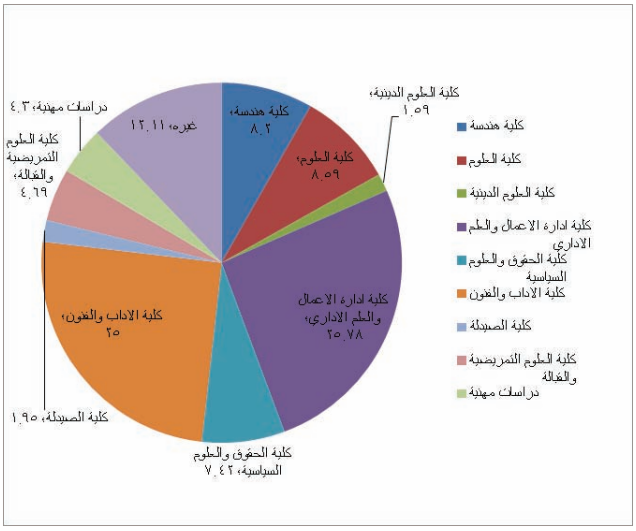

ويظهـر البيـان أن أكثـر من ٦٠٪ مـن ذوي الاحتياجات الخاصـة يلتحقون بكليـات نظرية أو غير

١- المرجع السابق

تطبيقية، حيث تحتل كلية إدارة الأعمال وكلية الآداب والفنون المراكز الأولى.

وتبلـغ نسبة ذوي الاحتياجات الخاصة الذيـن يعملون بمهن مختلفة وتتراوح أعمارهم بين ١٨ و٣٥ سنـة، أقـل من ١٠٪. مما يعني أن أكثر من ٩٠ ٪ من الشباب والشابات بين ١٨ و٣٥ سنة هم خارج سوق العمل.

توزّع المعوّقين بحسب المهن[١]:

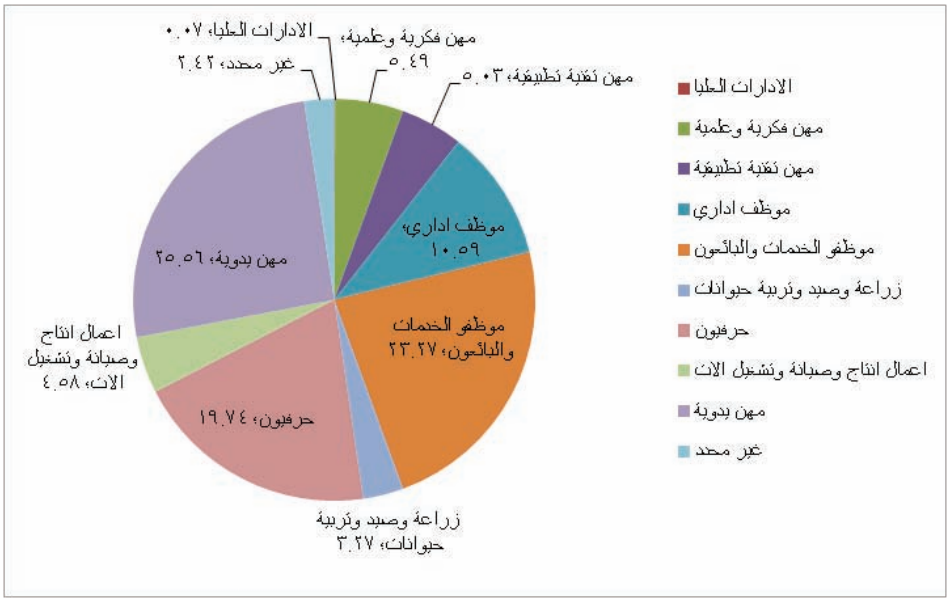

وتحتّـل المهن اليدوية والحرفية ووظائف الخدمات والبيـع المراتب الأولى لدى العاملين من ذوي الاحتياجات الخاصة ويأتي ذلك كنتيجة حتمية لعدم التحصيل العلمي العالي.

إن هـذه الإحصـاءات تبيّن حجم الهوة بين ما تنص عليه الإتفاقيـات والمواثيق الدولية من جهة، وبين الواقع التعليمي والمهني لشريحة لا يستهان بها من المجتمع اللبناني من جهة أخرى.

وفي دراسة لواقع الجامعات اللبنانية[٢]، والخدمات التي توفرها لذوي الاحتياجات الخاصة، نجد أن أكثـر من ٩٠٪ مـن الجامعات لا توفّر أكثر من ترتيبات لوجستيـة بالحد الأدنى لذوي الكراسي المتحركـة وللمكفوفيـن. وفـي جولة على مواقـع الجامعـات الالكترونية اللبنانيـة والعربية ، نجد غيابـا واضحا لموضوع المعوّقين وإجـراءات قبولهم ، والخدمات المتوفـرة لهم باستثناء قلة من

١- برنامج تأمين حقوق المعوقين، وزارة الشؤون الإجتماعية، الجمهورية اللبنانية، مارس ٢٠١١

٢- من خلال استمارة تمّ توزيعها على ٤٤ جامعة في لبنان ومن خلال دراسة أجرتها المنظمة العربية للمعوقين ضمّت ٢٠٠ مؤسسة رسمية وخاصة في لبنان

الجامعات التي تتوفر لديها وحدات لذوي الاحتياجات الخاصة ، حيث نجد أيضا أن معظمها يحدّد الاختصاصات التي يسمح لذوي الاحتياجات الخاصة بالالتحاق بها.

جامعة الجنان: نموذج قيد الإنشاء

في إطار سعيها المتواصل والجاد نحو خدمة المجتمع اللبناني بكل شرائحه، وإيماناً منها بضرورة توفير فرص تعليم، وفرص عمل متكافئة لذوي الاحتياجات الخاصة، وإدراكاً منها بمدى حاجة تلك الشريحة للمزيد من الرعاية وتوفر الفرص في لبنان، أنشأت جامعة الجنان وحدة الاحتياجات الخاصة، للإشراف على تطبيق سياسة الجامعة في التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة؛ وهي تضم أساتذة من الكليات والأقسام التالية: كلية التربية، قسم حقوق الانسان، كلية الصحة العامة، قسم شؤون الطلاب، وقسم الأنشطة.

الرسالة

أنشئت هذه الوحدة لضمان حصول ذوي الاحتياجات الخاصة، طلاباً وأساتذة وموظفين، على فرص متكافئة في التعلّم والتعليم والعمل.

الرؤية

تتطلّع الجامعة إلى أن تصبح نموذجاً في مجال التعليم والعمل الدامج ، وذلك من خلال توفير بيئة ملائمة جسدياً ونفسياً لذوي الاحتياجات الخاصة في كل مرافق الجامعة ، وأنشطتها الصفية واللاصفية.

الأهداف

تسعى الجامعة إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. دمج ذوي الاحتياجات الخاصة في مجال التعليم والعمل.

٢. تقديم أفضل الخدمات المادية والدعم المعنوي لذوي الاحتياجات الخاصة.

٣. إشراك ذوي الاحتياجات الخاصة في الأنشطة المختلفة.

٤. ادخال الثقافة المرتبطة بالإعاقة في المناهج الدراسية في الجامعة.

٥. انشاء شبكة خاصة بالتعليم الدامج مع الجامعات في الدول العربية.

سياسة الجامعة في التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة

انطلاقاً من رسالة الجامعة وسياستها العامة، تلتزم الجامعة في تعاملها مع ذوي الاحتياجات الخاصة المبادئ التالية:

- التعامل مع الجميع على أساس الاحترام المتبادل بغض النظر عن احتياجاته الخاصة.

- عدم استبعاد اي طالب أو أستاذ أو موظف من التعلّم أو التعليم أو العمل على أساس الإعاقة.
- الالتزام بمعايير الصحة والأمن والسلامة.
- الالتزام بالمعاهدات الدولية المتعلقة بذوي الاحتياجات الخاصة.
- عدم مخالفة الأنظمة والقوانين اللبنانية.
- الإلتزام بلوائح التعليم العالي اللبناني.
- السعي نحو تطبيق أنظمة الجودة العالمية بما يتناسب ورسالة الجامعة.
- السعي نحو التحسين المستمر والتطوير الدائم في الخدمات المتوفرة.
- احترام البيئة والمحافظة على الموارد في جميع الممارسات والاجراءات.
- الإلتزام بأخلاقيات العمل.

الخدمات التي يجب أن توفرها وحدة الاحتياجات الخاصة:

يجب على الجامعة أن توفّر كل الخدمات التي من شأنها تمكين ذوي الاحتياجات الخاصة من ممارسة حقهم الطبيعي في التعلّم والتعليم والعمل وتضم هذه الخدمات التنسيق والمتابعة وتقديم الدعم المعنوي والمادي وتوفير التجهيزات التقنية، بالإضافة الى الخدمات الفردية المتنوعة.

وتشمل خدمات التنسيق والمتابعة ما يلي:

- توثيق متطلبات الطالب الفردية وتحديد احتياجاته الخاصة.
- التنسيق مع المرشد الأكاديمي لوضع برنامج أكاديمي خاص لكل طالب (تخفيض عدد الوحدات، اختيار مواد اكثر ملاءمة لوضع الطالب، الخ).
- تعريف الطالب بكل الخدمات المتوفرة.
- التنسيق بين الطالب ودوائر القبول والتسجيل.
- التنسيق بين الطالب والكلية.
- متابعة مسار الطالب الأكاديمي (تعثر أكاديمي).
- التنسيق بين الطالب وأماكن التدريب الخارجية.

أما على صعيد الدعم المعنوي، فتسعى الجامعة، من خلال ورشات العمل والتدريب والجلسات الاستشارية وغيرها، الى:

- تعزيز ثقة ذوي الاحتياجات الخاصة بأنفسهم وبإمكانياتهم.

- تشجيعهم على الاعتماد على أنفسهم.
- تشجيعهم على الانخراط الكامل في الحياة الجامعية: المشاركة في الأنشطة الثقافية والرياضية وغيرها، المشاركة في الأندية والمجالس المختلفة.

وعلى صعيد الدعم المادي والتجهيزات التقنية، يجب أن توفّر الجامعة ما يلي:

- منح دراسية لذوي الاحتياجات الخاصة لتشجيعهم على متابعة الدراسة .
- استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لضمان حصول الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة على المعلومات والمعرفة.
- تأهيل المداخل والممرات والغرف الدراسية والقاعات المختلفة والمختبرات ، بما يتناسب مع الاحتياجات الخاصة.
- تأهيل ممرات المكتبة، ورفوف الكتب، والطاولات.
- توفير غرفة خاصة في المكتبة للأشخاص المصابين بضعف في البصر، أو في السمع ، أو الذين يحتاجون للمساعدة في القراءة.
- إنشاء مكتبة شاملة بلغة برايل.
- تزويد المباني بأجهزة إنذار، وتنبيه ضوئي وسمعي في حالات الخطر، وأشرطة دليلية نحو مخارج الطوارئ وأماكن الإخلاء.
- تزويد المرافق الصحية بمراحيض خاصة لذوي الاحتياجات الخاصة لكل من الجنسين ، مع المتكآت الضرورية وأجهزة طلب المساعدة.
- توفير مشرب واحد على الأقل في كل كلية لذوي الاحتياجات الخاصة، ويجب أن لا يحول أي عائق دون الوصول إلى هذه المشارب بشكل جانبي من قبل مستعملي الكراسي المتحركة.
- تخصيص مواقف لسيارات ذوي الاحتياجات الخاصة قريبة لكل مبنى بنسبة موقف واحد لكل خمسين طالباً.
- توفير سكن جامعي وفق معايير ومتطلبات ذوي الاحتياجات الخاصة.
- الالتزام بمعايير ومتطلبات البناء الخاص لذوي الاحتياجات الخاصة، عند إنشاء أي مبنى جديد، ودراسة إمكانية تعديل الأبنية القائمة لتتوافق مع هذه المتطلبات.

كماتوفّر الجامعة عند الحاجة خدمات فردية مختلفة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- دروساً إضافية من قبل طلاب أو أساتذة.

- محاضرات مدوّنة أو مسجّلة.
- مساعدين شخصيين داخل القاعات وأثناء الامتحانات.
- قرّاء وكتّاب أثناء الامتحانات للمكفوفين أو لمن لديهم ضعف نظر.
- سيارات خاصة لنقل الطلاب من مبنى لآخر.

التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة في ظل معايير جودة التعليم

معايير ممارسة الحق في التعليم

هنـاك معايير عديدة لقياس التعليم منها التربوي، ومنها الخاص بجودة العملية التعليمية، وتوجد نظريات عديدة لمعايير التعليم الجيد، تتفق في الجوهر وتختلف في التفصيلات وأدوات القياس، ويمكـن الاعتماد على المعايير الحقوقية الواردة بالتعليق العام رقم ١٣ (الحق في التعليم ١٩٩٩) الصادر عن اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، لقياس مدى ممارسة حق التعليم وهي[١] :

١. التوفّر: والمقصود هو توفر البنية المادية اللازمة لممارسة التعليم (مباني – مرافق صحية – مياه شرب – مواد تدريس) كذلك توفر الكوادر البشرية من المعلمين المدربين.

٢. إمكانية الالتحاق «الإتاحة»: ويعني تيسير الالتحاق بالمدارس للجميع دون تمييز لأي سبب.

٣. إمكانيـة القبول «الملاءمـة»: والمقصود أن يكـون التعليم من حيث الشـكل والمضمون مقبولاً ووثيق الصلة بالاحتياجات وملائماً من الناحية الثقافية وخاضعا لمعايير الجودة.

٤. التكيّف: والمقصود هنا تمتع النظام التعليمي والسياسات التعليمية بالمرونة اللازمة للاستجابة لاحتياجات الطلاب بمحيطهم الثقافي المتنوع.

معايير جودة التعليم في ما يخصّ ذوي الاحتياجات الخاصة

إن معاييـر جـودة التعليم العالي المعتمـدة في الجامعة ، ولدى جهـات الاعتماد يجب المحافظة عليهـا في جميع الحالات، بمـا في ذلك بالنسبة للطلبة ذوي الحاجات الخاصة. ولكن سبل تحقيق تلـك المعايير قد تكون فـي بعض الحالات مختلفة ومتنوعة جداً. لـذا ينبغي تضمين موضوع دعم وتمكين الطلبة من ذوي الحاجات الخاصة، ضمن قائمة إجراءات ضمان الجودة، مع تدوين جميع الممارسات والإرشادات لتكون أدوات مهمة يعتمد عليها في مرحلة التنفيذ. كما ينبغي رصد مدى تأثير نظام ضمان الجودة على عملية استيعاب تلك الشريحة ودمجها[٢]. ويأتي هذا التضمين وفق

١- العهد الدولى للحقوق الإقتصادية والإجتماعية والثقافية، التعليق العام رقم ١٣ بشأن الحق في التعليم، المادة ١٣،١٩٩٩

2- Memorandum, The Bruges Conference “From Bologna to Bruges and far beyond. Equal opportunities for people with disabilities”, Bruges, Belgium, December 2008

الخطوات التالية:

١. تبني الإدارة العليا مبدأ التعليم الجامع الذي يشمل دمج وتمكين ذوي الاحتياجات الخاصة.

٢. دراسة اتجاهات الكوادر الإدارية والأكاديمية والطلابية إزاء ذوي الاحتياجات الخاصة.

٣. توعية تلك الكوادر حول الفروق الفردية والاحتياجات الخاصة ونشر مفهوم التعليم الجامع.

٤. تقييم وتشخيص الوضع الحالي من حيث توفّر الإمكانيات وتحديد الفجوات.

٥. وضع خطة عمل وتكوين فرق العمل وتحديد منهجية عملها.

٦. الإعداد والتهيئة داخل المؤسسة من حيث المناهج والبرامج والتجهيزات الفنية المطلوبة.

٧. حصر جميع العمليات والإجراءات القائمة وتعديلها بما يتناسب مع ذوي الاحتياجات الخاصة.

٨. تخطيط وتوثيق شامل لنظام الجودة في ما يخصّ دعم وتمكين ذوي الاحتياجات الخاصة.

٩. تطبيق نظام الجودة ورصد مدى تأثيره على عملية استيعاب تلك الشريحة ودمجها.

١٠. التدقيق الداخلي وتقييم المخرجات (نسبة التسرب، رضى الطلاب من ذوي الاحتياجات الخاصة، رضى أصحاب المصالح، كفاءة الخريجين، الخ.).

١١. تحديد عدم المطابقات وأماكن التحسين.

١٢. اتخاذ الإجراءات المناسبة والعمل على التحسين المستمر.

وتتم كل هذه المراحل والخطوات ضمن منظومة التحسين المستمر التي تتطلبها معايير الجودة: P-D-C-A[1]

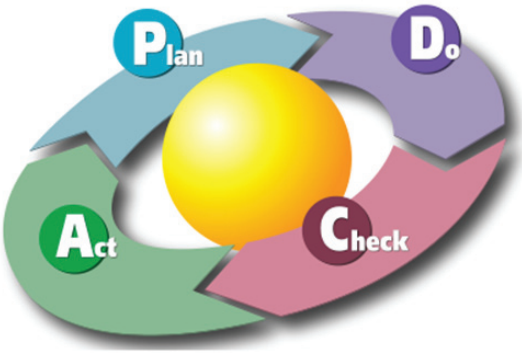

كيف نترجم هذه المعايير ضمن دائرة القبول والتسجيل؟

إن دائرة القبول والتسجيل تشكل الحلقة الأولى من التواصل مع الطالب، لذا لا بدّ من توفير البيئة الملائمة لذوي الاحتياجات الخاصة لدى تلك الدائرة ، عندما تأخذ الجامعة على عاتقها عملية

1- http://www.anythingresearch.com/Strategic-Planning/PDCA-Plan-Do-Check-Act.htm

الاستقطاب والدمج لتلك الفئة. ويشمل توفير البيئة الملائمة ما يلي :

١. تأهيل مدخل الدائرة بما يسمح بالوصول إليها بشكل مريح .

٢. توفير مساحة ملائمة للحركة داخل الدائرة .

٣. تخصيص مكتب واحد على الأقل لاستقبال ذوي الفروقات الفردية .

٤. توفير موظف واحد على الاقل متخصص في هذا المجال مع ضرورة تدريب الجميع .

٥. معرفة جميع الخدمات المتوفرة .

٦. توفير استمارات ومطبوعات ملائمة .

٧. التنسيق مع وحدة الاحتياجات الخاصة والاستعانة بمتخصصين عند الضرورة.

٨. التعامل مع الطالب باحترام والمحافظة على سرية المعلومات المتعلقة بفروقاته الفردية.

٩. التأكـد من الوثائق والتقارير الطبية المرفقة التـي تحدّد احتياجات الطالب الخاصة بالتنسيق مع وحدة الاحتياجات الخاصة.

١٠. توفير المعلومات المتعلقة بالإجراءات المتبعة من خلال موقع الجامعة الالكتروني ومطبوعات الجامعة.

١١. مراعاة احتياجات الطالب الخاصة، بالنسبة لجولات التوجيه داخل الحرم الجامعي، واتخاذ الإجراءات والترتيبات اللازمة.

معايير قبول الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة

يخضـع الطلاب ذوو الاحتياجـات الخاصة عموماً لنفس معايير القبـول المعتمدة في الجامعة مع مراعاة ما يلي:

- عدم استبعاد الطلاب بناء لفروقاتهم الفردية.
- توفير الترتيبات المناسبة في مباريات الدخول من حيث المكان والتجهيزات ونماذج الأسئلة.
- التأكـد مـن ملاءمة المواد والمختبرات والأعمال التطبيقية، مع قدراتهم وامكانياتهم بما لا يعرّض سلامتهم أوسلامة الآخرين لأي خطر.

وترتبط معايير القبول بشكل كبير برسالة الجامعة ورؤيتها. فالجامعة التي تأخذ على عاتقها دمج وتمكيـن الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة يجـب أن تتخذ عدة خطوات لتحقيق أهدافها. وفي ما يلـي جملة من التوصيات الموجّهة لمؤسسـات التعليم العالي، والصادر بعضها عن مؤتمر «التعليم للجميع، ٢٠٠٧»[1]:

1- Conference: education for all 2007. The impact of the Bologna process on students with disabilities, Sven Drebes and Andrea Hellbusch. DP «Tandem in Science», Germany

القبول في الجامعة

- يجب أن تكون إجراءات القبول في الجامعات خالية من العوائق.
- يمكـن مشاركـة فريق وحـدة الاحتياجات الخاصـة أوغيرهم من الأخصائييـن، في مرحلة القبول، عند طلب ذوي الإحتياجات الخاصة.
- اعتمـاد الحصـة النسبية في كل اختصاص أو كلية حيث يمكن تخصيص ٥٪ في المائة من مقاعد الدراسة لذوي الاحتياجات الخاصة.
- عدم التحديد المسبق للتخصصات أو الكليات التي يمكن لذوي الاحتياجات الخاصة الالتحاق بها.

أفضلية القبول

يحظى ذوو الحاجات الخاصة بأفضلية القبول في الحالات التالية:

- عندما تكون المقاعد المخصّصة لهم ما زالت متوفرة.
- عندما يكون التأخير في الدراسة مضراً بسبب الإعاقة أو المرض الشديد.
- عندما تكون هناك صلة ما بين الإعاقة ومحدودية الخيارات المهنية.

العبء الدراسي

- تكييـف العـبء الدراسي للطالب وفقاً لاحتياجاته الخاصة، والسمـاح بتخفيضه الى ما دون الحدّ الأدنى المسموح به.
- عدم فرض أية عقوبات إذا تعذر تلبية العبء الدراسي بسبب الإعاقة.
- منح الطالب فرصة التعلّم الذاتي.
- السمـاح باستبـدال المواد العملية أو التطبيقية بغيرها من المواد (الموازية)، في حال تعذّر القيام بها بسبب الإعاقة.
- السماح بتمديد فترة الدراسة.
- السماح بالإنقطاع المؤقت عن الدراسة عند الضرورة.

الإمتحانات

- السمـاح بإمكانية التعويض والتعديل فـي جميع أنواع الامتحانات (من حيث الآلية، والشكل، والمـكان، والزمـان والمـدة الزمنيـة) وذلك بطريقـة بسيطة وشفافـة بعيداً عـن الإجراءات البيروقراطية.

التعثّر الأكاديمي

- يجب عدم استخدام الإنذارات الأكاديمية، أو التوقيف عن الدراسة، أو الفصل من الاختصاص أو من الكلية في حال التعثر الأكاديمي ، إلا بالتنسيق مع وحدة الإحتياجات الخاصة.
- يجب مراجعة الإجراءات المتّبعة ومدى كفاية الإمكانيات المتوفرة في حال التعثر الأكاديمي للطالب.

متطلّبات التخرج

ان المرونة في التعاطي مع ذوي الاحتياجات الخاصة لا تشمل محتوى المادة ولا المنهاج الأكاديمي. حيث يعتبر كل طالب مهما تعدّدت احتياجاته، مسؤولاً، كأقرانه، عن متطلبات التخرج.

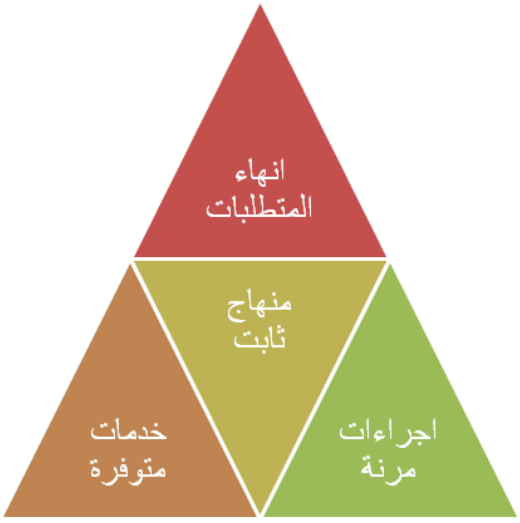

بدائل التعليم الجامع

صحيح أن التعليم الجامع هو الهدف الأساس الذي تصبو إليه المنظّمات الدولية ، من أجل الوصول الى الدمج الكامل لذوي الاحتياجات الخاصة ، في المؤسسات التعليمية وتأهيلهم بصورة أفضل للإنخراط بالمجتمع ، والمشاركة الفعالة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ولكن لا بدّ من توفير بدائل ، قد تكون في بعض الحالات السبيل الوحيد للتحصيل العلمي. من هذه البدائل نذكر: التعليم المستمر، التعليم الإلكتروني ، والتعليم عن بعد.

التعليم المستمر

يساعد التعليم المستمر ذوي الاحتياجات الخاصة في متابعة تحصيلهم العلمي ، بضغط أكاديمي أقل من التعليم العادي. ويفتح المجال أمام الطلاب الذين تعثروا في دراستهم الثانوية للتسجيل

في مواد أو اختصاصات أكثر جاذبية بالنسبة اليهم. وتبرز هنا الإشكالية التالية: التعليم المستمر قد لا يؤمن تكافؤ الفرص كالتعليم العادي، نظراً لاعتباراته المختلفة في سوق العمل. كما أنه لا يساعد الطالب على المشاركة الكاملة في الحياة الجامعية ، مما يبقي هدف الدمج والتعليم الجامع غير محقق. أضف الى أن التعليم المستمر يحتاج الى كل الترتيبات اللازمة من حيث الاحتياجات الخاصة كالتعليم العادي.

التعليم المستمر لذوي الاحتياجات الخاصة	
الإيجابيات	السلبيات
معايير قبول سهلة	الحصول على شهادة أقل اعتباراً في سوق العمل
دراسة أقل تطلباً على المستوى الأكاديمي	عدم المشاركة في الحياة الجامعية
تحكّم ذاتي بعدد المواد	الحاجة لكل الترتيبات الخاصة
توفر اختصاصات ذات صفة مهنية وعدد وحدات أقل من التعليم العادي	عدم توفّر كل الاختصاصات

التعليم الالكتروني أوالتعليم عن بعد

إن التعليم الالكتروني أو التعليم عن بعد، أصبح متوفراً بشكل كبير وفي متناول الجميع وقد يكون وسيلة أساسية وهامة لتمكين ذوي الاحتياجات الخاصة من التعليم الجامعي، ومن اكتساب العلم والمعرفة بما يؤهلهم للعمل. وقد تفتح هذه الوسائل مجالات وفرص لذوي الاحتياجات الخاصة، الذين يتعذر عليهم لسبب أو لآخر ارتياد الجامعة بشكل منتظم.

التعليم الالكتروني أو التعليم عن بعد لذوي الاحتياجات الخاصة	
الإيجابيات	السلبيات
معايير قبول قد تكون أكثر سهولة	الحصول على شهادة أقل اعتباراً في سوق العمل
دراسة أقل تطلباً على المستوى الأكاديمي	عدم المشاركة في الحياة الجامعية
تحكّم ذاتي بعدد المواد	عدم الدمج في التعليم مما يشجع على انعزال الطالب عن مجتمعه وأقرانه وقد يساعد على تكريس الصورة النمطية لذوي الاحتياجات الخاصة.
توفر اختصاصات ذات صفة مهنية وعدد وحدات أقل من التعليم العادي	عدم توفّر كل الاختصاصات.
بقاء الطالب في بيئته المريحة بوجود من يرعاه	ضرورة توفر تجهيزات تقنية مناسبة لدى الطالب كي يتمكن من المتابعة.
الاستفادة من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات كأداة هامة لتمكين الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة	

الخلاصة والتوصيات

إن تطبيق مبدأ التعليم الجامع من خلال إيجاد بيئة ملائمة لذوي الاحتياجات الخاصة، والعمل على رفع النسبة المخصصّة لذوي الاحتياجات الخاصة في مؤسسات التعليم العالي، يواجه العديد من التحدّيات، الداخلية والخارجية.

على الصعيد الداخلي

١. عدم توفّر العدد الكافي من الكوادر التعليمية المتخصصة.

٢. اختلاف نوع الإعاقة ودرجتها ضمن النوع الواحد، مما يستوجب رعاية فردية تتناسب واحتياجات كل شخص، وهذا يتطلّب إمكانيات كبيرة.

٣. التكاليف العالية لتأهيل المباني والقاعات وتوفير التجهيزات المطلوبة كافة.

٤. الالتزام بمعايير الصحة والسلامة لذوي الاحتياجات الخاصة ، و أيضاً ضمان عدم تعريض بقية الطلاب الى أي مخاطر قد تنجم عن عملية الدمج.

٥. المرونة في الإجراءات مع المحافظة على معايير الجودة في التعليم ، و ضمان عدم استغلال تلك المرونة من قبل من لا يستحقها.

٦. نقص الثقافة المتعلّقة بالاحتياجات الخاصة لدى الفئات المختلفة في الجامعة.

على الصعيد الخارجي

١. عدم إسراع الجهات الرسمية والجهات في المصادقة على الاتفاقيات الدولية ، وبالتالي عدم ترجمة بنودها الى تشريعات وقوانين ملزمة.

٢. عدم تطبيق مبدأ الزامية ومجانية التعليم للجميع في المراحل الأولى ، مما يجعل نسبة ذوي الاحتياجات الخاصة الملتحقين بالمدارس ضئيلة جداً، ومما يفسّر بالتالي عدم وصول أغلبيتهم الى مرحلة التعليم العالي.

٣. ندرة المدارس المؤهلة لاستيعاب ذوي الاحتياجات الخاصة.

٤. قلة الوعي والثقافة لدى الأهل وأولياء الأمور والنسيج المجتمعي ، مما يؤثر سلباً على عملية التعليم الدامج في مراحله الأولى.

٥. ضعف التنسيق بين المؤسسات التربوية ، والجمعيات الأهلية المتخصصة ، والمنظمات الإنسانية والحقوقية.

٦. غياب شبه كلي للتقديمات الحكومية والعوامل المحفزة والمساعدة والبرامج الاعلامية التوعوية.

وفي الختام توجه التوصيات الى:

أ- حكومات الدول العربية ، ووزارات التعليم العالي ، والشؤون الاجتماعية

- للمصادقة على المواثيق الدولية كافة المتعلّقة بحقوق ذوي الاحتياجات الخاصة.
- لرسم الاستراتيجيات ووضع السياسات التي تحقّق التعليم الجامع بكل أركانه ومحتوياته.
- لتقديم كل أنواع الدعم للمؤسسات التربوية، والإنسانية الناشطة في هذا المجال.

- لتكثيف الجهود نحو تأهيل المدارس والمعلمين. وترشيد الأهل نحو ضرورة متابعة أبنائهم لجميع مراحل التحصيل العلمي.

ب- إتحاد الجامعات العربية والمنظمات العربية

- لعقد المؤتمرات المتخصصة، وورشات العمل، التي من شأنها تعزيز التعليم الجامع وحضوره في المجتمع.
- لوضع معايير جودة التعليم الجامع، وأسس التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة.

ت- إدارات الجامعات العربية الرسمية والخاصة

- لتبني التعليم الجامع ضمن الرسالة والأهداف.
- للتنسيق في ما بينها وتبادل الأفكار والخبرات.
- لتطوير المناهج والمعايير والإجراءات بما يسهّل عملية التعليم الجامع.
- لتوفير الاختصاصات المطلوبة لرعاية ذوي الاحتياجات الخاصة.
- لتأهيل كوادر تعليمية وإدارية متخصصة.
- للمشاركة في اعداد وتطوير الدراسات والأبحاث والإحصائيات الدقيقة.

ث- الجمعيات الأهلية

- لتأخذ دوراً فعالاً في عملية التوجيه والإرشاد على صعيد المجتمع، الأهل، والمدرسة.
- للضغط على صنّاع القرار لاستصدار قوانين تضمن حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة.

ج- الأهل

- للإهتمام بأبنائهم من ذوي الاحتياجات الخاصة واتباع كافة السبل لمتابعة تحصيلهم العلمي.
- للتنسيق مع المدرسة والأخصائيين والتعاون معهم من أجل انجاح عملية التعليم الدامج.

ح- المدارس الابتدائية والإعدادية

- لاستيعاب الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة وتعليمهم ودمجهم وتهيئتهم للدراسة الجامعية وتامين البيئة التعليمية من خلال التفاعل والمشاركة.

خ- سوق العمل

- لعدم استبعاد ذوي الاحتياجات الخاصة من العمل بسبب إعاقتهم .
- لتأهيل أماكن العمل بما يتناسب مع ذوي الاحتياجات الخاصة.

د- وسائل الإعلام

- لتحسين صورة الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة في الإعلام.
- للمساهمة في التأهيل والدمج الاجتماعي من خلال برامج التوعية المختلفة .
- لتحريك الرأي العام إزاء حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة .
- لتسليـط الضـوء على الخدمات المتوفرة لدى القطاعين العام والخاص ورصد الفجوات وانعكاساتها على واقع ذوي الاحتياجات الخاصة.

الفهرس

الافتتاحية الدكتورة منى حداد
رئيسة جامعة الجنان ٨

مقدمة العدد الثاني أ. د. علي لاغا
نائب رئيس جامعة الجنان لشؤون البحث العلمي ١٠

♦ **طول الأمل والغفلة عن الآخرة في ضوء القرآن الكريم**
د. فوزية أحمد الحسن طه ١١

♦ **الفرقة بالخُلع وآثارها الشرعية**
هيفاء الكردي ٢٩

♦ **تقويم كتب التربية الإسلامية المطورة للمرحلة الأساسية في المملكة الأردنية الهاشمية في ضوء المعايير الأساسية لتأليف الكتب من وجهة نظر معلميها**
د. وليد رفيق العياصرة ٥٢

♦ **توصيف الطّبيب وأثره في الحكم الشرعيّ**
د. اسماعيل غازي مرحبا ٨٢

♦ **توظيف تكنولوجيا المعلومات في ادارة المخاطر البيئية : دراسة تقويمية في الشركة العامة لصناعة الزيوت النباتية(مصنع الرشيد)**
ا.م.د. سحر قدوري ١١٤

♦ **نظرية الإتفاقيات والمحاسبة قراءة حالة الجزائر**
د. كربالي بغداد ١٣٩

◆ **استثمار أوقاف الجمعيات الخيرية الإسلامية أحكام وضوابط**
محمد أحمد العثمان ١٥٨

◆ **لسانيات الخطاب: من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص دراسة في بعض مؤلفات مشروع أحمد المتوكل الوظيفي**
د. عبد الوهاب صديقي ١٧٩

◆ **دراسة أسس ومبادئ إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية**
د. اسحق رحماني ١٩١

◆ **الانسجام الصوتي دراسة تحليليّة في اللغة العربيّة (الحلقة الثانية)**
الأستاذ الدكتور عبد المنعم طوعي بشناتي ٢٠٦

◆ **دور الجامعات في التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة التحديات والإمكانيات في ضوء معايير الجودة**
د. عائشة يكن ٢٤٢

◆ الفهرس ٢٦٣